موسوعة
عالم علم النفس

NOBILIS

المعجم الموسوعي للتحليل النفسي

2

إسم الموسوعة	:	موسوعة عالم عِلم النفس
إسم المؤلّف	:	الدكتور عبد المنعم الحفني
إعـداد	:	قسم الدراسات في دار نوبلِيس
		بـإشراف الأستـاذ غسّان شديـد
قياس الكتاب	:	27.5 × 19.5 سم
عدد صفحات الجزء	:	224
عدد صفحات المجموعة	:	6436
إسم الكتاب	:	المعجم الموسوعي للتحليل النفسي - مجلد (2)
مكان النشر	:	بيروت – لبنان
دار النشر والتوزيع	:	دار نوبلِيس
تلفاكس	:	961 1 583475
تلفون	:	961 1 581121
		961 3 581121
الطبعة الأولى	:	2005

عالم عِلم النفس

23

الدكتور عبد المنعم الحفني

المعجم الموسوعي للتحليل النفسي

«عربي - إنجليزي - فرنسي - ألماني»

المجلّد الثاني

NOBILIS
MAISON D'EDITION

- ذ -

حرف الذال

– الذكرى الحاجبة...

- **Screen Memory (E.);...**

-Souvenir - écran (F.);...

-Deckerinerung (D.)...

ذكرى تافهة أو جزئية من أيام الطفولة تشبه الأحداث في الأحلام التي تشكل المحتوى الظاهر، ولكنها شأنها شأن الأحلام مكثفة ورمزية، ويمكن تأويل محتواها الظاهر لتكشف عما تحته من محتوى كامن، وتوصف لذلك هذه الذكرى بأنها حاجبة أو ساترة لما وراءها، وتترجم أحياناً بالذكرى الغطاء Cover memory، أي التي تغطي على ما تحتها أو مضمونها الحقيقي، وهي تأتي الذاكرة لذلك بسهولة وتفلت من قوى الأنا الكابتة لأنها مموّهة، إلا أنها مع ذلك ترتبط بالواقع الحقيقي بطريقة ما، ولذلك فهي تشير إلى هذا الواقع إشارات مكثفة ومشظية – أي تقدم منه نتفاً أو شظايا أو كسوراً.

وقد أفرد فرويد للذكريات الحاجبة بحثاً مستقلاً بهذا العنوان «الذكريات الحاجبة» نشره سنة ١٨٩٩، ثم عاد إلى مناقشتها في الفصل الرابع من كتابه «سيكوباثولوجية الحياة اليومية» الذي نشر سنة ١٩٠١. ويقول فرويد إن المحلل النفسي يولي الذكريات الحاجبة اهتمامه تماماً كالذكريات الواقعية، فليس مهماً أبداً أن لا تكون صورة حقيقية لما جرى في الطفولة، وإنما المهم أنها تصوير لما يريد المريض أن يصوّره للطفولة. وليس من السهل تذكرها، وتقع في نطاق ما يسميه فرويد باسم أمنيزيا الطفولة Infantile Amnesia (١٩٣٩) أو النسيان الطفولي. وهذه الوقائع المنسية في جوهرها خبرات جنسية وعدوانية أو عدائية، قد اختلط فيها الجنس بالعنف أو بالعدوان أو العداء، وأوذي منها الأنا، ويتوجه التحليل النفسي أساساً إليها ليستدعيها ويتواجه بها المريض (أنظر أيضاً النسيان الطفولي).

مراجع

- Psychosis (E)...
- Psychose (F.; D.)...
- Eidelberg, L: Take off your Mask (1948).

ينصرف اهتمام فرويد والتحليليّين عموماً إلى الاضطرابات النفسية القابلة للاستقصاء التحليلي، وضمن هذا الإطار فقط يتم التمييز بين حالات الشذوذ الأعصبة وحالات الذهان. ومنذ كتاباته الأولى يميّز فرويد بين العصاب والذهان، ويطلق إسم الذهان ضمن تصنيفه لمجمل الدفاعات النفسية المرضية لحالات الخلط الهلاسي والميجالومانيا والذهان الهيستيري وما يسميه ذهان الدفاع. ومن الصعب تحديد الدور الذي اضطلع به التحليل النفسي. عموماً في التمييز بين الفئات التصنيفيّة المرضية في الذهان باعتبار أن هذا الدور يختلط بشدة بالتطور في المجال الطبي النفسي منذ بلويلر ومدرسة زيورخ.

والذهان عموماً من المجالات التخصصية للطب النفسي، إلا أن التحليل النفسي كان المسؤول عن التعارض بين العصاب والذهان، ويأتي تناول فرويد للذهان لماماً في كتاباته المتفرقة، وضمن إطار نظريته الأولى في الجهاز النفسي، وفي مقالاته في النرجسية، ونظريته في الغرائز، وتحليله لحالات من أمثال حالة شريبر، ثم في نظريته الثانية عن الجهاز النفسي. ويهتم بالتفسير الدينامي للذهان باعتباره سلوكاً له معنى ودلالة ما في الحلم والعصاب، ويلفت النظر إلى وجوه الشبه والاختلاف بين الذهان والعصاب، فكلاهما مثلاً عبارة عن نكوص، وفي حالة الذهان يكون النكوص إلى الطور النرجسي وخاصة المرحلة الفموية، ويفقد الذهاني اهتماماته بالموضوعات، وينسحب الليبيدو عنده مرتداً إلى الذات، وكذلك ينكص الأنا إلى المراحل المبكرة التي كان تمايزه فيها عن الهو، وينفصل عن الواقع، وتغلب عليه العمليات الأوّلية على العمليات الثانية، والذهان في ذلك يشبه الحلم، والذهاني لا يعيش الواقع، واختبار الواقع عنده معطل، وينكرمطالب الواقع، ويحسم صراعاته بالانحياز للمطالب الغريزية، بينما يكبت الأنا المطالب الغريزية في العصاب ويمتثل لمطالب الواقع. أما في الذهان فالصلة تنقطع بين الأنا والواقع مما يترك الأنا تحت سيطرة الهو، ثم يعود

الأنا في الطور الثاني من الذهان فيحاول أن يصنع لنفسه واقعاً بديلاً يتمشى به مع رغبات الهو.

ويطلق فرويد على الحالات الذهانية إسم الأعصبة النرجسية تمييزاً لها عن الأعصبة الطرحية، وهذه الأعصبة الأخيرة هي مدار بحوث التحليل النفسي، وكانت المجال الذي أثبت التحليل النفسي فيه جدواه. والأعصبة النرجسية تستعصي على العلاج التحليلي، إلا أن التحليل النفسي يقدم لها التفسيرات التي لم يستطعها الطب النفسي. ويرجع سبب وصف فرويد لها بالنرجسية إلى أن نقطة الضعف في تطوّر الليبدو عند المصابين به توجد في مرحلة سابقة هي الطور النرجسي كما ذكرنا، ويقع التثبيت الحاسم لليبدو في هذا الطور بالذات. وأما إسم الأعصبة الطرحية، فذلك لأن الطرح هو أهم ما يميّزها عن الأعصبة النرجسية، ونعني بالطرح طرح عواطف المريض على شخص الطبيب، وهي ظاهرة لا توجد إطلاقاً في الأعصبة النرجسية.

ويشابه فرويد بين الذهان والحلم إلى درجة القرابة الجوهرية، ويظهر الاضطراب العقلي في الحلم أول ما يظهر، ويؤدّي النكوص في كليهما إلى غلبة العمليات الأولية على العمليات الثانوية، حتى ليمكن اعتبار الذهان حلماً يستغرق حياة المريض بليلها ونهارها، وإنما هو حلم يحلمه وهو مستيقظ الحواس. وأكثر ما تشتمل عليه حياة المريض بالذهان إمتلاك مزعوم للخبرات، أو تحقيق متخيل للرغبات التي كان امتناعها هو العلّة التي أدّت بالفعل إلى الذهان. ويتم الترابط في الحلم والذهان بين الأفكار وفقاً لقوانين التداعي والاستحضار وحدها، أي أن الأفكار تجتمع في سلاسل على نمط آلي محض، ينجم عنه فقدان التناسب في العلاقة بين الأفكار عن طريق المبالغة فيها ومن خلال الأوهام مما يؤدّي إلى تحوّل الشخصية وانقلابها.

مراجع

- Freud: The Loss of Reality in Neurosis and Psychosis.(1924)

:The Neuro-Psychoses of Defence. (1894)

: Further Remarks on the Neuro-Psychoses Defence. (1896)

: Introductory Lectures on Psychonanalysis. (1917)

: New Introductory Lectures on Psychoanalysis (1933)

❖ ❖ ❖

- ر -

حرف الراء

– الرابطة الدولية للتحليل النفسي...

- The International Psychoanalytical Association (E.);...

- Die Internationale Psychoanalytische Assoziation (D.)...

أنشئت سنة ١٩١٠ بقرار من مؤتمر نوريمبرج الدولي للتحليل النفسي، وكان فيرينزي قد تقدم باقتراح إنشائها لتكون مجمعاً لكل جمعيات التحليل النفسي في سويسره والنمسا وألمانيا والمجر وإنجلترا وأية جمعيات أخرى تنشأ من بعد ذلك، ولرئيس الرابطة حق الاعتراض على أية بحوث تقدم لمؤتمرات التحليل النفسي الدولية. ووافق المؤتمر على أن تكون زيورخ هي مقر الرابطة، وأن يعين لها الرئيس من الأعضاء السويسريين، وكان واضحاً أن فرويد خَلّف هذه الاقتراحات، وأيدها ودعا إلى تبنيها، ورشح كارل يونج للرئاسة، وجعل له رئاسة تحرير الكتاب السنوي Jahrbuch للرابطة، كما أيّد أن تكون السكرتارية للسويسريين كذلك، ورشح يونج لها زميله ريكلين، وعيّنه لتحرير النشرة الدورية للرابطة Correspondenzblatter der Internationalen Psychoanalytiscen Vereingung عن أخبار جمعيات التحليل النفسي، وحول رسائل القراء، والاجتماعات والإصدارات في التحليل النفسي. وكانت هناك معارضة شديدة لقصر الرئاسة والسكرتارية على السويسريين دون النمسويين، مع أن النمسويين هم الأصل، وتزعَّم أدلر وشتيكل المعارضين، واجتمع بهم فرويد ليقنعهم بوجهة نظره، فالنمسويون من اليهود، والرابطة لا بد أن يكون لها واجهة مسيحية، وليس أفضل من أن يرأسها عالم مسيحي مشهور مثل كارل يونج، وعلى أي الأحوال فإن يونج لم تنطل عليه الحيلة، ولم يكرس وقته للرابطة، كما أن ريكلين أهمل في القيام بواجباته، واشتد يونج في خصومته مع فرويد، وكانت له نظريته في التحليل النفسي المخالفة لنظرية فرويد. فلما

كانت سنة ١٩١٤ إستقال يونج من رئاسة تحرير الكتاب السنوي، ورئاسة الرابطة، ومن عضويتها، وتبعه كل الأعضاء السويسريين، وبدا كما لو كان خلافاً بين اليهود والآريين، أو كما قال فرويد على لسان فيرينزي بين الروح السامية والروح الآرية، وتولّى أبراهام أعمال رئيس الرابطة حتى موعد المؤتمر التالي الذي كان يفترض انعقاده في درسدن سنة ١٩١٤، ولكنه تأجل بسبب اندلاع الحرب العالمية. وعقد أول مؤتمر بعد الحرب في بودابست سنة ١٩١٩، آلت فيه رئاسة الرابطة الدولية لإرنست جونز، وصدر به قرار إنشاء مؤسّسة النشر الخاصة بالرابطة، وتوالت المؤتمرات بإشراف الرابطة، كما توالى عليها الرؤساء ومنهم أبراهام، وآيتنجون، وأنّا فرويد، حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، والتي مع بدايتها توفي فرويد سنة ١٩٣٩.

❖ ❖ ❖

– رانك، أوتو...

- Rank,Otto...

(١٨٨٤ – ١٩٣٩) من الصفوة الذين شكّل منهم فرويد ما يسمّى في حركة التحليل النفسي باسم «اللجنة» وأعضاؤها سبعة هم فيرينزي، وجونز، وساخس، وأبراهام، وآيتنجون، ورانك، ويرأسهم فرويد. والإصرار على العدد سبعة له معنى عند باطنية اليهود، وكان اسمهم عند فرويد الحرس الإمبراطوري Preatorian guards، لأنهم السَّدَنة والمحامون المنوّط بهم حفظ التراث الفرويدي، والتصدي للمنشقين، والردّ على حملات التشهير، والدعاية لمفاهيم التحليل النفسي في أوساط المثقفين. ورانك يهودي من عائلة متوسطة، إكتشفه أدلر وقدّمه لفرويد الذي أولاه رعايته وأنفق على تعليمه وصار منه بمثابة ربيبه، واستخدمه كسكرتير له، وعيّنه مساعداً لرئيس تحرير مجلة إيماجو، وللنشرة الدولية للتحليل النفسي، وكلتاهما لسان حال حركة التحليل النفسي. وحصل رانك

علـى الـدكـتـوراه سـنــة ١٩١٢، وتـولّـى الإشـراف عـلـى دار المطبـوعـات الـدولـيـة التابعة لرابطة التحليل النفسي الدولية، وفـجـأة نشـر كـتـابـه «صـدمـة الميـلاد» (١٩٢٤) فكان صدمة للجميع ولفرويد بشكل خاص، لأنه فيه كان ينشق على فرويد. ورغم أن فرويد زكّى الكتاب في أول الأمر، إلا أنه تنبّه من بعد الحقيقة أبعاد نظرية رانك، ومن ثم بدأت المباعدة بيـنـهـمـا. وارتحل رانك عن ڤـيـيـنـا إلى باريس (١٩٢٤)، ثم غادرها نهائياً إلى الـولايـات المتـحـدة (١٩٣٤) وبـذلك انقطعت صلته نهائياً بفرويد.

وإسـهـام رانك في نـظـريـة الـتـحـلـيـل النفسي هو نظريته في صدمة الميلاد وفي تحليلاته النفسية حول الفن والفنانين، وكان رانك نفسه فناناً، وكانت كتاباته في التحليل النفسي من منظور فني، وفي بداية حياته هوي المسرح، وكتابه «الفنان» (١٩٠٧) تحفة من تحف التحليل النفسي، وله مؤلفات في الأدب وفن الأسطورة، ومن روائعه «أسطورة ميلاد البطل» (١٩٠٩)، و«تكرار فكرة أنا المحارم في مجالي الشعر والأسطورة» (١٩١٢). وكـانت مـؤلـفـات رانك بمثابة إضافة جديدة تماماً لما كان يكتب في التحليل النفسي من موضوعات، فـقـد كـانت حـتـى زمـنـه قـاصـرة عـلـى الكتابات الطبية النفسية، كما أن رانك كان موسوعياً وله نزعة تجددية، وهو ما جعله يشغل هذه المكانة الرفيعة عند فرويد وجماعة التحليل النفسي. وبدأ رانك سـنـة ١٩٢٠ يـجـرب الـعـلاج قصير المدى Short termTherapy، وهو محاولة قام بها وآخرون لاختصار مدة العلاج بطريقة فرويد التي كانت ربما تطول لسنتين وثلاث سنوات، وقصد رانك أن تقتصر المدة على الشهرين أو الثلاثة، ولذلك كان حتماً أيضاً أن يكون هناك تعديل لطريقة فرويد ولفلسفة العلاج نفسها، أي أنه كان لا بدّ من الانشقاق على فرويد. وأسهم رانك في التأسيس لما يُسمى من بعد باسم مدرسة فيلادلفيا أو المدرسة الوظيفية في التحليل النفسي، وهـي مـدرسـة أميركـيـة قـامت عـلـى إسهامات جماعة الثقافيين الديناميين Dynamic Culturalists، وهـؤلاء يفسرون الظاهرة المرضية النفسية ضمن إطارها الأنثروبولوجي، ومن داخل السياق

الاجتماعي، وعلاجهم يناقض مدرسة فرويد التشخيصيّة ويهتم بالتفاعلات الشخصية للمريض وبعلاقاته الاجتماعية، ويولون عنايتهم بالحاضر أكثر من الماضي، ويمتد علاجهم للبيئة المحيطة بالمريض، وعلاجهم ذلك يسمّى بالعلاج غير الموجّه. ويقلّل رانك من شأن عقدة أوديب، ويقول إن أساس كل اضطراب عصابي هو القلق الأساسي الذي يتحصل لكل شخص نتيجة الانفصالات المتتالية التي يعانيها في حياته، والانفصال الأولي الذي يكون به القلق الأصلي هو انفصال الطفل عن أمه بالميلاد، وهو ما يشكل الصدمة الأولى أو الصدمة الكبرى، ثم يكون انفصال الفطام ويعيد في نفس الطفل تجربة الميلاد، ثم يكون أي انفصال آخر عن أي شيء أو أي شخص عزيز في مراحل الحياة المختلفة تكراراً أيضاً لتجربة الميلاد. فكل الاضطرابات الوجدانية التالية أساسها صدمة الميلاد، وكل عصاب نُصاب به له الميكانيزم الفسيولوجي نفسه الذي لعملية الولادة، وكل حادث مؤلم في حياتنا ينشّط خبرة الميلاد ويزكّي القلق الذي استثارته وصاحبها. ويتخذ هذا القلق الأساسي مظهرين، فهو خوف من الحياة أو خوف من الموت، والمريض بالعصاب إما أنه يعاني من هذا أو ذاك، والخائف من الحياة لا يحب أن يدخل في تجارب يظهر منها إقباله على الدنيا والأصحاب والأهل، لأنه يخاف أن يعاني الانفصال، أو تأتيه منها مكدرات، ويخاف أن تكون له إسهامات حيوية وإبداعات فقد يحسده الناس أو يكيدون له بسببها، وقد يؤثر أن يعتزل الناس. والخائف من الموت يخشى على نفسه أية أحداث، ويخشى أن تأخذه الشواغل ويفقد نفسه في الأشياء وفي قيم الناس، وتضيع فرديته وتبتلعه المجاميع، ويريد أن يكون نفسه أولاً، لكنه لو فعل سيعتزله الناس فيموت في حياته ولا يصبح له ذكر بعد مماته. والحل بالنسبة للسوي هو أن يتوافق مع قيم المجتمع، وبالنسبة للمبدع هو أن يحتمل أن يقف وحده نظير أن تكون له خصوصيته وتفرّده. وأما العصابي فلا يقبل بهذا الحل أو ذاك، ويحرمه قلقه الذي يعانيه من مواجهة استقلاله ويحرمه من تأكيد

قدراته. ولا يجعله قلقه الذي يعانيه نتيجة لخوف من مواجهة استقلاله ونبذ الاعتماد على الآخرين - لا يجعله قادراً على أن يبذل نفسه في الصداقة والحب. وبالاختصار لا يستطيع العصابي أن تكون له تلقائية، ولا أن يستشعر فرديته، وهو أيضاً لا يسمح لنفسه أن يكون مع الآخرين ومنهم، وأن يندمج فيهم، والعصابي لذلك إنسان متمرّد، يخاف من ميوله التي تدفع به إلى التمرد، ويهمه أن يستبقيها مكبوتة.

وصدمة الميلاد إذن كما يراها رانك تفسّر سيكولوجية الفرد في كل مراحل حياته، أو أن الإحاطة بسيكولوجية الفرد تطلعنا على مقدار ما سببته له صدمة الميلاد، فنستطيع أن نحزر مقدار القلق الأساسي الذي عنده. وعملية الولادة التي تكون لكل طفل هي الأساس البيولوجي لكل ما هو نفسي، وكل الظواهر الثقافية في المجتمع يمكن ردّها إلى عادات وسلوكيات الميلاد فيه.

ونلاحظ في مؤلفات رانك أن ما وضعه بالاشتراك مع آخرين كان يلزم نفسه فيه بنظرية فرويد وأما ما كان من إبداعه الفردي فإنه كان يذهب فيه مذهبه الخاص. وعرفت جماعة فرويد فيه ذلك فكانوا يشغلونه بالكتابة بالمشاركة معهم. ويظهر ذلك جلياً في كتابه مع ساخس «أهمية التحليل النفسي للعلوم العقلية» (١٩١٣)، وكتابه مع فيرينزي «تطوّر التحليل النفسي» (١٩٢٢).

وكان رانك يتوجه في علاجاته إلى الملابسات الانفعالية في جلسة التحليل، ومقاومات المريض لمحاولات المعالج أن يتودّد إليه، وأن يعقد معه علاقة من نوع ما، من شأنها أن تيسّر له إدراك مقدار القلق الذي يعانيه، فينفذ مباشرة إلى نوعية الخبرات التي كانت له في طفولته، وبذلك يختصر مدة العلاج. ويقول النقاد إن طريقته لم تكن ناجحة تماماً، لأن المهم فيها تذكر خبرات الطفولة المنسية أو المكبوتة وتحليلها، وهو ما لا بدّ أن يستغرق وقتاً. ولقد استبدل رانك طريقته هذه بطريقة أخرى أطلق إسم «علاج الإرادة Will Therapy»، وصفها النقّاد بأنها طريقة غير تحليلية، وتقوم على ما يسميه بالتوافق النشيط Active adjustment، ومهمة المعالج بهذه الطريقة

هي أن يثقف ويدرّب المريض على أن تكون له إرادة صحة، وأن يوطّن نفسه على أنه سيولد من جديد لو أراد، بنفسية وعقلية وشخصية جديدة، ويتخلص من القلق، وينهي في نفسه أية توترات، ويسقط مشاعر الذنب، ويهب لنفسه حياة جديدة يؤكد فيها إقباله على العيش، وأن يكون له أسلوبه المتميّز واستقلاليته وفرديته، ولا يخشى ميوله، ولا الناس. ويقول النقاد: لو كان المريض يستطيع أن يعالج ويشفي نفسه بإرادته، فلماذا إذن جلسات التحليل النفسي؟ ويقول رانك: إن دور المعالج هو تبصير المريض بحالته، وبصراعاته ومخاوفه، وإذكاء همته وشحذ إرادته وتوجيهه التوجيه غير المباشر. ومن أجل ذلك كانت تسمية هذا العلاج باسم العلاج غير الموجه، والعلاج المركز حول العميل.

ويقتصر الأثر الفكري لرانك على حركة التحليل النفسي في الولايات المتحدة فقط، وله إسهامات في الأنثربولوجيا، وكان اهتمامه بالأمومة عن الأبوة على عكس فرويد، وهذا طبيعي طالما أن عملية الولادة عنده هي أهم عملية تأثيراً في نفسية الفرد، ثم تليها الانفصالات عن الثدي، وعن الأم في سن الذهاب إلى المدرسة. ولرانك نفس توجهات المحلّل النفسي البريطاني سورتي، ويزعم بعض أتباع رانك أن ميزة نظريته في صدمة الميلاد أنها ذات أساس كلينيكي ولا تصدر عن اتجاهات فلسفية كما عند فرويد. ويقول أتباع فرويد إن رانك أخذ فكرة صدمة الميلاد من فرويد وطورها، وأنه سمع فرويد في إحدى المرات يصف العمليات الفسيولوجية المصاحبة لتكوين العصاب بأنها مشابهة لعمليات الولادة. ويذهب بعض أتباع رانك مثل ناندور فودور إلى أن عمليات الجماع قبل الولادة تؤثر على الجنين عصبياً بالإضافة إلى مشاق الولادة. وتربط فيليس جرين آكر بين الموقف قبل الولادة وأثناءها وبعدها، وتقول إن كل ما يؤثر على الأم يؤثر على الجنين بالتالي ويستحدث فيه التوتر العصبي الذي هو الأساس الفسيولوجي للقلق الأساسي، أو القلق البنيوي، وهو قلق بدون محتوى نفسي إلا أن له إمكانية عضوية، ويؤثر على استجابات اللاحقة.

ورانك من القائلين إن الفن كالدين تعبير عن إرادة الخلود في الإنسان، وهذه الإرادة التي يقول بها ويؤسّسها على إرادة العلاج أو إرادة الصحة التي سبق أن تناولناها. والإرادة في تعريف رانك مقولة من مقولات ما وراء علم النفس أو الميتاسيكولوجيا، وهي طاقة إيمانية، والإنسان يختص دون بقية الأجناس الحيوانية بأنه حيوان مؤمن، ويتميّز بدافع يقول عنه رانك إنه دافع للخلود، وفي كتابه «علم لنفس والروح» يعطيه إسم الروح، ويؤكد في كتابه «الفن والفنان» (١٩٢٣) على ضرورة التحرّر الروحي للفنان لكي يخلق ويبدع، ويكلّفه ذلك صراعاً مع المجتمع والقيم السائدة، وصراعاته تولد فيه مشاعر بالذنب، فيتأذى ويتألم ويقلق، والنتيجة أن حياة الفنان الحقيقي هي حياة مأساوية.

ولرانك تفسير نفساني للتاريخ، ويقسمه إلى مراحل تطوريّة تضاهي المراحل التطورية في حياة الأفراد، ففي البدء كانت المرحلة النرجسية، ثم كانت المرحلة الأرواحية، ثم الجنسية، ثم الأمومية، ثم الأبوية وهي الحقبة الديمقراطية الحالية، وهي أيضاً الحقبة السيكولوجية، أي التي يسود فيها علم النفس ومفاهيمه ويصبح أيديولوجية تحلّ محل الأديان. ويشبه رانك في فلسفته التاريخية هذه فلسفة فرويد في مؤلفاته في مرحلته الأخيرة التي أصدر فيها «الطوطم والمحرم» و«مستقبل وَهْم» و«المدنية ومكدراتها» و«موسى والتوحيد».

مراجع

- Rank: Der Künstler. (1907)

: The Myth of the Birth of the Hero. (1909)

: Das Inest Motiv in Dichtung und Sage. (1912)

: Art and the Artist. (1932)

: Psychology and the Soul. (1930)

: The Trauma of Birth. (1914)

: Technik der Psychoanalyse. 3 vols. (1926 - 1931)

❖ ❖ ❖

– رايخ، وليام...

- Reich, Wilhelm...

(١٩٠٧ – ١٩٥٧) إنضمَّ لحركة التحليل النفسي سنة ١٩٢٤، وانتهت علاقته بفرويد سنة ١٩٣٢، وتمثّل خلافه معه حول ما يسميه فرويد «غريزة الموت»، وما يقول به من أن هذه الغريزة هي الأساس في الاتجاهات الماسوشية، وبسببها ينطبع الخُلُق بالماسوشية. وفي سنواته الأخيرة قال رايخ بمايطلق عليه اسم«العلاج الأورجوني Orgone therapy» أو «العلاج النمائي Vegetotherapy» إلا أن ذلك يدخل ضمن الطب النفسي وليس ضمن التحليل النفسي. وإسهام رايخ في مجال التحليل النفسي يقتصر على مجال تحليل الخُلُق، وهو من هذا الضرب من المحلّلين النفسيين الذين لهم إهتمامات إجتماعية من أصحاب الدعوة إلى الدينامية الثقافية Dynamic culturalism، أي أنهم يقولون بعلاقات تفاعلية بين الفرد والبيئة، ويفسرون السلوك بأنه نتيجة تكوين سمات أخلاقية بتأثير من البيئة، ويحلّلون هذه السمات في سياق ما تعنيه إجتماعياً أو في إطار الثقافة المعمول بها. وكان رايخ عضواً في الحزب الشيوعي، وله اتجاهات ماركسية، ويأخذ بالنظرية الاشتراكية، ويُحاول أن يطوِّع النظريات النفسية لتنسجم مع المادية الجدلية، وأن تكون له نظرية نفسانية يوافق عليها الحزب الشيوعي، إلا أنه بنظرياته في النفس والعلاج النفسي إنشقَّ عن حركة التحليل النفسي، وعن الحزب الشيوعي، وصدر القرار بفصله من الاثنين، واضطر إلى الهجرة من ألمانيا موطنه، بسبب نشاطه السياسي، ذلك أن ألمانيا في الثلاثينات كانت تعتبر اليهودية والماركسية من ألدِّ أعداء الآرية. وهرب رايخ إلى الولايات المتحدة، وفيه كانت له توجهاته المغايرة لتلك التي كانت له في ألمانيا، حتى ليمكن أن نقول إن رايخ من المحلّلين الذين لهم مذهبان، واحد في ألمانيا، وآخر في الولايات المتحدة، وهو شيء منطقي بتحليل رايخ، حيث اقتضت الظروف الثقافية في البلدين تغايراً في الأفكار ينسجم مع مكوناتهما التاريخيّة والاجتماعية. وكان رايخ يدرس العصاب

في ألمانيا عند العمال وفي الأحياء الشعبية، وكان يعمل ضمن العيادات النفسية التي افتتحها الحزب في هذه الأحياء، وتبين له فيها أن أغلب الشكاوى عند الطبقة العاملة من الاضطرابات النفسية الجنسية، وكثيراً ما كان السبب فيها جهل العمال بالجنس، فكانت الأوقات التي يخصصها لهذه العيادات الشعبية ساعات تثقيفية يحاول فيها أن يعيد تربية المرضى نفسياً وجنسياً. وكتابه «تحليل الخُلُق» يطرح فيه نظريته في العصاب، وينقد فيه فرويد بدعوى أن طريقته في التحليل النفسي تتوجه لعلاج الأعراض العصابية، وعنده أن العصاب يؤثر في الشخصية ككل، وأن أي علاج ينبغي لذلك أن يتوجه للشخصية ككل، وأنه ما لم يتغير طابع الشخصية فلا يمكن الجزم بأن المرض قد شفي من مجرد زوال الأعراض. وفكرة رايخ أن الأعراض حيل دفاعية، أو كما يصفها دروع نفسية يحتمي بها الأنا من الدفعات الغريزية، ومن البيئة غير المؤاتية، وهذه الدروع تشبه الطبقات الصخرية التي تتكون على القشرة الأرضية، وهي صفات خُلُقية تتثبت عبر مراحل العمر وتجعل لنا ردود فعل واستجابات جامدة، وعلاج رايخ يتمثل في استثارة المريض واختراق دروعه النفسية إلى المسبّبات النفسية للمرض، وبدلاً من أن يتحول المريض إلى المعالج ويرتبط به نفسياً كما يقول فرويد، فإنه وقد جدّده العلاج من دروعه أو دفاعاته النفسية، تتعرّى حقيقته لذاته ويستبصر حالته ودوافعه وأسبابها، ويعرف من الأحداث التي يتذكرها ملابسات تركيبته النفسية. والعصابي عند رايخ يتصرف بجمود، ويدخل المواقف المختلفة بأفكار جاهزة ونفسية مسبقة التكوين، ولا يحاول أن يفهم دقائق الموقف أو يتعلم من الخبرة المتاحة ولكنه يغصب ما يراه في حدود جموده المعرفي والانفعالي. وعند رايخ أن البناء النفسي للفرد يتماثل والبناء النفسي للطبقة التي ينتمي إليها من المجتمع، وأن كل نظام إجتماعي له أنماطه الأخلاقية التي تساعد أفراده على التكيّف والتلاؤم والاستمرار والبقاء مع ظروف المجتمع، وأن العصاب أو الأعراض العصابية محاولة من الفرد للتواؤم والتكيّف مع متطلبات طبقته، إلا

أنها محاولة خاطئة، والشخصية السوية عنده هي المتحرّرة من الكبت والتي تسلك بتلقائية، وليس فيها جمود وتتجاوب بسرعة مع الأحداث، وتتميّز بالعطاء. ولسلوك السوي سلوك تلقائي عفوي، ويُطلق عليه رايخ إسم السلوك التناسلي، أي الذي ينمّ عن صفات أخلاقية فيها المحبة وتتجه نحو الناس. ويقول رايخ بأن صاحب الشخصية التناسلية Genital personality تبين صفاته التناسلية في مجال الجنس أكثر، وكلما كان الليبيدو عنده متحرراً ولا يعاني القيود، ولا يخاف المحاذير، كلما كان في علاقاته سوياً، وانسابت منه طاقته الشهوية - أي التفاعلية - حرة لا تجد ما يقمعها أو يكبحها، فتأتي تصرفاته صحيحة وسليمة ومفعمة بالصحة والسداد. ومهمة العلاج النمائي هو أن يستعيد المريض صحته، والدليل على أنه استعاد هذه الصحة أن تعمل وظائفه الجنسية في تكامل وعافية، والبرهان العملي على شفائه النفسي والبدني هو كفاءته الجنسية، أي شعوره باللذة كشعوره بالألم، أي أنه يستعيد لياقته ويكون طبيعياً. ولشفائه النفسي مردوده الفسيولوجي عليه، وعندما يعاني الكبت فإن هذا الكبت - وهو نفسي - له مردوده الفسيولوجي، ويمنعه من الممارسة الجنسية. ورايخ يقول إن نفاذه في العلاج إلى المكبوت، واختراقه للدروع النفسية للمريض، وكشفه لحيله دفاعاته، يُخرج المكبوت ويحرّره، أي يُخرجه نفسياً وفسيولوجياً. والدليل على استرداد العافية النفسية أن المريض يسترد عافيته البدنية، وخير مجال لبيان ذلك هو مجال الجنس. ويلغي رايخ ثنائية النفس والجسم، فكل ما هو نفسي له مظهر فيزيائي، وكل فيزيائي لا بدّ له مضمون نفسي، ويقول إن ما يلفت نظره للمظهر الفيزيائي للعصاب هو التعبيرات على وجه المريض وحول العينين والفم، وفي الجبهة، وتغيّر لون الجلد، وتصلّب الرقبة، وإشارات اليدين، وحركة الجسم وأوضاعه والصوت وتغيراته، ولا يوجد اضطراب عصابي دون هذا الجانب الفيزيائي. ويقوم علاج رايخ بتنبيه المريض إلى ملاحظة ما يطرأ على وجهه وإيماءاته وحركاته من تغيّرات، ويقول رايخ إن هذا الجانب من العلاج يسميه

التثقيف التحليلي Education for analysis، وهدفه التمهيد للتحليل الحقيقي، ببيان تأثير العصاب في المريض، وتوعيته بالمغايرة في سلوكه، كمحاولة منه إلى أن يبدأ المريض بأن لا يُظهر هذه التحركات، وأن لا يُبدي هذا السهوم والشرود، وأن تستقيم نظراته، ويلاشي السقوط في فكّيه، أو الجمود في وجهه. ويأخذ رايخ على طريقة فرويد في العلاج أنه يمنع المريض من أي ممارسة جنسية أثناءه، ولا يرى أن الممارسة الجنسية تمنع الشفاء، بل بالعكس هي دليل الشفاء، والمريض الذي يأتي الجنس ويحاول أن يأتيه بكفاءة يكون أفضل نفسياً في اليوم التالي. ولا يرى رايخ أن التصريف الجنسي هو إهدار للطاقة يحول دون أن يبذل الشخص وسعه في العمل، ويقول إن فرويد لم يميز بين العمل الجبري المؤلم، والعمل الطوعي اللذيذ والمشوّق، والأصل عند رايخ أن بذل الطاقة الشهوية والبدنية في العمل هو نوع من العطاء الجنسي الصحي، وبه تكون الصحة النفسية والبدنية. ويقول إن تربية الأطفال على الحرية الجنسية وليس الإباحة، بمعنى تأكيد المعنى الإيجابي والصحي للجنس، ينشّئهم تنشئة صحية ويطبّعهم بالميول السليمة، ويرسّخ فيهم محبة الغير والإيجابية الاجتماعية. وفي كتابه «سيكولوجية الجماهير في النظام الفاشي» يُحاول رايخ أن يتحرّى العوامل التي تدفع بالناس إلى التنازل عن حرياتهم وتلقائيتهم والرضا بأن يتولى أمورهم آخر يستبد بهم ويفرض عليهم سلطانه، ويرجع ذلك إلى التربية الجنسية التي نتناول بها الأطفال، فالطفل الذي يُعاقَب كلما أتى سلوكاً جنسياً بعفوية ينشأ على الخوف من العقاب، ويترسخ فيه الكبت وأن لا يبدي ما يشعر به ويفكر فيه، ويتعلم أن يترضّى الأبوين بالانصياع والاستسلام والطاعة، ويصبح ذلك هو نمطه الخُلُقي الذي يستمر معه في حياته كلها. والمجتمعات التي ينشأ أطفالها هذه النشأة هي مجتمعات جاهزة لأن يحكمها مستبد، وإذا حاول أفرادها تغيير هذه الأوضاع فإنهم كما استقرّ في لاشعورهم يظنون ذلك انحرافاً سلوكياً وعقائدياً عما تربّوا عليه. فمحاولة التحرّر الجنسي إباحية،

ومحاولة تغيير بعض القوانين والنظم تمرد وثورة وغوغائية. وعلى ذلك، كما يرى رايخ، فإن نبذ العبودية السياسية لا بد أن يسبقه إعداد للمواطن منذ الطفولة، بأن ينشأ على الحرية، وأخصها الحرية الجنسية. ويقول رايخ إن كل المجتمعات الليبرالية هي مجتمعات متحرّرة جنسياً، أي تأخذ بنظام التربية الذي يقنن الجنس ولا يحرمه، ويشجعه ولا يستهجنه، ويتعامل معه بإيجابية. وليس المهم في التربية الجنسية موقف الأبوين فقط، وإنما موقف المجتمع ككل، والتنوير الجنسي الذي يتّيه الأبوان دليل على استنارتهما في كل النواحي الأخرى، وهذا لا ينفي أن هناك آباء متسامحين جنسياً وإنما ذلك لا عن استنارة، وإنما عن لامبالاة، ولا يمكن أن ينمو الطفل سليماً نفسياً في ظل أبوين مهملين.

مراجع

- Reich: The Discovery of the Orgone. (1927)

: The Function of Orgasm. (1927)

: Dialectical and Historical Materialisms and Psychoanalysis (1930).

: The Sexual Revolution. (1930)

: The Sexual Combat of the Young. (1932)

: The Eruption of the Sexual Morals. (1932)

: Character - analysis: Principles and Technique for psychoanalysts in Practice and Training. (1933)

: Mass Psychology of Fascism. (1933)

❖ ❖ ❖

– رجل الذئاب...

- The Wolf - man (E.);...

- L'Homme aux Loups (F.);...

- Der Wolfsmann (D.);...

تعتبر هذه الحالة المشهورة بهذا الإسم من أهم الحالات التي عالجها فرويد

ونشرها تحت عنوان «من تاريخ عصاب طفلي Aus der Geschichte einer infantilen Neurose» (١٩١٨)، وهي من حالات الخواف من الحيوان. وكان الحيوان الذي يثير الخوف هنا ذئباً، وأثبت التحليل النفسي أن الذئب كانت له صفة البديل عن الأب. وكان الشاب الذي عالجه فرويد من هذه الحالة روسياً، ولم يقم فرويد بتحليله إلا بعد أن بلغ سن الثلاثين، إلا أن خوافه كان قد بدأ معه وهو صبي، ورآه على فترتين، الأولى من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩١٤، واستمرّ العلاج فيها لمدة أربع سنوات تقريباً، والثانية كانت سنة ١٩١٩ لمدة أربعة شهور تقريباً. وأصيب هذا الشاب نفسه بعد اثنتي عشرة سنة بهذاءات مرضية عالجته منها تلميذة لفرويد هي روث ماك برونشفيك، وعاود المريض زيارتها بعد ذلك بسنتين للعلاج أيضاً، وظلت تعالجه لفترات متقطعة لعدة سنوات. ولما حضر للقاء فرويد لأول مرة كان عمره وقتها ثلاثاً وعشرين سنة، ولم يكن يستطيع أن يُلبِس نفسه، ولا أن يؤدي الممارسات البسيطة المطلوبة للحياة العادية. وأظهر التحليل من بعد أنه يعاني من عدد من الاضطرابات، منها الإمساك كعرض تحوّلي هيستيري، واضطرابات أخرى هضمية، وفقد للشهية، وخوف مرضي من الذئاب عمّمه على الحيوانات من جنسه كالأسود وغيرها، ووساوس عصابية تتراوح بين الإيمان والكفر.

والحالة باعتبارها بدأت مع هذا الرجل الذئب منذ الطفولة يدرجها فرويد مع حالة أخرى مماثلة بعض الشيء هي حالة الصغير هانز، وكان طفلاً يتجاوز الخامسة بقليل، وبه خوف مرضي من الخيول، ويتوهّم أنها تتربص به ويمكن أن تؤذيه وينالـه منها العض. وهانز كان ألمانياً، وأما الرجل الذئب فكان روسياً، وكان قد رأى وهو صبي في الرابعة حلماً يأكل فيه الذئب المعز السبع في القصة الخيالية، فلما استيقظ صار يخاف أن تأكله الذئاب. ويبدو أن أباه كان يقلّد الذئاب أثناء لعبة معه، وكان يهدده مازحاً أنه سيأكله. وفي حالة الصغير هانز كان أبوه أيضاً يلعب معه لعبة الخيول. والواقعتان كانتا بلا شك العامل الذي عيّن اختيار كل منهما للحصان والذئب

كحيوانين يخافان منهما. وفكرة أكل الأب للطفل مألوفة وقديمة وشائعة بين الأطفال، ولها مشابهات في الأساطير كما في أسطورة كرونوس Cronos، الذي أعلمته النبوءة أن أحد أبنائه سيقتله ويرثه في الأوليمب، فما كان منه إلا أن قتل كل ولد كان يولد له، بأن يأكله، إلا زيوس الذي نجا بإخفاء أمه له، فلما شبّ قتل أباه فعلاً ونُصّب على الأوليمب. وتعبر فكرة أكل الأب للطفل بصورة نكوصية عن دافعين، أحدهما حب سلبي من الإبن للأب، يكون به الإبن محبوباً من الأب حباً شبقياً تناسلياً، والثاني دافع عدواني من الإبن للأب كذلك يتحول إلى النقيض بالكبت، فبدلاً من اتجاه العدوان من الإبن للأب فإنه يظل صادراً من الأب للإبن. ويتم النكوص إلى المرحلة السادية ثم المرحلة الفموية من النمو النفسي الجنسي، ولذلك يظهر في حلم الصغير هانز أن الخيل تهدّده بالعض، وفي حلم الرجل الذئب أن الذئب يفترس المَعِز والنتيجة أن أُصيب بالخوف من الذئاب أن تأكله. ويثبت التحليل أن هذا الخوف مرجعه أصلاً التهديد بالإخصاء للولد في هذه السن المبكرة، ولذلك فالخوف من عض الخيل وأكل الذئاب هو خوف أصلاً من الإخصاء، يتحول بالكبت إلى خوف من الأب، بالإضافة إلى أن ظروف حياة الطفل الروسي أظهرت دافع الحب السلبي المكبوت للأب بمظهر الانحراف الجنسي المثلي الكامن. وكان الولد في الفترة من العمر التي تكوّنت فيها عقدة أوديب قد تمثّل نفسه في أمه، وأصيب من طفولته بالإمساك. وكانت أمه تحب أباه حباً جماً إنتقل منها إليه، وأخذ عنها تدينها، ومن ثم كانت إصابته بالعُصاب الوسواسي، وكان يرى نفسه في المسيح، فيُرضي بذلك نزعته الماسوشية واللواطية معاً، فكما يقول في تحليله لحالته إن المسيح تألم كثيراً لأنه كا يحب أباه حباً كالعشق، وهو أيضاً يحب أباه هكذا، وكان ذلك بمثابة تعبير عن رغبات لواطية لاشعورية. وعندما عالجته روث بروشفيك بعد ذلك كان قد أصيب بثقب في أنفه، وفسرته روث بأن الأنف رمز للقضيب، وأن الثقب فيهاتحقيق لاشعوري بديل لأن يكون له مهبل في مكان القضيب.

مراجع

- Freud: From the History of Infantile Neurosis. (1918)
- Ruth Brunswick: a Supplement to Freud's History of an Infantile Neursois. (1928)

❖ ❖ ❖

– الرقابة...

- Censorship (E.);.
- Censure (F.);....
-Zensur (D.);...

نصادف مصطلح الرقابة في كتابات فرويد حول نظريته الأولى في الجهاز النفسي، ويجعل الرقابة من الوظائف الدائمة كنشاط دفاعي يتوجه ضد المنبّهات المزعجة من العالم الخارجي، وضد الرغبات والأفكار الممنوعة من اللاشعور ويحول بينها وأن تنفذ إلى الشعور. وفي خطاب له إلى صديقه فليس سنة ١٨٩٧ يشبّه دور الرقابة النفسي بدور الرقابة الإعلامي، ثم إنه وسّع دور الرقابة في كتابه تأويل الأحلام الصادر سنة ١٩٠٠ حيث نسب إلى الرقابة وظيفة المساعدة في إخراج الحلم، وما قد يطرأ بسبب ذلك على الحلم من تحريف وتشويه. ويظهر عمل الرقابة في الحلم في شكل ثغرات وفجوات تلحق تذكره، وفي الغموض والشحوب الذي يتبدّى على بعض عناصره، وفي ضروب التحوير والتلميح والإشارة التي تتناوله، والإزاحة لمركز الاهتمام بالحلم بحيث يأتي على النحو المعروف فيه من الغرابة.

ولا يُقصِر فرويد الرقابةعلى ما هو لا شعوري في حياة اليقظة وأثناءالنوم، فهناك أيضاً رقابة على ما هو قبل شعوري. وفي نظريته الثانية في الجهاز النفسي تمهّد الرقابة التي يمارسها الأنا أصلاً لظهور فكرة الأنا الأعلى، وتتمثّل رقابته في الملاحظة الذاتية التي يضطلع بها الضمير.

ويطرح فرويد إصطلاح الرقابة كمفهوم يصف العلاقة الديناميكية بين الأجهزة النفسية، ونلمس أثرها في

المقاومة ضد التأويل التحليلي، وضد تأويل الأحلام، ونصادفها خلال عملية إخراج الأحلام. وتختلف شدة المقاومة أثناء عملية التأويل باختلاف الشدة النفسية للعناصر المأولة. وهناك نزعات تَفرِض الرقابة. ونزعات تُفرَض عليها الرقابة، وهذه مسألة جوهرية لفهم النشاط النفسي برمته والأحلام بصفة خاصة. فأما النزعات التي تَفرض الرقابة فهي تلك التي يرضى عنها الأنا سواء في اليقظة أو في النوم، وأما النزعات التي تُفرَض عليها الرقابة فهي تلك التي نستنكرها وتتنافر مع وجهة نظرنا الأخلاقية أو الجمالية أو الاجتماعية، ولا نجرؤ على التفكير فيها إلا أن يكون تفكيراً يقترن بالمقت والرفض. وفي أحوال المرض والنوم يتهافت الأنا وتضعف الرقابة وتهزل المقاومة، فتخرج الرغبات والعواطف الممنوعة والمكبوتة في شكل أغراض عصابية أو أحلام مشوّهة أو زلاّت لسان وهفوات، إلخ.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1900)

: Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1917)

: Jokes and Their Relation to the Unconscious. (1905)

❖ ❖ ❖

– الرمزية...

- **Symbolism (E.);...**
- **Symbolisme (F.);...**
- **Symbolismus (D.)...**

تُستخدم الرمزية في الأحلام والأساطير والخرافات والأقوال والأغاني الشعبية، وفي اللغة الدارجة وأخيلة الشعراء، وميدان الرمزية متسع، وليست الرمزية في الأحلام إلا جزءاً صغيراً منها. والفرق بين الرمزية في تلك الميادين وبينها في الأحلام، أنها في الأحلام تكاد

تقتصر على الرمزية الجنسية. وتوصَّل البحث في هذه الميادين بطريقة التحليل النفسي لنتائج كانت محل اهتمام مجلة إيماجو الدورية التي توفرت حركة التحليل النفسي على إصدارها بإشراف أوتو رانك وفرانز ساخس (١٩١٢)، وهي أوضح ما يمكن في مجال الأمراض النفسية، بل إن اللغة الأصلية الأولى التي تجتلي أعماق النفس هي لغة هذه الأمراض، وتتكون مفرداتها من الأعراض المرضية وأساليب التعبير المختلفة عند العصابيين، وينصرف مجهود التحليل النفسي إلى تفسيرها وعلاجها.

والرمزية عامل ثانٍ مستقل من عوامل مسخ الحلم وتحريفه، وتقوم جنباً إلى جنب مع الرقابة. وللحالم معرفة لاشعورية باللغة الرمزية تستمدّ أصولها من الواقع. وكانت صياغة كل كلمة ينطق بها أثناء العمل الجمعي عند الإنسان الأول يحكمها اتصال الكلمة بالفعل العادي والفعل الجنسي، وكان هذا هو موقف الأجيال التالية من كل كلمة جديدة، إذ كانت تطبق على نوع جديد من العمل وتتخذ دلالة جنسية في الوقت نفسه، وبذلك نشأت طائفة من الكلمات يمكن تأويلها جنسياً حتى ليمكن القول إن هناك تعابير رمزية تتخذها الأحلام لها تراجم ثابتة كالتراجم التي نجدها في الكتب الشعبية الدارجة عن تفسير الأحلام. والمعرفة بهذه التعابير الرمزية وإحالاتها الدلالية تفيد في تفسير الحلم بالاشتراك مع منهج التداعي الحر الذي يساعد على الإحاطة بمدلول الرمز عند الحالم شخصياً. والرمز في الحلم هو عِوَض فكرة لاشعورية. وفك الرموز الحلمية بإظهار العلاقة بينها وبين الأفكار الحقيقية المستترة وراءه هو المثل الأعلى للتأويل الشعبي للأحلام طبقاً للنظرية القديمة في التأويل. والعلاقة بين الرمز والفكرة تقتضي شروطاً معيّنة كي تصبح علاقة رمزية حلمية حقيقية، ولا تصطنع الأحلام الرموز لأي شيء ولكل شيء، بل لعناصر معيّنة من الأفكار الكامنة للحلم فتستحيل بها العلاقة الرمزية علاقة مقارنة. وليست الأشياء التي تصوّرها الأحلام رمزياً كثيرة، ومن ذلك جسم الإنسان في مجمله، والأبوان، والأطفال، والإخوة والأخوات، والولادة،

والموت، والعري. وقد يبدو جسم الإنسان كثيراً في الأحلام مرموزاً إليه بالمنزل، كما يبدو الأبوان في صورة الملك والملكة أو الإمبراطور والإمبراطورة، والإخوة والأخوات في صورة الحيوانات الصغيرة، والموت قد يُرمز إليه بالترحال أو السفر، والعري قد يتخذ رمز التزيي بالزي الرسمي. وتتنوّع الرموز الجنسية كثيراً، والغالبية العظمى من الرموز في الأحلام هي رموز جنسية، ومن ذلك أن يُرمز للقضيب بالعصى الأغصان والأشجار والمدى والخناجر والحراب والسيوف والبنادق والمسدسات والمصابيح المدلاّة والصنابير والنافورات، ويُرمَز لفرج المرأة بالحُفَر والتجاويف والكهوف والقوارير والصناديق والجيوب، ويرمز للثديين والأرداف بالفواكه وصناديق الحلى والكنوز.

وليس من السهل تأويل هذه الرموز، والكثير منها يشير إلى الأعضاء الجنسية إجمالاً، وقد يستعمل الرمز الذكري للإشارة إلى جزء من الجهاز التناسلي الأنثوي أو يحدث العكس. والمعرفة بالرموز وتراجمها تتحقق للمحلل النفسي من الاطلاع على مصادرها في الأساطير والخرافات والنكات والفكاهات والأدب الشعبي، أي مما نعرف عن العادات والعرف، ومن الحِكَم والأغاني عند الشعوب المختلفة، ومما نعرفه من لغة الشعر واللغة الدارجة، فحيثما بحثنا في هذه الميادين نلتقي بالرموز حتى لنستطيع أن نميّزها تلقائياً.

ويعود انتباه فرويد لتأثير الرمزية في الأحلام لمرحلة متأخرة وبتأثير من شتيكل. ورغم صدور كتاب «تأويل الأحلام» سنة ١٩٠٠ فإن الجزء الخاص بالرمزية لم يُضف إليه إلا سنة ١٩١٤، ومع ذلك فإن اهتمام فرويد بالرمزية كان أقدم من ذلك، ففي كتابه «دراسات في الهيستيريا» الذي أصدره سنة ١٨٩٥ يشير إلى رمزية الأعراض. والرموز في مفهوم فرويد عناصر خرساء في الحلم تحتاج لتأويل، وتقوم الرموز أساساً على المشابهة بينها وبين الرموز إليه في الشكل أو الحجم أو الوظيفة.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1900)

: On the History of the Psychoanalytic Movement. (1914)

: Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1917)

- Jones, E.: The Theory of Symbolism in Papers on Psychoanalysis. (1948)

❖ ❖ ❖

- روجرز، كارل...

- Rogers, Carl...

أميركي من مواليد سنة ١٩٠٢، قال بما أُطلق عليه «العلاج غير الموجه Directive therapy» أو «العلاج المركز حول العميل Client - centered therapy»، ونظريته فيه تقوم على نظرية التحليل النفسي عند فرويد. فعن طريق العلاقة الشخصية الوثيقة التي يعقدها المعالج مع المريض، واسمه عنده العميل، يشعر هذا العميل أنه مهم، وأن ما يقوله أو يحسّه يجد من ينصت له ويناقشه معه، ومن ثم يعيش الخبرات التي كانت له من جديد، وإنما بطريقة مختلفة يجد فيها نفسه، ويتعرّف على ما كان يتهدده من هذه الخبرات، وأسباب إنكاره لها، ولا يعود يخشى أن تعاوده الخبرة، أو أن يدخل خبرة مشابهة، وينفتح له العالم من حوله. ويقول روجرز بمفهوم للذات يشبه مفهوم فرويد عن الأنا، والذات Self عنده هي وعي الفرد بوجوده ونشاطه، أو مجموع الخبرات التي تنسب لضمير المتكلم أنا، وهي تتمايز من المجال الإدراكي الكلي بالتدريج بدءاً من الطفولة. فمن بين أنواع التمييز التي يتعلمها الطفل تمييزه لذاته عن البيئة، فيدرك أن هناك أشياء فيها تخصه وأشياء تخص البيئة، ويضفي عليها قيماً في ضوء ما يحبه منها وما لا يحبه، ويصبح عنده بناءً للذات صورة منظمة قائمة من الوعي كشكل أو كأرضية للذات ولعلاقتها بالبيئة والقيم. وقد ينشأ لديه صراع يجعله يراجع مجموع القيم

عنده أو صورته عن ذاته. وطريقة العلاج المتمركز حول العميل هي طريقة للعلاج بتغيير مفهوم الذات. ويقول روجز إن بكل أنا جهازين: الذات والكائن الحي الذي تلحّ عليه حاجاته العضوية، والذات بمثابة الأنا، والكائن الحي بمثابة الهو، وما لم يعمل الجهازان في انسجام فإننا نعاني التوتر وسوء التوافق. وينشأ سوء التوافق نتيجة وجود حاجات عضوية لم يكن الفرد على مستوى الوعي بها، ومن ثم لم تدخل في بناء الذات ولم تنتظم فيه. والذات عند روجرز هي الأنا تماماً، وهي التي تختار الخبرات التي تناسب بناءها وتستبعد تلك التي لا تناسبه، وأي خبرة لا تتسق مع بناء الذات قد ندركها كتهديد. وتدافع الذات عن نفسها بمختلف الحيل الدفاعية التي قال بها فرويد. وفي العلاج المتمركز حول العميل تُستدعى هذه الخبرات في جلسة التحليل النفسي التي تخلو من أي تهديد، ومن ثم يستطيع العميل أن يكشف عن مشاعره اللاشعورية ويرفعها إلى المستوى الشعوري ويتمثلها، ويستلزم ذلك إعادة تنظيم مفهوم الذات أو الأنا ليتسق مع واقع هذه الخبرات.

ويصف روجرز طريقته بأنها ظواهرية، لأنها تشترط لتكامل وصحة بناء الذات أن تكون التصوّرات عنها متفقة مع مكوّنات المحال الظاهري، وذلك منتهى ما يمكن أن يبلغه ارتقاء الشخصية، وإذا تحقق فإنه يمثل تحرّراً من التوتر الداخلي والقلق، وهذا هو حد الكمال في التوافق مع الواقع.

مراجع

- Rogers: The Clinical Treatment of the Problem Child. (1939)

:Counseling and Psychotherapy: Newer Conceps in Practice. (1942)

: Client - centered Therapy: Its Current Practice, Implications and Theory. (1951)

: On Becoming a Person. (1961)

❖ ❖ ❖

- رورشاخ، هيرمان...

- **Rorchach, Hermann...**

(١٨٨٤ - ١٩٢٢) إشتهر بالاختبار الإسقاطي الذي ارتبط باسمه «إختبار رورشاخ Rorchach test» (١٩٢١) وهو نفسه اختبار بقع الحبر إلا أن رورشاخ طوّره وقنّنه، وصار هذا الاختبار من أكثر الوسائل الإسقاطية استخداماً في مجال التشخيص، ويشتمل على عشر بطاقات أو لوحات موسومة ببقع الحبر، ويتفاوت فيها السواد والبياض والظلال، ومنها ثلاث بطاقات بألوان مختلفة، وتعطى البطاقات للمفحوص تباعاً ليرى فيها رأيه وما تمثله أشكالها، سواء ككل أو كتفاصيل، وباعتبار اللون والظل والحركة في الشكل، وباعتبار المضمون الذي يراه لها، ومعقولية ما يراه، وبسرعة التجاوب مع كل ذلك، والشعور بالألفة مع المحتوى المفترض. ويكشف الاختبار عن أبعاد الشخصية، كقربها من الواقع، وثرائها العقلي، وميكانيزماتها الدفاعية. والاختبار وسيلة من وسائل التحليل النفسي، وكان رورشاخ بارعاً فيه، وتحصَّل له العلم به من مصادر ثلاثة: بلويلر رفيق فرويد في اكتشاف التحليل النفسي، وتتلمذ رورشاخ عليه، وأشرف بلوير على رسالته للدكتوراه (١٩١٢) من جامعة زيورخ، ومن فرويد الذي قرأ له بشغف واستوعبه تماماً، ثم من يونج وقد عاصره في زيورخ، وهؤلاء الثلاثة صنعوا حركة التحليل النفسي وطبعوها بطابعهم. وشارك رورشاخ في الحركة في تواجدها في سويسرا، وصار نائب رئيس جمعية التحليل النفسي السويسرية. وطريقته كما يشرحها في كتابه «التشخيصات النفسية Psychodiagnostics) (١٩٢١) تعتمد على الكشف باختباره المسمَّى إختبار رورشاخ عن نمط الخبرة عند المريض، أو نمط طباعه وأخلاقه. وتشرح زوجته أولجا رأيه فيما ينبغي أن تكون عليه الشخصية السوية - وهي المعيار التي تقاس إليه الاستجابات على اختبار رورشاخ - بأنها الشخصية التي يتوازن فيها الانطواء والانبساط، وتستوي فيها الميول - للداخل والخارج Ambiequal، فلا

هي شخصية متمركزة حول ذاتها، ولا هي مسرفة في الاعتماد على الغير. ولعلّ اختبار رورشاخ يُصلح كاختبار نموذجي عندما يكون استخدامه بالإضافة إلى اختبارات أخرى من قِبَل محلل متمرّس بهذه الاختبارات وتحليل الاستجابات عليها. وكما قال فرويد إن الاختبارات المصمّمة حتى الآن تقيس نواح محدّدة من تطوّر الأنا، وهي لازمة ولا غنى عنها عندما يكون المطلوب التمييز بين النقص العقلي وتشوّه الوعي بالواقع من خلال الإنكار المفرط. ويفيد اختبار الرورشاخ في الإلمام أكثر بالتطور الذي آل إليه حال اللبيدو وما عليه من اضطرابات.

مراجع

- F. Brown:The Present Status of Rorschach Interpretation. (!957)

- R. Schafer: Psychoanalytic Interpretation in Rorschach Tesng. (1954)

❖ ❖ ❖

- روهايم، جيزا...

- Róheim, Géza...

(١٨٩١ - ١٩٥٣) تعلم على ساندور فيرينزي، وكان إعجابه بفرويد من خلال كتابه «الطوطم والمحرم»، وفيه وجهة نظر فرويد ومدرسته في تفسير الثقافة. وروهايم أنثروبولوجي أصلاً، واهتمامه بالثقافات القديمة، وقد كتب بحثاً في الطوطمية عند الاستراليين البدائيين يعاضد فيه فرويد فيما ذهب إليه، وحصل على جائزة فرويد لعام ١٩٢١، وشجعته الأميرة ماري بونابرت على القيام برحلة إلى جزر المحيط الهادي ليدرس على الطبيعة القبائل البدائية، وليرد على مالينوفسكي الذي كان يعرض نظرية فرويد في عقدة أوديب، وكان مالينوفسكي قد ذكر أن مجتمع تروبرياند مجتمع خؤولي، والعلاقة فيه بين الطفل وخاله وليس بينه وبين أبيه، ولا مجال من ثم لظهور عقدة أوديب. وأثبت روهايم صدق فرويد من خلال دراسة قبائل استراليا الوسطى، وأكد أن الصراع الأوديبي مسألة

عامة وأساسية في تكوين الأفراد. وكان فرويد قد ذكر أن الطوطم رمز للأب الأولي، وأن المشاعر تجاه الأب من قبل الأبناء تتمثل في الاحتفال سنوياً بقتل الطوطم الرمز والمشاركة في تناول لحمه، وهذا الاحتفال بمثابة إحياء لجُرم قديم تمَّ في العصور الأولى ضد الأب الحقيقي للقبيلة، ويتم حالياً رمزياً ضد الأب المفترض وهو الطوطم، إلا أن روهايم خالف فرويد مع ذلك في تفسير الاحتفالات الطوطمية، ولم يذهب مذهب فرويد، بل نبّه إلى أن هذه الاحتفالات بمثابة النكوص للمرحلة الفموية وإحياء لهذه المرحلة، وأن العادات والتقاليد جميعها، والثقافة برمتها، ينبغي إرجاع أصولها لمرحلة الطفولة الأولى - طفولة الفرد وطفولة الإنسانية، وأن الإنسان إبن طفولته، وأنه دائم الحنين لهذه الطفولة. وعلاقة الطفل بأمه من أقوى العلاقات، وهي أساس كل اجتماع إنساني، وبالإضافة إلى أنها واقع بيولوجي فإن الإنسان ربما كان هو الوحيد من بين سائر الكائنات الحيّة الذي له مدة رضاعة هي أطول مدة ممكنة، وفيها يعتمد لسنتين إعتماداً تاماً على الأم، ثم اعتماداً جزئياً عليها لمدة قد تتراوح بين العشر سنوات والعشرين سنة، بتأثير حاجاته البيولوجية وارتباطاته النفسية والاجتماعية بها، وربما يرتبط بها مدى الحياة، ولذلك جانبه السلبي وجانبه الإيجابي، ومن سلبياته الغيرة على الأم، والتنافس والتباغض عليها بين الإخوة، وبينهم وبين الأب، وما يستتبع ذلك من مشاعر وأفكار دونية، ومخاوف وتوترات وقلق، ولعلّ القلق المسمّى بقلق الانفصال هو أكثر ما يعانيه الطفل في علاقته بأمه مبكراً، وربما كان خوفه من الإخصاء من الأب هو الخوف الأولي الذي تتربى عليه كل المخاوف الأخرى، وهذه المشاعر والأفكار هي سبب التمايز بين ما يسمّى الأنا واللاأنا، أو الذات والعالم الخارجي، وبين الأنا والغرائز أو ما يُسمَى باللاشعور أو الهو. وعلاقة الطفل بأمه هي المصدر الأول لمشاعر الإشباع واللذة، وغياب الأم أو انفصاله عنها وافتقاده لها هو المصدر الأول للانزعاج والكدر والألم والقلق. والأم هي المعلم الأولى للطفل، وعن طريقه تحلّ أنماط السلوك المتعلم محل أنماط السلوك الغريزي، والأم إذن تنهض عليها كل

القيم، ومرحلة الطفولة هي المرحلة الأساس لكل التوجهات الثقافية. والشيء نفسه مع الأحلام، فالإنسان يزاوج بين الحاضر والماضي في الحلم، ويصل بين العالم الذي يعيشه حالياً العالم الذي كان له في الطفولة، والنوم وسيلة نكوص لدنيا الرحم. ونظرية روهايم في الثقافة تفسر الصراعات التي للإنسان حالياً، والسلوكيات العدوانية التي يأتيها، والقلق الذي يتبدى فيها، ومحاولاته للتواصل بالناس، وأن يستعيد في علاقاته بهم الرابطة الأساس - رابطة الطفل بأمه، ولا يحدث العدوان إلا نتيجة للإحباط في تحقيق ذلك، وليست الاحتفالات الطوطمية إلا تعبيراً عن العدوانية في الإنسان كرد فعل للقلق الأساسي - قلق الانفصال عن الأم في الطفولة، والإنسان - بسبب موقفه الأوديبي خلال مرحلة الطفولة - يأتي من أن سلوك الراشد ما هو بمثابة ردود الفعل على ما عاناه أو خبره من هموم وتوترات أو رعاية وعناية في الطفولة، بحسب كل مجتمع، وبحسب استدماجه لردود الفعل هذه في تنشئته. وكلما كان المجتمع صغيراً وفي استكفاء ذاتي، كلما كانت الفرصة متاحة أن تثمر العلاقة بين الأم والطفل نمطاً سائداً من أنماط الشخصية القومية. ويقول روهايم إن الإنسان اخترع الثقافة والحضارة وقتل الأب والزنا بالمحارم كما يقول فرويد، فإن الإنسان صار له الأنا الأعلى وغريزة الاجتماع، وبدلاً من أن تظل للإنسان وسائله ونظمه البالية على زعم فرويد، فإنه يسعى إلى أن يخترع الجديد ليكيف حياته ويوفق بين نرجسيته وشخصية الأشياء من حوله. والثقافة في رأي روهايم هي نظام دفاعي ضد خوف الإنسان من أن يفقد سيطرته على ما حوله، وأن يُنتزَع منه ما يمتلكه، أي ضد قلق الانفصال عموماً.

مراجع

- Roheim:The Origin and Function of Culture. (1943)

: War, Crime and the Covenant.(1945)

: The Eternal Ones in Dreams. (1945)

: The Anthropological Evidence and the Oedipus Complex (1952)

: Telepathy in a Dream. (1953)

❖ ❖ ❖

- ز -

حرف الزين

- زنا المحارم...

- Incest (E);...
- Inceste (F);...
- Blutschande (d)...

تُطلق المحارم على من يُحرَّم الزواج بهن بسبب القرابة. ولا يخلو مجتمع من هذا النظام. وتختلف المجتمعات في التضييق والتوسيع من نطاق القربة الشاملة للتحريم، فعند القبائل الاسترالية كان هذا النطاق شديد السعة حتى ليشمل كل طبقات القبيلة إن لم يكن كل أفرادها، وعند العبرانيين والمصريين والفرس واليونان ضاق هذا النطاق حتى كان يُباح زواج الأخ من أخته، والأب من إبنته، والأعمام والأخوات من بنات الأخ أو الأخت.

ويدخل مفهوم المحارم في التحليل النفسي ضمن ما اصطلح عليه باسم عقدة أوديب، ويتوجه فيها تحريم نكاح الأقارب إلى العلاقة بين الأم وابنها، وبين الأب وابنته. وتناول فرويد الزنا بالمحارم باستفاضة في كتابه «الطوطم والمحرم» (١٩١٣)، والمحرم الذي يقصد إليه هو نكاح المحارم، وتدخل المباحث فيه فيما يُسمَّى علم نفس الشعوب. ويرمز الطوطم إلى الأب، ويرد فرويد إلى الطوطمية نشأة الزواج بالأباعد أو الأجنبيات. وبانتساب القبيلة جميعها إلى طوطم أو أب واحد يعتبر كل الأبناء للبنات، فكل الآباء بمثابة أب واحد، وكذلك الأمهات، إلخ. وجميع الذين ينحدرون من الطوطم الواحد يؤسّسون أسرة واحدة تعد فيها قرابة الطوطم، لا قرابة الدم، مانعة للاتصال الجنسي منعاً باتاً، وكأن ما يعانون منه هو رهاب تحريم، ويدرج الاتصال الجنسي بين الأقارب بمقتضاه ضمن ما يسمى «المجتنبات Avoidances».

ويقول فرويد في تفسير الخوف من المحارم إنه سمة طفلية في جوهرها ويتمشّى مع ما نعرفه عن الحياة النفسة للعصابيين، ويدلنا التحليل النفسي على أن الموضوع الأول الذي يقع عليه الاختيار الجنسي للولد تكون له طبيعة محرمية مذمومة ويتمثّل بأمه أو أخته، وكلما تقدم الولد في العمر كلما تخلّص من هذا الانجذاب الجنسي المحرّم. ونلقى لدى

العصابي بصورة مطردة آثار لا يستهان بها من الطفالة النفسية، إما لأنه عجز عن التحرّر والتخلّص من مواضعات الطفالة الجنسية، وإما لأنه انكفأ نحوها. وتلعب التثبيتات الدور الرئيسي في الحياة النفسية للراشد الذي سيكونه هذا الولد، ويُصاب غالباً بالعجز الجنسي ومختلف الأعراض العصابية الأخرى نتيجة المعاناة من الرغبات اللاشعورية التي مدارها اشتهاء أو حب المحارم.

مراجع

- Freud: Three Essays on The Theory of Sexuality . (1905)
:Totem and Taboo. (1913)

❖ ❖ ❖

- س -

حرف السين

– السادية...

- **Sadism (E);...**
- **Sadisme (F);...**
- **Sadismus (D)...**

السادية هي النقيض للماسوشية، كما أن الإيجابية هي المقابل للسلبية. ويرجع إسم السادية لكرافت إيبنج أساساً، وهناك آخرون فضّلوا إسم شهوة الألم الإيجابية Active algolagnia بالنظر إلى أنه أكثر توصيفاً لهذا الانحراف الجنسي، وأكثر تحديداً للمعنى المقصود، حيث ترتبط القسوة في السادية بلذة إيقاعها بالغير. والجنس بطبيعته فيه عدوانية، فعلى الذكر أن يُخضع الموضوع الجنسي أولاً ويتغلّب على مقاومته، والسادية على ذلك هي متحصل الجزء العدواني من الغريزة الجنسية وقد استحالت له السيطرة على الغريزة برمتها. ويتراوح فهم السادية في الكلام العادي بين مجرد السلوك بإيجابية تجاه الموضوع الجنسي من جهة، وبين التوفر على إذلال الموضوع وإساءة معاملته من جهة أخرى، وهذا الاتجاه المتطرّف الأخير هو تحديداً الذي يستحق أن يوصف وحده بالانحراف.

وكانت هناك دائماً عبر التاريخ البشري علاقة وثيقة بين القسوة والغريزة الجنسية، ولم يحدث أن كانت هناك محاولات لتفسير قيام هذه العلاقة فيما عدا ما قيل من أن لليبيدو جانبه العدواني، وأن مرد السادية هو هذا الجانب، ولربما تكون السادية أثراً من العهود السحيقة التي كان الإنسان فيها يأكل لحم الإنسان ويلذ له ذلك. وقد تظهر السادية كفعل شعوري، وغالباً ما يكون انتهاجها لا شعورياً. وتوصف بعض العمليات النفسية الداخلية بالسادية كما في حالة الأنا الأعلى الذي يظهر تمزقاً شديداً ويبدي قسوة مغالى فيها تجاه الأنا. وتوجد السادية والماسوشية لتزاوج غريزي في كل فرد، ويتناوب ظهورها منذ الطفولة الباكرة بحسب مراحل العمر، ففي المرحلة الفموية التي تكون الأسنان قد ظهرت فيها وبدأ الطفل يمارس العض، تتغلّب السادية، وتُعطَى إسم السادية الفموية Oral Sadism، وفي المرحلة الشرجية التي تتميّز بعناد الطفل إزاء

إخراجه وإمساكه عن الإخراج تكون السادية الشرجية Anal sadism ، وفي المرحلة القضيبية حيث زهو الصبي واعتداده بقضيبه تكون السادية القضيبية Phallic Sadism.

مراجع

- Freud: Three Essays on the Theory of Sexuality. (1905)

: Instincts and their Vicissitudes. (1915)

❖ ❖ ❖

– السِّحر...

- **Magic (E.);...**
- **Magie (F.; D.)...**

يقول فرويد في المقالة الثالثة التي يتضمنها كتابه «الطوطم والمحرم» (١٩١٣) تحت عنوان الأحيائية والسحر والقدرة المطلقة للأفكار أنه في المرحلة الإحيائية من التطوّر السيكولوجي للبشرية يكون الاعتقاد في الأرواح، وأن كل ما في الطبيعة له نفس أو روح ويحيا بحياة. والبدائي في هذه المرحلة لا يفصل بين أناه والعالم الخارجي، وما يرغب فيه يتصوّر أنه يتحقق له لمجرد أن تتوجّه إليه رغبته وإرادته وتفكيره، وشأنه في ذلك شأن الطفل الذي لا يفرق بين أن يشتهي الشيء وأن يكون له. والبدائي يتوهم أنه بالتفكير لا بالعمل يستطيع أن يغير الأمور ويحوز ما يصبو إليه، وطالما أنه يستطيع أن يتحكم في أفكاره فهو يستطيع أن يتحكم في الطبيعة التي أفكاره صورة لها. والطبيعة كلها أرواح للجماد والحيوان والطير والناس، والسحر هو تقنية الأحيائي للتأثير في الأرواح والسيطرة عليها وتوجيهها الوجهة التي تخدمه، فيُخضع من ثم ظاهرات الطبيعة، ويحمي نفسه من الأعداء والأخطار، وتكون له القدرة على إلحاق الأذى بالأعداء. والمبدأ الذي يقوم عليه السحر في تعريف تايلور هو «أخذ علاقة وهمية بطريق الخطأ محل علاقة فعلية» ومن ذلك مثلاً استنزال المطر،

بأن يحاكي الساحر فعل المطر، بإدرار الماء من إناء كالمطر. ومنه أيضاً إلحاق الأذى بالغير بصناعة تمثال من طين مثلاً على غرار الغير، ثم إصابة التمثال بالسوء. والسحر في هذين المثلين هو التشابه بين العمل المؤدَّى والظاهرة المرغوب في حدوثها، وهو استبدال قوانين الطبيعة بقوانين سيكولوجية، لأن بواعث السحر هي على الدوام الرغبات البشرية، والإنسان البدائي، أو كل إنسان يؤمن بالسحر ويعيش المرحلة الإحيائية، به هذه الصفة، إنه يثق ثقة مفرطة ومجاوزة للحد في قدرة رغباته قدرة مطلقة على أن تتحقق لمجرد أن ينصرف ذهنه إليها ويركز عليها تفكيره. ويثق هذا الإنسان أن كل ما يسعى إليه بالسحر لا بد أن يحدث لمجرد أنه يريد حدوثه. والفرق بين البدائي والطفل أن البدائي له من القدرة الحركية الهلوسية ما يستطيع أن يصاحب به أفكاره الهلوسية ويتحقق له هذا الإشباع المتوهم، على عكس الطفل الذي لا يأتي ذلك إلا بطريق واحد فقط هو الدُّمى والألعاب، وكلاهما يعتم على التصوّر المحاكي والثقة المفرطة في الإرادة المرتبطة بالرغبة. ومع مرور الزمن تنتقل النبرة النفسية من حوافز العمل النفسي إلى وسائل العمل، ثم العمل نفسه. ومع استمساكه بالظواهر يرسخ في نفسه الاقتناع بأن العمل السحري هو الذي يتأدّى، بفضل تشابه مع ما يرغب فيه، إلى تحقيق الحدث المرغوب فيه. والخلاصة أن المبدأ الذي يحكم السحر هو مبدأ القدرة المطلقة للأفكار.

(أنظر القدرة المطلقة للأفكار).

مراجع

-Freud:Totem and Taboo. (1913)

- E.B Taylor: Primitve Culture. (1891)

❖ ❖ ❖

– السَّخافة...

- **Absurdity (E.);...**
- **Absurdité(F.);...**
- **Absurdität (D.);.**

دَرَس فرويد السخافة كما تظهر في الأحلام، وفي الفكاهات وغير ذلك من العمليات النفسية التي موضوعاتها مسائل غير معقولة وتبدو كأنها مجرد كلام فارغ. وكثيراً ما ينطلق الإنسان بالسخافات، أو يفكر تفكيراً سخيفاً. والأحلام تحفل بالسخافات، وفرويد ينبّه إلى أن هذه السخافات ربما كانت تعبيرات مقنّعة للتمويه على الرقيب، ووجه السخافة فيها مقصود ومتعمد، إلا أنها مع ذلك سخافة لها دلالاتها، وهي جزء من المحتوى الذهني لأفكار الحلم. وفي حياتنا الشعورية يأخذ التمرّد على السلطة شكل تعبيرات مقنّعة سخيفة نرضى عنها وتعطينا لوناً من اللذة العدوانية. وفي الفكاهة والكاريكاتير، والتهريج عموماً، يسعدنا أن نسخر من رموز السلطة عندما نصورها في أشكال طفولية، وفي الدين نرفع اللامعقول إلى مستوى ما هو فوق العقل ونقبله كموضوع يُسعدنا أن نؤمن به.

(أنظر أيضاً الكاريكاتير Caricature، والمضحك Comic، والنكتة وعلاقتها باللاشعور).

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1900)

❖ ❖ ❖

– سوليڤان، هاري ستاك...

- **Sullivan, Harry Stack...**

(١٨٩٢ – ١٩٤٥) له نظرية العلاقات المتبادلة في العلاج النفسي The interpersonal theory of psychiatry، ويذهب فيها إلى أن الشخصية هي سلوك الفرد في علاقاته بغيره، وأنه لا وجود للشخصية إلا حيث توجد العلاقات

المتبدلة، وأنه عند دراسة الشخصية فإن ما يمكن أن نتوجه إليه هو الموقف الشخصي المتبادل بين الفرد والأغيار، وأن تنظيم الشخصية قوامه الوقائع المتبادلة بين الفرد والأغيار، بل إن العمليات النفسية والعقلية، كالحلم والتذكر والإدراك والتفكير والتخيّل، إلخ، هي رجع صدى للعلاقات الشخصية المتبادلة، وترتبط بأشخاص وليست بعيدة عن تأثيرهم. وتتميّز هذه العلاقات المتبادلة بدينامياتها، أي توجهاتها، وقد تكون ديناميّات عدوانية، أي توجهات تطبعها العدوانية، أو تكون ديناميات شهوية، أي توجهات شهوية، إلخ. وديناميات سوليڤان فيها الكثير من ديناميات فرويد، أو الواقع أن نظرية سوليڤان محاولة للتقري بين الفكر التحليلي النفسي كما هو في أوروبا وبين مفاهيم دينميات الشخصية الأميركية وخاصة عند وليام الانسون هوايت وأدولف ماير،فمثلاً الدينامية الشرجية التي يقول بها سوليڤان تقابل الشخصية الشرجية عند فرويد، وكذلك الدينامية الفموية، والجنسية. وأيضاً فإن عمليات التأمين Security operations التي يقول بها سوليڤان - أي عمليات إشباع الحاجات التي يكون بها خفض التوتر، فإنه يصطنع أشكالاً من الأساليب الدفاعية وضوابط السلوك. وتتشكّل وسائل ضمان الأمن التي يقول بها سوليڤان نظام الذات، وهو نفسه نظام الأنا عند فرويد، كما أن سوليڤان يقول بقلق أساسي هو أصل كل قلق لاحق، وأنه بسبب الانفصال عن الأم، تماماً كما قال فرويد. ويزيد سوليڤان على فرويد القول بالتشخّص Personification وهو أن تكون للفرد صورة عن ذاته أو عن ذوات الآخرين نتيجة لعلاقاته التبادلية معهم، وهذه التشخصات تبدأ معه منذ الطفولة، وما يكون لنا من تشخصات عن الأم الطيّبة أو الشريرة، أو الأب القاسي أو الرحيم، قد يستمر معنا من الطفولة ويؤثر على توجهاتنا ومشاعرنا إزاء الأفراد الذين تنطبق عليهم هذه التشخصات. وقد تتفق هذه التشخصات عند الناس عن مجموعة من الأفراد، كأن تكون عندنا مثلاً صورة نموذجية هي صورة المدرّس الغلبان، أو الفنان المهمل،

أو الخادمة الثرثارة، ويسميها سوليڤان صوراً نمطية Stereotypes، ولعلّ أبرز ما يجعل سوليڤان مغايراً لفرويد أنه يؤكد على الطابع النفسي الاجتماعي لنمو الشخصية، ويذهب إلى وجهة نظر تقول بتغيّر محتوى العلاقات الشخصية المتبادلة مع تغيّر مراحل نمو الشخصية. ومع أن الفرد عنده يمر ابتداء من الطفولة بالمراحل التطوّرية النفسيّة نفسها كالمرحلة الفموية، ثم الشرجية، ثم القضيبية، ثم التناسلية، إلا أنه في كل مرحلة تكون له خبرات تتكون بها التشخصات، ويكون بها تعيّنه بهذا أو ذاك من الأبوين، ويكون تحوّله الشرير بتأثير الخبرات المحبطة والبيئة الشريرة، أو تحوّله الخيّر إذا كانت الخبرات مؤاتية. ويهتم سوليڤان بعمليات التحوّل الاجتماعي عند الفرد، ويربط بين نظريته في تطوّر الشخصية ونظريته في العلاج النفسي حتى ليجعل منهما نظرية واحدة، ويجعل فيها للمعالج دوراً يتعدى دوره بطريقة فرويد، ويسمّى المحلّل النفسي بطريقته الملاحظ المشارك Participant observer، لأنه لا يكتفي بالملاحظة ورصدها كما عند فرويد بقدر ما يشارك في المقابلة بدور حيوي، حتى ليجعل سوليڤان للمعالج بطريقته إنفعالات كانفعالات المريض هي على التواصل بالمعالج. ويبدأ العلاج عنده بلقاء المعالج للمريض لقاءً رسمياً يدوّن فيه إسمه وشكاواه وملاحظاته على حركاته وتعبيراته واصطلاحاته اللغوية، ثم تكون لقاءات الاستكشاف بجمع المعلومات عنه وعن أسرته وأصدقائه، إلخ، ثم تكون لقاءات الاستفسارات المفصلة عن فترات المرض والشعور بالقلق والتوتّر وعمليات الأمن كلما واجهته مواقف عصيبة، وتاريخ ذلك من الطفولة، ثم تأتي المرحلة الأخيرة بإعادة صياغة المشاكل التي أوصلت المريض إلى المعالج وتلخيص ما اكتشفه عن علاقاته الشخصية المتبادلة وتأثيرها على تغيير اتجاهاته في علاقاته المستقبلة.

مراجع

- Sullivan:The Psychiatric Interview: The Interpersonal Theory of Psychiatry.

❖ ❖ ❖

- «السيرة الذاتية»

- «Autobiography» (E.);......
- «Ma Vie» (F.);...
- «Selbsdarstellung« (D.)...

رصد فرويد الأحداث المهمة من حياته في هذا الكتاب الصادر سنة ١٩٢٥، ويذهب النقاد إلى اعتباره أهم ما صدر في هذا العام. وكان وعي فرويد بنفسه واضحاً فيه، وكتب يرجو أن تكون نظرياته ذات فائدة للبشرية، وأن يكون ما اختطّه منها بمثابة فتح جديد وتقدّم للمعرفة الإنسانية، وقال عن نفسه إنه يهودي متعصب، وفاخر بأن تاريخ البشرية تأرجح بين الاتجاهين الجمالي أو الحسّي الذي كان للإغريق، والفكري الذي ما يزال للأمة اليهودية، وكان تطوّر اليهود عبر التاريخ تطوّراً ذهنياً. واعترف بأنه لم يقرأ كثيراً في الفلسفة، وأنه لا يدري بتمعن عن الديانات إلا الديانة اليهودية، وأنه قرأ التوراة والتالمود ويكاد يحفظهما، ولم يكن في بداية حياته يظهر التدين، وكان ينقم على جماعة المحلّلين السويسريين لأنهم مسيحيّون ملتزمون، ولكنه في نهاية حياته أسفر عن انحيازه وتعصبه، وباهى بالتوحيد اليهودي - أي القول بإله واحد، وأن شعب اليهود هو الشعب الوحيد الذي عرف هذه الوحدانية، فلما اختصّ الشعب الله بالعبادة إختّصه الله بأن جعله الشعب المختار. ويحفل كتاب السيرة الذاتية بالقصص الديني اليهودي، ويروي فرويد حكاية عن أبيه أن رجلاً انتزع بعض ثيابه اليهودية - أي ثياب والد فرويد - وألقى بها في الطين، فما كان من الأب إلا أن انحنى وتناول أشياءه وانصرف. وكان فرويد وقتها صبياً فثار من أجل والده ولم يعجبه تصرفه. وكان قد قرأ عن هاميلكار عنما جعله أبوه هانيبال يقسم على المذبح الروماني أن ينتقم من الرومانيين، وظل يحلم بأن يكون هو نفسه هاميلكار، وقال إن صورة هانيبال لم تكن تفارق مخيلته في حياته، وكان هانيبال وقَسَم الثأر في قلبه دائماً.. ولما أصدر كتابه « الطوطم والمحرم» كان يعرف أنه لم يعتقد في شيء بقدر ما اعتقد في هذا الكتاب، وأنه سيرسّخ الانقسام في حركة التحليل

النفسي بين الاتجاه اليهودي والاتجاه المسيحي أو ما كان يُسمّيه باختصار شديد التدين الآرى Aryan religiosity، وكان شديد الكراهية للمسيحيّة، وشديد النقد لها، وأوضح بجلاء أنه لم يتخذ صديقاً من غيراليهود، وأنه ما كره شيئاً قدر كراهيته لڤيينا، لأنه عرف فيها الاضطهاد ضد اليهود، وأبدى أسفه أنه محسوب على الشعب الألماني، وأن التجاهل له ولنظرياته بعد الحرب، وكذلك العداء الذي ناصبه إياه الجميع، لم يكن إلا بسبب أنه ألماني، مع أنه لم يشترك يوماً في حزب ألماني، ولا احتفل بمناسبة ألمانية. ويردّ فرويد كراهيته للمسيحيّة لخبراته الأولى في الطفولة أيام كانت له مربية كاثوليكية متزمتة، فكره تدينها وأعيادها. ويروي أنه كان منذ صباه مغرماً بقصص الفاتحين، وكان يحلم بأن يكون هو نفسه قائداً من القواد الكبار، وأنه لذلك اختار أن يكون إسم أخيه الوليد الإسكندر عندما سأله أبوه أن يختار له اسماً، وبرّر اختياره بأنه يريد أن يرى أخاه في دور الإسكندر الفاتح والمحرر. وأطلق هو نفسه إسم عمانوئيل على ابنه تيمُّناً باسم عمانوئيل كروميل الديكتاتور الإنجليزي، بدعوى أن كروميل هو الذي أعاد لليهود كرامتهم وردّهم إلى الديار الإنجليزية بعد أن طُردوا منها.

مراجع

- Jones;E.: The Life and Work of Sigmund Freud. (1953)

❖ ❖ ❖

– «سيكوباثولوجية الحياة اليومية»...

- **«The Psychopathology of Everyday Life» (E.);...**
- **«Psychopathologie de la Vie Quotidienne» (F.);...**
- **«Zur Psychopathologie des Alltagslebens» (D.)...**

هذا الكتاب صدر سنة ١٩٠٤، وبعد أحد ثلاثة كتب لفرويد تناول فيها

اللاشعور، وهي - بخلاف هذا الكتاب - «تفسير الأحلام» (١٩٠٠) و«اللاشعور» (١٩١٥)، وهو في الأهمية يأتي بعد «تفسير الأحلام» ومن ناحية إقبال القراء فهو الأول بلا منازع، وكان فرويد قد نشره على فترات قبل ذلك استغرقت ثلاث سنوات، ونال الكتاب فيها شهرة عظيمة، ونُشِر عشر مرات في حياة فرويد كان في كل طبعة يضيف إلى المادة العلمية في الكتاب بما يزيدها توضيحاً، حتى أن الطبعة الأخيرة جاءت أربعة أضعاف الطبعة الأولى في الحجم، وقال عنه فرويد إنه توخى فيه الجمهور، وأن يحظى بالإقبال منه، وأن يكون في الأمثلة المضروبة بياناً عملياً عما يريد أن ينبّه إليه من عمليات لاشعورية لها تأثرها ومجرياتها، وأنه تجنّب الاستغراق في التنظير، ومع ذلك فالكتاب به الكثير من التنظير الذي حاول أن يتجنبه، وكان قد بدأ في تكوين نظريته في اللاشعور في كتابه «تفسير الأحلام»، وفي كتاب «سيكوباثولوجية الحياة اليومية» يطوّر هذه النظرية. وابتداءً من هذا الكتاب يحاول أن يشرح بعمليات اللاشعور الكثير من مجريات الحياة النفسية، ويقصد بها هنا الهفوات، وزلاّت اللسان والقلم، ونسيان الأسماء للأعلام وللأماكن، والنسيان للمواعيد وللأشياء إلخ، من أمثال هذه الأشياء البسيطة والتي تشكل مع ذلك أهمية في حياتنا اليومية. والكتاب على ذلك من «الظواهر النفسية المرضية في الحياة اليومية»، ورغم الإسم فهو ليس من المؤلفات التي يمكن إدراجها ضمن علم النفس الكلينيكي، وفرويد له فضل إنشاء هذا العلم، إلا أن هذا الكتاب ينأى عنه، وينأى عن التنظير بمعناه القديم، فحتى وقت نيوتن وداروين وآخرين كان التنظير هو طابع العصر، ولكن بمجيء النسبية ونظرية الكم لم يعد للتنظير مكانته السابقة، ولذا لم يهتم فرويد قصداً بالتنظير في هذا الكتاب، وإن كان مع ذلك لم يستطيع التخلّص منه، وأورد على العكس الكثير من الملاحظات الكلينيكية. وإذا كان فرويد يكتب فيه عن النسيان فإنه لم يأتِ بنظرية جديدة فيه، فنظريته في نسيان الأمور التافهة للحياة اليومية مكملة لنظرية إيبنجهاوس في النسيان عموماً، غير أن نظرية

إيبنجهاوس وتجاربه كانت في مجال نسيان المقاطع غير ذات المعنى، وأما النسيان الذي يشير إليه فرويد فهو الذي يتناول أشياء مهمة ولها معنى من حياتنا، ولنسيانها قصد وله دوافع لاشعورية، ويستحثه الكبت، ويقول فرويد بما يسميه الذاكرة الحاجبة، وهي حاجبة لأنها تخفي وراءها الكثير من الذكريات الأخرى ولكننا بالتحليل النفسي ومن خلال منهج التداعي، وبمساعدة المحلّل نستطيع أن ننفذ إلى هذه الذكريات المستترة، والتي وإن كانت لاشعورية إلا أنها تعمل عملها في الشعور. ويقول فرويد أيضاً بما يسميه الدفاع الإدراكي حيث يعمل الإدراك على إعادة المؤثرات غير السارة وأن يكون استقباله فقط للسار منها، ونتيجة لذلك قد يحدث تشوّه أو تحريف في الإدراك نتيجة للتداخل بين غير السار والسار من الانطباعات. ومن اليسير تلخيص كتاب «الظواهر النفسية المرضية للحياة اليومية» باعتبار أن الحياة اليومية للإنسان تحكمها رغبات متنوّعة ومختلفة، وبعض هذه الرغبات تحت ظروف معيّنة تشق طريقها وتتدخل في المجريات النفسية الروتينية، ومن الممكن تحديد هذه الشروط وتوضيح العمليات النفسيةالتي تتضمنها.

وتعني الهفوة أن ينطق الإنسان بعكس ما يريد، أو قد يحدث أن تُدغَم عدة كلمات أو عبارات في بعضه. وتفسّر الهفوة بالتقاء أو بتداخل تعبيرين كل منهما له قصد مختلف. وفي تحريف الأسماء لا يتلخص الأمر في التعارض بين إسمين متشابهين ومختلفين، والغالب أن فلتات اللسان تنجم عن قصد مشين يتعلّق بالإسم المحرَّف ويشوهه. ونلاحظ هذه النزعة إلى المسخ والتحريف عند الذين يتعمدون قلب الكلام عن بذاءة أو دعابة. كما تفسّر نظرية الهفوات كل أنواع الهفوات الأخرى كزلاّت القلم، وعثرات القراءة، والخطأ في تنفيذ ما يطلب منا، والنسيان واستحالة العثور على أشياء حفظناها في مكان ونسينا أمرها. وبالطبع للتعب شرود الذهن والغضب دور في ذلك، كما لاضطرابات الدورة الدموية والدورة الحيضية واضطراب الانتباه، إلا أن فلتات اللسان تحدث أيضاً عند الأصحاء حدوثها عند المرضى. والبعض

قد يسهل عليه أن يتبيّن في نفسه الرغبة الدخيلة التي أفسدت النطق وتسبّبت في الزلّة، والبعض يشق عليه ذلك ولكن التحليل النفسي يكشفها من بعض العلامات في الموقف النفسي والمشاعر التي تكتنفه.

وثمّة مجموعة من الهفوات يطلق عليها فرويد إسم الأفعال العارضة أو العرضية لها دوافع ودلالات، وهي عمليات نفسية تشير إلى عمليات أخرى أهم منها. وجميع الهفوات والأفعال العارضة أو العرضية تنشأ عن تداخل المقاصد والنزعات المختلفة، وترتبط فيما بينها برباط من المعنى والمضمون، أو قد لا ترتبط، وهي علامات على صراعات بين هذه المقاصد والنزعات غير المتفقة، وربما تكون الصلة بينها صلة مصطنعة. وتكره النزعة الداخلية على أن لا تعبر عن نفسها فتؤكد وجودها رغم ذلك بأن تغير الصيغة اللفظية مثلاً، أو تختلط بالألفاظ الصحيحة أو تحلّ محلها، وقمع القصد إلى قول شيء هو الشرط الضروري لحدوث فلتة اللسان.

وتقترن الفلتات بمظاهر وجدانية بسيطة ولكن لها أهميتها، فنحن ننكر أننا لم نتورّط في الهفوة. وتشير زلّات القلم إلى ضجر من الكتابة والرغبة في الانتهاء منها، كما تنجم عثرات القراءة عن عملية إبدال كلمات أو حروف بكلمات وحروف أخرى، ويحدث الإبدال عن طريق تشابه الألفاظ. وفي أحوال تنفيذ القرارات والتقاعس عن القيام بها ربما تكون هناك رغبات دخيلة، وربما يكون السبب غير ذلك تماماً ويتصل بكراهية للرئيس أو بمن يتعلّق بهم القرار، أو بمكان تنفيذ القرار. ولعلّنا نرى في هذه النزعة إلى تفادي الألم واستحضار أي شيء يرتبط بمشاعر بغيضة. والنسيان وسيلة دفاعية تقي من الذكريات الأليمة، وأحياناً يكون نسيان الأشياء عن رغبة في ضياعها تكفيراً عن شيء لم نرضَ عنه، أو لأنها تخصّ آخرين نكرههم، أو لأنها أعطيت لنا في ظروف لا نحب أن نذكرها، ومن ذلك إسقاط الأشياء وإتلافها وتحطيمها فإنه يخدم ذلك الغرض أيضاً. ومن ذلك أيضاً أن البعض قد يعمل ما يعرّض به نفسه للخطر، أو يوقع الضرر والأذى بنفسه، وقد ينسب ذلك للمصادفة،

والمصادفة بريئة منه، وإنما السبب الرغبات الدخيلة المقصودة وذات المعنى والتي تأتينا لا شعورياً، وربما تكون مظهراً من دوافع من الكيد أو التكفير عن ذنب أو البذل أو القربان.

مراجع

- Freud: Introductory Lectures on Pshychoanalysis. (1917)

❖ ❖ ❖

– سيكولوجية المرأة...

- **Woman's Psychology (E.);...**
- **Psychologie de la Femme (F.);...**
- **Psychologie der Frau (D.);...**

يدرس فرويد المرأة مرتبطة بوظيفتها الجنسية، ولهذه الوظيفة أثر كبير على سيكولوجيها. ولا تكون الدراسة الشاملة للمرأة إلا من الناحية الفردية باعتبارها كائناً بشرياً بصرف النظر عن الوظيفة الجنسية. وفي تاريخ التحليل النفسي كانت هناك بحوثات في مجال سيكولوجية المرأة، نخص منهنّ في حياة فرويد روث ماك برنشفيك، وجان لامبل دي جروت، وهلين دويتش. ويذهب فرويد في تحليل المرأة إلى ما قبل تاريخها كامرأة، ونظرته تشريحيّة، والتمييز بين الذكر والأنثى هو التمييز بين الحيوان المنوي والبويضة، وتتكون منهما في كل من الجنسين أعضاء تخدم الوظيفة الجنسية، وتكون للجسم خصائص جنسية ثانوية. والذكر أو الأنثى المكتملان ليسا ذكراً خالصاً وأنثى خالصة ولكنهما مزيج من الاثنين، وإن زادت إعتبارات الأنوثة في الأنثى فإنها كزيادة إعتبارات الذكورة في الذكر. والفارق بين الأنوثة والذكورة من الناحية السيكولوجية قد يتمثّل في الفاعلية الذكرية والسلبية الأنثوية إبتداءً من الخلية الجنسية، فالحيوان المنوي نشيط، والبويضة مستقبلة، والذكر يطارد الأنثى بغاية التواصل الجنسي، والفعل الجنسي فيه عدوان، غير أن من الإناث في عالم الحيوان والإنسان من يكسر القاعدة،

وبعضهن أقوى وأعنف، وليست رعاية الصغار وظيفة قاصرة على الإناث في عالم الحيوان والإنسان. ولا تقتصر الفاعلية على الذكور عندما تختص بصلة الأم بطفلها. وقد يكون الغالب على طبيعة المرأة جنوحها للأهداف التي تكون فيها مستقبلة، وقد يكون ذلك فيها نتيجة التربية الاجتماعية التي تقسر النساء على اتخاذ مواقف سلبيّة. والمجتمع والتكوين البدني للمرأة يفرضان عليها أن تكبت العدوان في نفسها، وتقوّي بذلك نزعاتها الماسوشية، وتنطبع هذه النزعات بالطابع الشهوي. وينصرف التحليل النفسي لا إلى وصف ماهية المرأة، وإنما إلى الكيفية التي يصبح بها الطفل ذو الاستعدادات الجنسية المزدوجة بحيث تغلب عليه الأنوثة. وتظهر دراسة النمو الجنسي عند المرأة أن المرأة بطبيعته لا تتهيّأ لوظيفتها الجنسية دون مقاومة، وأن التغييرات الجنسية التي تلم بها تتم قبل سن البلوغ. كما تظهر الموازنة بين نمو الصبي ونمو البنت أن تطوّر النمو إلى امرأة سوية يصادف الكثير من العقبات أشق مما يصادفه التطور إلى الرجل. تكون البنت أقل عدواناً وعناداً واكتفاء بنفسها من الولد، وتحتاج أكثر إلى العطف، وهي لذلك أكثر طواعية واعتماداً على الغير، وتبدي من الذكاء ما تتفوق به على الذكور من سنها، وتفاعلها مع العالم الخارجي أقل إلا أن حيويتها أكثر، وكذلك تعلّقها بموضوعات هذا العالم، وهي أسبق في نموها، ويبدو أنها في الطور السادي الشرجي لا تكون أقل عدوانية من الصبي، وحين تبلغ الطور القضيبي تقلّ الفوارق وتكثر أوجه الشبه بينهما، ويكون لها سلوك الصبي، وتعبث ببظرها كعبث الصبي بقضيبه، ويظل أمر المهبل خافياً عليها. والبظر هو المنطقة الشهوية الغالبة عليها في الطور القضيبي. وتمرّ البنت بصعوبتين في نموّها، الأولى أن تنتقل الحساسيّة من البظر إلى المهبل تدريجاً بتقدم البنت نحو الأنوثة، والثانية أن يتحول حبها من أمها إلى أبيها في الموقف الأوديبي، ثم إلى موضوع آخر يمثل اختيارها الأخير في الحب، فكأن البنت عليها أن تمر بهاتين الصعوبتين: أن تغيّر منطقتها الشهوية، وأن تغيّر موضوع حبها. وقد تستمر المنطقة الشهوية متثبتة

على البظر، كما أن البنت قد تتثبت على حبها لأمها، أو لأبيها، وعندئذٍ تحدث كثير من المشاكل والانحرافات، ولا يتم التحوّل عادة بسهولة، بل تتراوح البنت مشاعر من المحبة ومن العدوان تجاه الأم أولاً، وقد تفصح البنت في الطور القضيبي عن رغبتها في أن تحمل الأم، أو أن يكون لها طفل من الأم، ثم قد تنقلب محبتها لها إلى كراهية، وربما تعجل بالكراهية فطام الأم للبنت، أو إنجاب طفل يزاحمها على ثدي الأم، وعندما تكتشف البنت أن شيئاً ينقصها عن الولد وهو القضيب، وترى بعينيها أن أمها مثلها ليس لها قضيب، فقد تفهم أنها مسؤولة عن حرمانها منه. ولا يختلف مضمون عقدة الخصاء عندها عن مضمونها عند الصبي، إلا في أن الصبي يصبح لديه خوف من فقد القضيب، بينما البنت تبدأ تعاني من شعور بالنقص يزداد عمقاً مع الأيام، وتتمنّى لو يكون لها مثل الولد، وتقع فريسة حسد القضيب الذي يشكّل تكوينها النفسي، ولا تستطيع الخلاص من تأثيره عليها إلا بشق النفس، ويظل في لاشعورها، ويحتفظ بشحنة ضخمة من الطاقة، ولعلّ ذلك هو ما اصطلح الرجال على التنويه به في النساء: إنهنّ أكثر شعوراً بالغيرة وإضماراً للحسد. وبعض النساء يظهر بهن الحسد عند مصادفة مشاكل في حياتهن تجعلهن ينكصن إلى مراحل طفلية سابقة يظهر بها هذا الحسد كتكوين ثانوي. واكتشاف البنت ما هي عليه من خصاء يفضي بها إما إلى العطالة الجنسية أو المرض النفسي، وإما إلى تحوير في الخُلُق بتكوين عقدة ذكورة، وإما إلى الأنوثة السوية. وعادة ما تدفع عقدة الخصاء إلى المرحلة التالية، وهي مرحلة عقدة أوديب، أي أن تحب أباها وترى أمها منافساً لها عليه. والخطورة في الموقف الأوديبي بالنسبة للبنت أنها تظل فيه مدة أطول من الصبي ولا تتركه إلا في مرحلة متأخرة من حياتها على نحو غير كامل، وفي هذه الحالة لابد أن يتأثر الأنا الأعلى عندها فلا تكون له القوة والاستقلال اللتان تضفيان عليه قيمته الثقافية. وقد تتكون لدى البنت عقدة ذكورة نتيجة اكتشافها للنقص عندها، فترفض قبول أنها أقل شأناً وتكويناً، وتندفع في التحدي إلى المغالاة في إظهار

مماثلتها بالذكور والتفوّق عليهم، بأن تتشبث أكثر بنشاطها البظري، ويُساعدها على ذلك أن تكون بها فضلة نشاط مما يتسم به الذكور، وتنكب أي سلوك يطبعها بالطابع السلبي الذي يؤكد فيه الأنوثة، وقد تنحرف من ثم إلى اللواطة الأنثوية. ويظلّ التاريخ الباكر للأنوثة معرضاً للاضطرابات بسبب الآثار التي تخلفها مرحلة الذكورة السابقة. وقد تتناوب الكثير من النساء مرحلتا الذكورة والأنوثة فيكون لإحداهما الصدارة حيناً، وربما كان أن يُطلق عليه إسم «لغز المرأة» هو نتيجة هذه الثنائية الجنسية فيها. وتعاني المرأة عموماً نتيجة كبت الميول الذكرية، وحينما يعاني الليبدو عندها هذا الكبت ويُكرَه على خدمة الوظيفة الأنثوية. ومن رأي فرويد أن الطبيعة لم تعطِ الوظيفة الأنثوية متطلباتها كما أعطت وظيفة الذكورة، ويرجع فرويد ذلك إلى أن تحقيق الغاية البيولوجية موكول إلى عدوان الذكر بصرف النظر عن موافقة الأنثى. وينسب فرويد البرود الجنسي في المرأة إلى إجحاف الطبيعة بها، وكثيراً ما يكون لهذا الاضطراب أسبابه العضوية المشروطة بعوامل تكوينية فيها، ومن العسير التمييز بين ما يمكن أن يكون سببه في المرأة تكوينها النفسي، وما يمكن أن يترتب فيها على التربية الاجتماعية. وتبدو المرأة في حاجة إلى محبة الغير لها أكثر من حاجتها إلى أن تبدي الحب للغير. ويرجع ما فيها من زهو وعُجب إلى حد ما إلى تأثير حسد القضيب عندها، ولذلك تغالي في الزينة تعويضاً عن شعورها بالنقص الجنسي، وتغالي في إظهار الحياء لستر هذا النقص فيها، وإن كان الحياء كسلوك يخضع للعرف في أكثر الأحيان وله وظائف أخرى غيرذلك. ويقول فرويد إن النساء لم يُوفقن إلى اكتشاف الحضارة ومخترعاتها إلا في القليل النادر ومن هذا القليل عملية النسيج والتضفير، والدافع اللاشعوري إلى هذا الاختراع من تأثير فقدان القضيب، ولم يوجد في مكانه إلا شعر العانة يستر العورة في مرحلة النضج الجنسي، فاحتذين الطبيعة واتقنَّ النسج والضفر لما يمكن أن يستر الجسم ستر شعر العانة للعورة. ويقول فرويد إن اختيارالمرأة لشريك حياتها قد يشق علينا

التعرّف إلى الشروط التي قام عليها بسبب الاعتبارات الاجتماعية، ولكن الغالب أن يأتي هذا الاختيار وفق المَلَل النرجسي الذي كانت المرأة تتمنى أن تكوّنه وهي بنت، فإن ظلّت كبنت متعلّقة بأبيها في قبضة عقدة أوديب جاء اختيارها للرجل بحيث يشبه أباها. فإن كانت عقدة أوديب قد توافرت فيه بشطريها - أي العداء للأم والمحبة للأب - فإنها ستخلص في حبها لرجلها وسيكون زواجها سعيداً. غير أنه قد يحدث أن يحل الزوج من نفسها مكان الأب والأم معاً، وعندئذٍ تعاني من التناقض الوجداني بالنسبة له وتعيش معه في صراع، فإذا طلقت وتزوّجت للمرة الثانية، فالغالب أن صراعها مع أمها سيستنفد في صراعها مع الزوج الأول وينجو منه الزوج الثاني، وبذلك قد ينجح الزواج الثاني عن الأول. وقد يحدث أن المرأة في زواجها وبعد أن تلد طفلها الأول يتغير موقفها، فقد تبعث الأمومة في نفسها تقمصها القديم لأمها - وهو التقمّص الذي كانت تتحاشاه حتى وقت زواجها، وعندئذٍ يدفعها إجبار التكرار على أن تعيد تمثيل الزواج التعس الذي كان بين أبويها. وتفرح المرأة بولادة الطفل الذكر، لأنه يحل عندها عقدة الخصاء أو عقدة القضيب، ويرضي عقدة الذكورة، وتستطيع أن توجه إليه كل طموحاتها التي اضطرت أن تتخلى عنها وتقمعها في نفسها، بل إن الزواج لا تتثبت دعائمه إلا حين تنجح المرأة في أن تصنع من زوجها طفلاً لهاوتسلك معه كالأم.

ويتمثّل تقمّص المرأة لشخصية أمها في طورين، الأول الطور السابق للموقف الأوديبي ويغلب فيه أن تتعلق بأمها وتتمثلها كنموذج لها، والثاني الطور الأوديبي وفيه تحاول أن تلغي وجود أمها وتتقرّب من الأب وتكون له الزوجة. ويترك كل من الدورين أثره الذي لا ينمحي على شخصية المرأة وإن كان تأثير الطور الأول أبلغ وأكثر دواماً، لأنه الطور الذي يمهّد لأن تكتسب فيه الصفات التي ستعينها من بعد على القيام بدورها الأنثوي كزوجة وأم، بالإضافة إلى أن نجاحها في تقمص دور أمها يزكّيها عند زوجها ويحقق له فيها تعلّقه الأوديبي بأمه.

ويرى فرويد أن المرأة، لأن من طبيعتها الحسد، فهي بطبيعتها منحازة، وميزان العدل عندها لذلك مختل، وهي أقل ميلاً للانخراط في خضم الحياة بسبب تكوينها، وأقل اهتماماً بالمسائل الاجتماعية، وأقل قدرة على أن تستعلي بغرائزها. وتبدو في الثلاثين وكأنها أكبر من سنها، وأكبر من الرجل في هذه السن، ويظهر من سلوكها أنها قد جمدت على ما هي عليه، وتستعصي على التغيير، وكأنما طاقتها اللبيدية قد استقرت في مواقعها الأخيرة لا تبرحها إلى ما هو جديد، ولا تتقدم في النمو أكثر مما هي عليه، وكأن عملية النمو عندها قد استُنفدت بالكامل، أو كأن عملية التطوّر قد استهلكت كل إمكاناتها كأنثى.

مراجع

- Freud: New Introductry Lectures on Psychoanalysis (1933)

❖ ❖ ❖

- سيليجمان، تشارلز...

- Seligman, Charles

(١٨٧٣ - ١٩٤٠) من روّاد تطبيق التحليل النفسي في مجال الأنثروبولوجيا، واشتغل بإثبات نظرية فرويد في الأحلام النمطية، فجمع من مختلف الثقافات نماذج عديدة على صدق ما ذهب إليه فرويد في تفسيره لأحلام تساقط الشعر، وتساقط الأسنان، وأحلام الطيران، إلخ، وكتب كثيراً حول رمزية الأحلام وعلاقتها بثقافات الأمم وعالمية مضمونها، ونبّه إلى أن جميع الثقافات بها مايشبه المخزون العام الذي تستقي منه رموزها وأساطيرها وطقوسها، وأن القوى المتبعة فيها جميعاً في مجال العبادات مثلاً أو السحرأو غير ذلك من المسائل الغيبية أو المحوطة بالأسرار هي تمثيلات رمزية للتنفيس عن القلق وتصريف الرغبات اللاشعورية، وأنهاتشبه في ذلك الأعراض العصابية. وسيليجمان من رعيل التحليليين العلماء الذين قضوا وقتاً كبيراً من حياتهم للمصادقة على نظريات

فرويد وإثبات تقسيماته لمراحل التطوّر النفسي الجنسي عند الإنسان، عكس ما ذهب إليه مالينوفسكي الذي لم يؤيد وجود هذه المراحل التطورية. كما أن سيليجمان ذهب في تطبيقاته لمفاهيم التحليل النفسي إلى تطبيق الانبساط والانطواء وأنماط الشخصية عند يونج على مختلف الأساليب الفنية عند الشعوب والأجناس المختلفة، ومن رأيه أن الشعوب والأجناس المختلفة تتمتع بثقافات وتمر بحضارات بحسب تطوّرها النفسي الجنسي ومراحل هذا التطور، وأن الاحتكاك بين حضارة أو ثقافة في مرحلة وحضارة أو ثقافة في مرحلة أخرى، من شأنه أن يصيب الأفراد من الثقافة أو الحضارة في المرحلة المتخلفة باضطرابات نفسيّة لم تكن فيهم، وكلما كانت الحضارة أو الثقافة أكثر تعقيداً كلما زادت هذه الاضطرابات النفسية تعقيداً.

مراجع

- Seligman: Anthropology and Psychology. (1924)

: The Unconscious in Relation to Anthropology. (1928)

: Anthropological Perspective and Psychological Theory. (1932)

❖ ❖ ❖

- ش -

حرف الشين

– الشحن النفسي...

- **Cathexis (E.; F.);...**
- **Investissement (F.);...**
- **Besetzung (D.)...**

إصطلاح الشحن من المصطلحات التي يستعيرها فرويد من لغة الفيزياء، في محاولة لإقامة التحليل النفسي على منهج علمي، وربط السيكولوجية الدينامية بالفسيولوجيا العصبية. وترجع بداية ظهور هذا المصطلح لسنة ١٨٩٥ عندما كتب مقاله «مشروع علم نفس علمي»، ويقصد بالشحن النفسي توظيف الطاقة النفسية بربطها بتصور معين أو مجموعة تصوّرات، أو عضو من الجسم، أو موضوع من الموضوعات، فالطفل مثلاً تتحصل له صورة معيّنة عن الثدي الذي يرضعه، ويشحن هذا الثدي بعواطفه نحو الطاقة المستثمرة في الشحن وهي الطاقة اللبيدية والتدميرية طبقاً لنظرية فرويد الثانية في الغرائز، وهي طاقة غريزية عموماً، ومصدرها الهو أولاً، ويتجمع منها أكبر قدر في الأنا، ويوظفها الأنا بتوجيهها إلى موضوعات خارجية. والشحن الإيجابي من مثل تصوّر الموضوع تصوّراً يجعله محبوباً، والشحن السلبي على عكس السابق هو تصوّره بحيث يكون موضوعاً للكراهية. وفي الشحن المضاعف تتوجه شحنات نفسية إضافية لموضوع قد سبق شحنه، ومن ذلك فرط الشحن Hypercathexis كما في عمليات الانتباه. وترجع الصدمة النفسية لزيادة في الشحن لنظام نفسي فوجىء بهذه الزيادة. وعندما يحدث ألم بدني يحدث ما يسميه فرويد الشحن النرجسي للمكان المتألم، ويستمر الشحن في التزايد إنقاصاً من الطاقة الموجودة في الأنا، ونتيجة هذا الشحن الزائد أن تتحصل صورة متخيلة ومبالغ فيها للمكان أو لجزء البدن المتألم. وعندما يحدث تحوّل نفسي بسبب تدخل إهتمام آخر لا تظهر الآلام البدنية لانصراف أغلب الشحن النفسي لهذا الاهتمام الجديد. وشبيه بذلك فرط الشحن في حالات الحداد حيث تتركز شحنة الشوق الشديد على الموضوع الغائب أو المفقود. والانتقال من الألم البدني إلى الألم النفسي يقابل التحوّل

من الشحنة النفسية النرجسية إلى الشحنة النفسية المتجهة نحو الموضوع. والموضوع الذي تشحن صورته الذهنية بالطاقة النفسية شحناً شديداً بسبب الحاجة الغريزية إنما يقوم بالدور الذي يقوم به جزء البدن الذي يشحن بالطاقة النفسية بسبب الألم واستمرار عملية الشحن بالطاقة النفسية وعدم إمكان كفّها يسببان حالة العجز النفسي نفسها.

والشحن المضاد Anticathexis وسيلة الكبت، فعندما يدرك الأنا خطورة إحدى النزعات فإنه يحظرها شعورياً ويقمعها ويسحب ما يلابسها من طاقة ويبقيها بمثابة ذكرى، أو أنه يقوم بكبتها لاشعورياً فتحتفظ بطاقتها ولا تترك وراءها ذكرى، ويشحن بعض الاتجاهات أو التصوّرات أو الأفكار المضادة لها والتي يمكنه أن تحول بينها والنفاذ إلى شعور وأن تتحوّل إلى فعل. ولا يتمثل الشحن المضاد كوسيلة دفاعية في عملية الكبت فقط ولكنه يحدث في عمليات دفاعية أخرى من مثل العزل والإلغاء الرجعي والاحتماء بالواقع والانتباه والتفكير التمييزي، إلخ.

مراجع

- Freud: Project for a Scientific Project (1895)

: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)

❖ ❖ ❖

– شاركو، جان مارتنان

- Charcot, Jean Martin...

(١٨٢٥ - ١٨٩٢) لم يكن فرويد يذكره إلا ويقرن إسمه بأستاذي، وكان شديد الاحترام والتبجيل له، وأنزله من نفسه منزلة عالية. وكانت شهرة شاركو كعالم أعصاب قد بلغت فرويد فاستقال من عمله في ألمانيا وتوجه إلى باريس للتلقي عليه. ويعتبر شاركو بكل المقاييس «أبو علم الأعصاب الحديث»، وكان فرويد يقارنه بعلماء الأعصاب في ڤيينا فتتهافت المقارنة، ولما انضم إليه كتلميذ يدرس عليه في مستشفى سالبتريير إستأذنه أن

يترجم إلى الألمانية محاضراته في الهيستيريا، وهي التي تضمنها المجلد الثالث من أعمال شاركو، وظهرت بالألمانية بترجمة فرويد سنة١٨٨٦ بعنوان «محاضرات جديدة حول أمراض الجهاز العصبي وخاصة الهيستيريا Neue Vorlesungen über die Krankheiten des Nervensystems insbensyndeere über Hysterie». وكان تأثير شاركو على فرويد في ثلاثة أمور، الأول هو اعتباره الهيستيريا والأعصبة عموماً إضطرابات نفسية الأصل، والثاني أنه لم يُقصِر الهيستيريا على الإناث وذكر أنها اضطراب عام يمكن أن يصيب الذكور كما يصيب الإناث، وكان ذلك منه بمثابة ثورة حقيقية في عالم الطب النفسي. ولما نقل فرويد أفكار شاركو هذه إلى ڤيينا قوبل بالرفض من كثيرين وسخروا منه باعتبار أن إسم الهيستيريا نفسه من هيستيرون اليونانية بمعنى الرحم، فهي إذن مرض خاص بالنساء دون الرجال، والأمر الثالث أن شاركو قد نبّه إلى تأثير الصدمات النفسية على استحداث إضطراب الهيستيريا، وذكر أن الأفكار والرغبات الشخصية من النوع غير المرغوب فيه شأنها شأن الحوادث الصادمة قد تستحدث هذا الاضطراب النفسي. كما ذكر أن أعراض الهيستيريا تبدأ مبكرة منذ الطفولة، وهي الفترة التي يمكن أن يكون للأحداث والرغبات والأفكار حجماً مبالغاً فيه، وتكون لها آثار مستترة لا يعلم بها المريض وتكبر معه. ويقول إرنست جونز في تاريخه لفرويد إن ثلاثة كان لهم تأثيرهم الحاسم في تنبيه فرويد علمياً، وهم شاركو وبروير وشروباك، والثلاثة كان لهم فضل صياغته لنظرية الجنسية، غير أن ما ذكروه عن الجنس وأثره في تكوين الهيستيريا كان عرضياً، وفرويد هو الذي واصل التفكير في ذلك والتقط منهم الفكرة وطوّرها. وكان شاركو قد ذكر لمساعده بروارديل أنه دائماً هناك «الشيء التناسلي La chose génitale» وراء بعض الاضطرابات العصبية، وسمع فرويد ذلك عرضاً. كما أن بروير نبّه فرويد شخصياً إلى العامل الجنسي، قائلاً إن بعض السلوك العصابي من «هذا النوع يرتبط بأسرار حجرة النوم وسرير

الـزوجـيـة». وأمـا شـروبـاك فـكـان خـلال تلمذة فـرويـد عـلـيـه قـد عـهـد إلـيـه بـعـلاج امـرأة تـعـاني مـن الـقـلـق الـشـديـد، وكـان زوجـهـا مـصـابـاً بـعُـنّـة كـامـلـة تـعـجـزه عـن وصالها جنسياً، فنصحه قائلاً إن العلاج الوحيد الذي لا يمكن وصفه لحالتها هو «قضيب ينتصب بشكل سوي وتجامعه عدة مرات». غير أن فرويد عندما صاغ نظريته وردَّها إلى تأثير هؤلاء الثلاثة لم يتذكر اثنان منهم أنهما قالا ذلك ولو عرضاً، وأما الثالث فلم ينكر الواقعة كما أنه لم يؤيدها كذلك، وهذا الثالث هو شاركو. وكان شاركو صاحب فضل لاشك فيه إلى تنبيه فرويد إلى تأثير صدمات الطفولة كما ذكرنا، وإلى طريقة تداعي الأفكار التي تكشف عن هذه الصدمات عـنـد المريض، وإلى الـعـلاج بـالإيـحـاء بالتنويم. وكما يعترف بذلك فرويد فإن إسـهـام شـاركـو في الـفـكـر الـنـفـسـاني الجديـد الـذي بشّـر بـه فـرويـد لا يمكـن إنكاره.

مراجع

- Freud: the History of the Psychoanalytic Movement. (1914)
- Ernest Jones: The Life and Work of Sigmund Freud. (1953)

❖ ❖ ❖

– الشبقية الذاتية...

- **Auto-erotism (E.);...**
- **Auto-érotisme (F.);...**
- **Autoerotismus (D.)...**

هذا الاصطلاح إبتكره هاڤلوك إليس (١٩١٣) وأعـجـب فـرويـد فـاسـتـخـدمـه بمعنى النشاط الجنسي الذي لا تتجه فيه الغريزة نحو أفراد آخرين ولكنها تتحصَّل علـى الإشـبـاع مـن خـلال الـفـرد نـفـسـه، واللذة المتحصَّلة هنا ذاتية لذلك، أي من الشخص وإليه، بعكس الشبقية الغيرية allo-erotism (E.); allo- érotisme (F.); alloer- erotismus (D.)» وهـي الـنـشـاط

الجنسي الذي يتحصل به الإشباع عن طريق موضوع خارجي. ويمكن أن تكون الغيرية شبقية مثلية homo-erotism (E.); homo-érotisme (F.); Homoerotismus (D.)» أي أن الإشباع يتحقق من خلال الغير ولكنهم من الجنس نفسه، والمقصود بهذه الشبقية الأخيرة اللواط.

ويروي فرويد قصة شاب أميركي جاءه للعلاج، وكان وهو طفل يتهيّج جنسياً عند سماع قصص الأطفال التي تقرأ له، وكانت حول شيخ عربي يطارد رجلاً من الخبز ويأكله، وكان واضحاً أن الشاب يتقمص شخصية المأكول، وأما الشيخ فكان بديلاً عن الأب. وكان هذا الخيال هو الأساس الأول لخيالاته الشبقية الذاتية بعد ذلك.

ويرجع فرويد عصاب اللمس إلى النهي عن لمس الأعضاء التناسلية الذي يكدر به الطفل باستمرار، والعبارة التي تستخدم لمنع إشباع الرغبة الشبقية الذاتية هي «لا تلمس» أعضاءك التناسلية.

ويفسر فرويد مص الإبهام وما شابهه بأنه عن شبقية ذاتية، ويرجع نشاط المص إلى مص ثدي الأم أو الأشياء البديلة، فعن هذا الطريق يتعرف الطفل على لذة المص كنشاط شبقي غيري، ثم يمارسه من بعد ذلك كنشاط شبقي ذاتي، ويعمل الفم والشفتان واللسان كمنطقة شبقية.

مراجع

- Ellis, Havelock: Studies in the Psychology of Sex. Auto-erotism. Vol 1.(1913)

-Freud: Three Essays on the Theory of Sexuality. (1915)

❖ ❖ ❖

– الشعور...

- **Consiousness (E.);...**
- **Conscience (F.);...**
- **Bewusstein (D)...**

لا يقبل التحليل النفسي أن الشعور هو كل الحياة النفسية، فهناك أيضاً اللاشعور، ولفظ شعوري لفظ وصفي

يقوم على إدراك حسّي مباشر ويقيني. وتمتاز حالة الشعور بأنا قد تستمر لفترة، وربما تصبح الفكرة الشعورية لاشعورية أو بالعكس، وكلما لم يكن هناك كبت للأفكار والرغبات والمشاعر فإنها تبقى شعورية. ولكي يصبح اللاشعوري شعورياً ينبغي إزالة المقاومة ورفع الكبت عنه. واللاشعوري يصبح أولاً قبل شعوري ثم يستحيل شعورياً. والشعور من وجهة النظر الطبوغرافية ظاهرة تقع في القشرة الخارجية للأنا، وتجري العمليات الشعورية على سطح الأنا، وتتبع قوانين ثانية في جملتها، وهي قوانين منطقية، على عكس العمليات الأولية في اللاشعور التي لا تمت بصلة للمنطق. ولا تكفي المعلومات المستمدّة من الإدراك الذاتي الشعوري لفهم كافة عمليات العقل الكثيرة والمعقدة، والعلاقات بينها، ليصبح من الممكن جلاء الأسباب الحقيقية للاضطرابات العقلية والنفسية. وتقوم طريقة التحليل النفسي على استنتاج العمليات النفسية والعقلية المجهولة عن الشعور وتدخلها في العمليات المشعور بها، وبذلك تملأ ثغرات المعرفة في ظواهر الشعور والتي يكشفها تحليل النفسي. وكان فرويد في كتاباته الأولى يستنتج الأمراض العصابية من الصراع الذي ينشأ بين الشعور واللاشعور، ثم استبدل بهذا التقابل تقابلاً آخر بين الأنا المنظّم وبين ما هو مكبوت ومنفصل عن الأنا، واتضحت له فكرة بدت كأنها اكتشاف جديد، وهي أن الشيء الذي يكون إدراكاً حسيّاً شعورياً ويُنسَى أو يكبت، هو وحده الذي يستطيع أن يصبح شعورياً، عن طريق تحويل نفسه إلى صور لفظية من خلال الآثار الباقية في الذاكرة، وهذه الآثار اللفظية تستمد من الإدراكات الشعورية السمعية، وأساس الكلمة هو الأثر الذي يبقى منها في الذاكرة بعد سماعها. ومن الممكن أن تظهر العمليات الفكرية في الشعور عن طريق رجوعها إلى الآثار البصرية في الذاكرة، والأحلام صورة من تلك العمليات. وما يظهر في الشعور أثناء التفكير هو مادة التفكير، وأما العلاقات التي بين عناصرها والتي تميّز التفكير بصفة خاصة فلا تستطيع أن تظهر في صور بصرية، والتفكير في صور بصرية

إذن هو عبارة عن الشعور بشكل ناقص جداً، وهو أقرب إلى العمليات اللاشعورية من التفكير بالألفاظ، وأقدم منه سواء من ناحية نشوء الفرد أو نشوء النوع، وفي حالة الأفكار اللاشعورية لا بدّ من أن تظهر في صور لفظية أولاً قبل أن تتمكن من الظهور في الشعور، وأما في حالة المشاعر الوجدانية التي يمكن أن تنفّذ إلى الشعور فلا ضرورة للعملية السابقة، ولا وجود لجهاز ما قبل الشعور الذي يتوسط بين اللاشعور والشعور، إذ أن المشاعر الوجدانية إما أن تبقى لاشعورية، وإما أن تصبح شعورية مباشرة، وحتى لو اتصلت بالصور اللفظية فإن ظهورها في الشعور لا يتوقف على ذلك.

والأنا الأعلى برغم أنه مرتبة متمايزة من الأنا إلا أنه أقل ارتباطاً بالشعور منه. ويسخر فرويد من المدرسة السلوكية الأميركية أنها لا تستطيع أن تأخذ الشعور بعين الاعتبار كإحدى معطيات التجربة الفردية التي تطرح نفسها على الحدس المباشر، ويؤكد عليه كجهاز إدراكي يعد لمفهوم وراء نفساني للحياة النفسية، وكعامل أساسي في العملية الدفاعية، ويطلق عليه في مقاله المعنون «من أجل مشروع علم نفس علمي» (١٨٩٥) إسم النظام W، وفي اللغة الإنجليزية يدلون عليه كنظم بالحرفين Cs، فإذا كان المقصود الصفة وحصر محتويات النظام فهو «اللاشعوري كمحتويات ics، ويقوم العلاج التحليلي على إحداث تأثير الشعور في اللاشعور من خلال التذكر، والتكرار، والاستيعاب، والتأويل الذي لا يقتصر فقط على التوصيل إلى الشعور وإنما يستهدف تعديلات بنائية.

مراجع

- Freud: Entwurf einer Psychologie (1895)

: The Ego and the ID.(1923)

❖ ❖ ❖

– الشعور الأوقيانوسي...

- Oceanic Feeling (E.);...

-Sentiment de L'Océan (F.);...

- Ozeanisches Gefühl (D.)...

كان رومان رولان قد كتب إلى فرويد يصف الشعور الفيّاض الذي يسع به قلب المؤمن العالم كله، فأطلق فرويد عليه هذا الإسم «الشعور الأوقيانوسي أو المحيط»، فبينما تتوجّه محبة الغالبية من الناس إلى موضوعات متعيّنة، فإن القلة بهم ثراء نفسي ومحبة جارفة لكل الناس والعالم من حوله والكون برمته، بحيث يشعرون أنهم والكون جميعه واحد. ويربط فرويد بين مبدأ اللذة عند هؤلاء والدين. وهذا الشعور بالتوحد بالعالم، والمحب لكل الناس والتلذّذ بذلك، هو شعور متسام، وهو أرفع ما يمكن أن يصل إليه الوجدان البشري.

والشعور الأوقيانوسي أو المحيط عند كورت ليفن(١٩٤٦) أساسه المواصلة بين الأنا والبيئة، فالأنا عند الأفراد الذين لديهم هذا الشعور لم ينفصل عن بيئاتهم، كما لو كان هناك حبل سرّي بين هؤلاء الأفراد والعالم المحيط، وهو شعور بتخلّف عند البعض نتيجة الخبرة الوجدانية بالرضاعة والانكفاء على صدر الأم طوال سنتين أو أكثر.

ويبدو أن استخدام فرويد لتعبير أوقيانوسي أو محيط نتيجة انتشار السفر في زمنه عن طريق المحيطات، فالمحيط جوّاب، وهو شامل للكرة الأرضية. وهذا الشعور نفسه كان يمكن أن يصفه آخرون من عصر سابق وصفاً من البيئة كأن يقولوا شعوراً شاملاً Pan، ويشرحه آيسلر فيقول الأنا يستشعر هذا الشمول ويتسع ليستغرق الواقع جميعه فيه.

مراجع

-Freud: Civilization and Its Discontents. (1930)

- Eissler, K.: Goethe: A Psychoanalytic Study. (1963)

❖ ❖ ❖

– الشعور بالدونية...

- **Inferiority Feeling (E.);...**
- **Sentiment d'Infériorité (F.);...**
- **Minderwertigkeitsgefühl (D.)...**

هذا المصطلح ينتمي أساساً لعلم النفس الأدلري، حيث يتحدث أدلر عن عقدة نقص Inferiority Complex (E.); Complexe d'infériorité (F.); Minderwertigkeitskomplex (D.)، ويعنى بها مشاعر الدونية التي تترتّب عليها جملة إتجاهات وتصوّرات وتصرفات مصدرها النقص العضوي، وينشأ عنها قصور يعوَّض عنه بطريقة أو بأخرى. وطبقاً لأدلر فإن الأنا هو المنوط به حفظ الذات، وهو الذي يؤول إليه في النهاية أن يفيد من كل مرض ويحيله إلى مكسب، ويعادل ذلك في التحليل النفسي ما يُسمَّى المكسب الثانوي من المرض. ولا يرى فرويد رأي أدلر أن المرض النفسي هو رد فعل على القصور العضوي أو الوظيفي منذ الطفولة، وتتحصل به مشاعر بالدونية أو النقص، ويستلزم التعويض في اتجاه إعلاء شأن الشعور بالشخصية، بأن يصطنع الشخص هدفاً نهائياً متوهماً، ويستنهض في نفسه الإرادة لتحقيقه، ويوظف كل قواه النفسية في خدمة هذا الهدف.

وينتقد فرويد رأي أدلر بدعوى أن نظرته فيه جزئية، وأنه رأي يُسطّح الأمور وتستوي به كل الأمراض النفسية فلا يعود هناك فروق بينها، فالمريض باللواط شأنه شأن المريض بالهيستيريا الحصرية والعصاب الهجاسي الذهن، وكلهم يصدرون في مرضهم عن دعوى بقيمة لذواتهم، تدفع إليها المغالاة في التعويض عن القصور فيهم.

وإذا كان فرويد يرفض نظرية الدونية والتعويض عنها عند أدلر كنظرية من النظريات التي تتناول مسبّبات المرض النفسي، فإنه مع ذلك يؤكد على المشاعر الدونية والنقص كأعراض تترتّب على فقدان الحب، أو فقدان موضوع الحب، أو أنها تتحصل كنتيجة لعقدة الخصاء،أو كرد فعل لإخصاء نفسي، وتتكوّن كصدى للتوتر بين الأنا والأنا الأعلى، وتنتسب لذلك لمشاعر الذنب، وربما هي لهذا السبب من لواحق الأنا المثالي وتشكل مع مشاعر الذنب ما يمكن أن يطلق عليه البعض إسم إكتئاب الدونية Inferiority depression.

ويتساءل فرويد عما إذا كان من المنطقي أن تتولد الصحة وتتحقق من

ثنايا الشعور بالدونية كما يقول أدلر؟ ويبدو أن تفسير السلوك بأنه نتيجة تعويض عن مشاعر الدونية، أو أنه رد فعل لعقدة الدونية أو النقص، هو بلغة التحليل النفسي تفسير تبريري، وأنه بالأولى تكون هذه المشاعر أساسها تخيّلات القدرة المطلقة في الطفولة الباكرة، ثم القمع الذي يجريه الطفل أثناء مراحل نموّه على رغباته من خلال اكتشافه لعجزه وقدراته المحدودة وحاجته إلى الآخرين، ثم أيضاً من خلال التهديد بالخصاء وحاجته إلى مداراة السلطة الوالدية واللجوء إلى التعين بالأب ليستر عجزه، ومن خلال اكتشاف البنت لنقص تكوينها البدني عن تكوين الولد. ولا ينبغي أن نخلط بين قبولنا واستسلامنا السوي لوقائع من الطفولة لا سبيل إلى تغييرها مثل الإصابة بالعمى، والتعويض عنها من خلال تطوير أعضاء حس أخرى لتحلّ محل الأعضاء الناقصة، وبين مشاعر الدونية العصابية التي يتسبّب فيها مثلاً تكوين مغاير في عضو التناسل بالأنثى. وينبغي اعتبار مشاعر الدونية مشاعر عصابية أساسها التقييم النقدي الذاتي واكتشاف القدرات المحدودة المفطور بها الشخص والمميّزة له، ويمكن التغلّب على بعضها، وبعضها يمكن التعايش معه وقبوله، وبعضها يرفض أو ينكر وتجري عليه عمليات نفسية تجعله مرضياً.

مراجع

- Adler: The Neurotic Character. (1912)

- Freud: Inroductory Lectures onPsychanalysis. (1917)

❖ ❖ ❖

– شوبنهاور، آرثر...

- Schopenhauer, Arthur

(١٧٨٨ - ١٨٦٠) يذهب إرنست كاسيرر وتوماس مان وماكس شيلر إلى تأكيد تأثير شوبنهاور على الفكر النفساني عند فرويد من خلال إدوارد هارتمان ونظريته في اللاشعور. وكان

شوبنهاور أول من قال باللاشعور، وله تشبيه يؤثر عنه حيث يذكر أن الشعور في الإنسان كالسطح بالنسبة للأرض، وأن اللاشعور في الإنسان هو أعماقه المضطربة بالرغبات والشهوات، وهو الجزء المستور فيه الذي يخص هذه الرغبات والشهوات المكبوتة، وأن العقل عندما يكبت هذه الرغبات والشهوات فإن الإنسان يُصاب بالمرض النفسي، وأن العقل هو الذي يستحدث الكبت. ويجمع بين فرويد وشوبنهاور قولهما بلا معقولية الحياة، وبالغريزة الجنسية وسيطرتها، وبالحتمية الفسيولوجية. ولقد أقرّ فرويد بمديونيته لشوبنهاور فيما يتعلّق بالجنس والكبت واللاشعور والمرض النفسي. ويُجمع النقاد على تشابه نظرية فرويد في اللبيدو وأقوال شوبنهاور حول الجنسية المتمثلة في الإرادة في الطبيعة. والغريزة الجنسية عندهما معاً هي غريزة استمرار للحياة، وهي من أقوى الغرائز قاطبة، وتعمل عملها في كل نشاط إنساني، ودافعها من أقوى الدوافع، إلا أن الناس دأبوا على إخفاء عمل هذه الغريزة وتغليف أهدافهم الجنسية الفاضحة برومانسية مغالى فيها. ويقول شوبنهاور عن الغريزة الجنسية وعملها إنها شيطان مريد يقلب ويدمر كل شيء، وإنه لا إشباع أبداً للغريزة الجنسية، وإن الرضوخ لها لا مندوحة عنه، وإن إرادتها هي السارية.

وإن المرء ليعجب حقيقة من التشابه بين نظرية فرويد في الجنس ومقالات شوبنهاور «في المرأة والجنس» و«متافيزيقا الجنس أو سيكولوجية الجنس». وأيضاً فإن فرويد وشوبنهاور ليتشابهان في قولهما بمبدأي الألم واللذة، وأن الغلبة في الحياة لمبدأ الألم، تماماً كما يقول فرويد إن غريزة الموت أقوى من غريزة الحياة. وعنصر الألم في الحياة أقوى من عنصر الموت، وكذلك فإن فرويد يقول بأن الحضارة منحة التسامي بالغرائز، وشوبنهاور يقول إن الحضارة والفنون والآداب، والثقافة عموماً، هي منحة التسامي بالغريزة، بأن نصرفها في الإبداع، أو نطبق عليها الكبت الشديد والقمع بممارسة الزهد الصوفي، أو نستغني عنها بالكلية بالفناء عن الحياة من خلال الانتحار، أو نذوب في الغير، بإيثارهم علينا والتضحية بذواتنا من

أجلهم، وهذه هي طرق الخلاص من إرادة.الحياة فينا ومن الحتمية الميتافيزيقية المقدَّرة علينا...

مراجع

- Ernest Jones:The Life and Work of Sigmund Freud. (1953)
- Freud: Beyond the Pleasure Principle. (1920)
- Schopenhauer: Uber die Weber.(1864)
: Ubder der tod. (1864)
: Metaphysik der Geschlects Liebe (1864)

❖ ❖ ❖

- ص -

حرف الصاد

- صدمة الميلاد...

- Birth Trauma (E.);...
- Traumatisme de la Naissance (F.);...
- Trauma der Geburt (D.)...

عملية الميلاد هي أول حالة خطر يمكن أن يعاينها الإنسان، وما تحدث من تصدع يصبح النموذج الأول لأية استجابة قلق لاحقة، وبتعبير رانك فإن قلق الميلاد هو قلق أولي Primary anxiety، هو المصدر الذي تصدر عنه كل حالات القلق، حيث هذه الحالات عبارة عن تنفيس أو تفريغ لانفعال القلق الأول. ويشكل الانفصال عن الأم بالميلاد أول صدمة يتعرض لها الطفل، وكل حالات الانفصال التالية عبارة عن تكرار لحالة الانفصال الصدموي التي نعاينها لأول مرة في الميلاد باعتبارها أول خبرة لنا في الحياة. والفطام صدمة أخرى، والخبرة التي يتضمنها هي خبرة الانفصال عن الثدي. والتهديد بالخصاء يثير القلق لأنه يتضمن الانفصال عن القضيب. وإلى هذا يشير فرويد أيضاً فيعتبر قلق الميلاد حالة القلق الأولى، ويدخل في خبرة الطفل بمناسبة الانفصال عن الأم بالميلاد، ويتكرر القلق مع كل فقدان مباشر أو غير مباشر للموضوع. وتصيب صدمة الميلاد كل فرد بدرجة متفاوتة في الشدة. ويتوقف على شدة القلق الأولي الذي يعانيه الفرد - حسب رأي رانك - أن يتعلم التغلّب على قلقه أو يستسلم له، وما إذا كان سيصبح سوياً أو عصابياً.

ويعارض فرويد رأي رانك أن صدمة الميلاد يتوقف على شدتها الإصابة بالعصاب، فالميلاد يعانيه الإنسان كما تعانيه الحيوانات، والإنسان وحده هو الذي يتميّز بالإستعداد الخاص للعصاب. ولا يرى فرويد أن الصدمة في حد ذاتها هي المهمة، ولكن المهم هو مقدار ردّ فعل الطفل الوليد لتفاوت شدة الصدمة، ويتوقف ذلك على جبلّة الطفل والعوامل فيه الخاصة بنشوء النوع. ويردّ فرويد صدمة الميلاد بيولوجياً إلى قصر المدة التي يظل بها الطفل في الرحم إذا قورنت بمثيلاتها في معظم الحيوانات، ولذلك يولد الطفل في حالة أقل إعداداً، وينتج

عن ذلك أن تأثير العالم الخارجي عليه يكون أكثر شدة، كما أن الموضوع الذي سيكون له في الحياة كما كان له الرحم من قبل، تزيد أهميته عنده ويتقرّب منه ويتودد له، وتتمثل فيه حاجته البيولوجية بأن يكون محط رعاية وموضع محبة. وكذلك يعتبر فرويد أن الاتصال المبكر للطفل بالمطالب الجنسية في السنوات الخمس الأولى له من الآثار عليه ما لصدمة الميلاد المترتبة على الاتصال غير المُعَدّ له بالعالم الخارجي ومطالبه. (أنظر أيضاً الصدمة وعصاب الصدمة).

مراجع

-Freud: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)

- Rank, Otto; The Trauma of Birth. (1924)

❖ ❖ ❖

– الصدمة النفسية...

- **Psychic Trauma (E.);...**
- **Trauma Psychique (F.);...**
- **Psychisches Trauma (D)...**

يُطلق فرويد إسم الصدمة النفسية على نوع الخبرة المفرطة الإثارة للجهاز النفسي، وفي وقت قصير جداً، بحيث لا يستطيع احتمالها فيتداعى لها بالأعراض العصابية أو الذهانية. وتعكس الانفعالات التي تفجرها الصدمة عنف تأثيرها النفسي، ويتأتى تأثيرها الضار من الفجائية التي تتأتى بها أحداثها، ومن تراكمات لاستثمارات سبقية تبدو آثارها في عجز الجهاز النفسي عن تصريف الإثارة، وتعطيل مبدأ الثبات ومبدأ تحصيل اللذة واجتناب الألم، بحيث تستحيل الصدمة مع عدم تصريف آثارها كجسم غريب يعوق الجهاز النفسي ويهدد تكامل الشخصية.

ويفترض فرويد أن بالجهاز النفسي وظيفة وقائية Protective Shield، ضد

فرط الإثارة، فإذا زادت الإثارة عن قوة إحتمال الوظيفة الوقائية زادت الطاقة المستقبلة عن قدرة الجهاز النفسي التحملية، ولهذا كانت للصدمة وضعية إقتصادية خاصة بالإضافة إلى وضعيتها النفسية.

وللصدمة النفسية شروط موضوعية، وقد يكون بالبعض إستعداد جبلّي ونزوع نفسي مسبق للوقوع في حوادث صدموية. ويهتم فرويد بما يسمّى العصاب الصدموي، وعلاجه باستبعاد الحوادث الصدموية المسبّبة لفرط الإثارة الصدموية. ويتولد عن حالة الخطر قلق صدموي، وليست صدمة الميلاد إلا تعبيراً عن القلق الأوّلي لأحداث الميلاد الصدموية وللانفصال عن الأم، وهو حادث صدموي سيتكرر من بعد في مواقف إنفصالية صدموية مشابهة. ويعيش المريض بعصاب الصدمة أحداث الصدمة سواء بتذكرها، أو بسيطرتها على تخيلاته، أو ورودها في شكل أحلام مكررة، بغية أن يكون في معايشتها من جديد إمكانية التغلّب على آثارها والسيطرة على مقدراتها. وتشكل النزعات الجنسية والدوافع المكبوتة أخطاراً داخلية مناظرة للأخطار الخارجية المستحدثة للصدمة.

ويساعد على التهافت للصدمة الظروف النوعية التي تضمن للحدث قيمته الصدموية، كالأحوال النفسية التي يمر بها الشخص كما في حالة التنويم مثلاً، أو الأحوال الاجتماعية التي تمنع الاستجابة الملائمة للصدمة، وقد يكون صراعاً نفسياً تتعطل به الأجهزة الدفاعية ويحول دون استيعاب الشخص للخبرة ومكاملتها في ذاته، وقد يتضافر كل ما سبق. وربما كان المرض العصابي من تأثير الصدمة أن الحدث الصدموي يُطلق دفاعاً مرضياً من جانب الأنا ويجد نموذجه في الكبت بدلاً من الدفاعات السوية التي تتصدى عادة للأحداث المؤلمة. ويسهّل عمل الصدمة وجود خبرات صدموية ماضية من الطفولة، وإحباطات وتثبيتات لبيدية. ويصف فرويد المشهد الأول بأنه صدموي، ويفترض أن المشاهدات الجنسية في الطفولة الباكرة، بالإضافة إلى ما يمكن أن يتعرض له الطفل من غواية من قِبَل الراشدين، قد

تكون لها آثار لاحقة لا تظهر قيمتها الاقتصادية إلا بعد البلوغ، وتطلق فيضاً من الإثارات الجنسية في شكل ذكريات من الماضي تغلب الأنا على دفاعاته وتتسبب في المرض العصابي.

مراجع

- Freud: Studies on Hysteria, (1895)

: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)

❖ ❖ ❖

– الصراع النفسي...

- Psychical Conflict (E.);...

- Conflit Psychique (F.);...

- Psychischer Konflikt (D.)...

الصراع في نظرية التحليل النفسي عند فرويد هو الفكرة المركزية، ومنذ كتابه «دراسات في الهيستيريا» (١٨٩٥) نبّه إلى أن الفحص التحليلي قد كشف عن عوامل تسلم إلى المرض النفسي في شكل رغبات متعاندة ومتعارضة أطلق على ظاهرة تعاندها إسم الصراع النفسي، إذ يقف شطر من الشخصية إلى جانب رغبات معيّنة، في حين يتربّص بها شطر آخر يرفضها، ولا يوجد عصاب بدون صراع من هذا النوع. وتقوم الحياة النفسية للفرد على الدوام على صراعات يجب حلّها وحسم أمرها. والصراع في الأعصبة يقوم عندما يُحال بين الليبيدو والإشباع السوي، ويُرغَم على التماس مسالك وموضوعات أخرى. ومن شروط الصراع أن تقُابل هذه المسالك والموضوعات بالرفض والاستنكار من أحد جوانب الشخصية. والصراع قد يكون خارجياً أي بسبب عوامل مفروضة على الشخصية من الخارج، وقد يكون داخلياً أي مصدره تعارض بين أجهزة الشخصية والأنا الأعلى والهو، أو بين اللاشعوري من جانب وبين الشعوري وما قبل الشعوري من جانب آخر. ويتيح تحليل الأمراض

النفسية الكشف عن صراع النزعات الجنسية ونزعات الأنا، وأحياناً يكون الصراع بين نزعات جنسية محضة، تكون فيها إحدى النزعتين الجنسيتين المتصارعتين ملتئمة مع الأنا Ego-syntonic، في حين تتنافر معه الأخرى، وهذا يعود بنا إلى الصراع بين الأنا والجنسية. وأيضاً فإن اهتمامات اللبيدو تتعارض مع اهتمامات حفظ الذات، وما لم يتناظر ويتوازى تطوّر الأنا مع تطوّر اللبيدو فإن الاضطراب قد يصبح عاملاً مسبّباً للمرض النفسي، ويطلق فرويد على هذا العامل إسم القابلية للصراع، وينجم عن تطوّر الأنا وإنكاره للنزعات اللبيدية الخاصة.

ويختلف سلوك غريزة حفظ الذات عن سلوك الغرزية الجنسية عندما تتواجهان بالواقع، فغريزة حفظ الذات وكل ما يتصل بها أسهل تشكلاً وامتثالاً للتربية، وتوائم نفسها للضرورات ومطالب الواقع، ويحكمها مبدأ الواقع، وهو يتعارض تعارضاً صراعياً مع مبدأ اللذة الذي يحكم الغرائز الجنسية، وهي غرائأ تفلت من التربية وتوجد في الطفل في صورة أوّلية تتجه به إلى الإشباع الذاتي، وإلى نوع من النرجسية التي يتشكل فيها اللبيدو كلبيدو نرجسي أو لبيدو أنوي. وعندما تتطوّر الشبقية الذاتية يتجه تطورها إلى نوع من النرجسية المثلية يكون فيها السعي للإشباع من خلال مثيل جنسي، وبذلك يتمثل الصراع في الإشباع الغيري كمعارض للإشباع الذاتي، وفي الغيرية كمعارض للنرجسية، وفي لبيدو الموضوع كمعارض للبيدو النرجسي، وفي الجنسية الغيرية كمعارض المثلية.

ومن مظاهر الصراع على المستوى الاقتصادي - وهو مجال إنفرد فرويد بالتنبيه إليه - أن النشاط النفسي بأسره يهدف إلى الظفر باللذة وتفادي الألم، وترتبط اللذة بخفض التنبيهات المتراكمة في الجهاز النفسي أو زوالها، ويرتبط الألم بزيادة التنبيهات وجيشانها، وتشكل هذه الاعتبارات الاقتصادية جانباً من الصراعات النفسية، ويشكل الانتقال من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع أهم خطوات تطوّر الأنا وحسم صراعاته مع المطالب الشهوية المحرمة. وينطبع بعض الصراع باعتباره صراعاً بين الجانب الأخلاقي

والجمـــــالي في الإنســــان وبين الجانب البـدائـي فيـه الـذي أسـاسـه الـنـزعـات لـلـمـحـارم. ومـن ذلك أيضـاً أن الصـراع يتشكل في المرحلة الأوديبية كصراع بين التعيّن بالأب والتعين بالأم، وتشكل عقدة أوديب نـواة كل الصـراعـات المستقبلـة، ويتوقف على حلّها قوام الشخصية كلها. ويتـحـدد بهـذا الحلّ الصـراع بين الـهـويـة الـذكـريـة والـهـويـة الأنـثـويـة، ويـنـحـسـم الصراع الذي يقوم بسببها بين الأنا والأنا الأعلى، وهو صراع يتجاوز مجال الطفولة ويمتـد إلى المجال الإنســاني عــمــومــاً. ويـحـاول فـرويد أن يـجـعـل فـكـرة الصـراع فـكـرة كـونـيـة عـنـدمـا يـواجـه بين الميول الذكرية والميول الأنثوية، ويجعلها ميولاً إيجابية وأخرى سلبية، أو يجعلها ميولاً متعارضة بين حب الأنا وحب الغير، وبين السادية والماسوشية، ثم بين قوى الحياة أو الإيروس في الكون، وبين قوى التدمير والموت أو الـثـانـاتـوس. ويمايـز فـرويد بين طاقة الإيروسي وهي طاقة تجميع وتأليف، وطـاقـة الـثـانـاتـوس وهـي طـاقـة فك وحل. ولـعـلّ مُـعـطَـى الصـراع لـذلك مـن أهـم مـعـطـيـات الـنـظـريـة الميتـاسـيـكـولـوجـيـة لفرويد. والصراع يتمثل في الأحلام في صـورة صـراع إرادة مـن خـلال الحركـة المكفوفـة في الحلـم والـعـجـز عـن الـفـعـل، ويتمثل الصراع في الهفوات في الرغبات أو النزعات أو التداعيات المتعارضة.

مراجع

- Freud: Introductory Lectures on Psychoanalysis (1917)

: An Outline of Psychoanalysis (1938)

❖ ❖ ❖

– الصياغة الثانوية...

- **Secondary Elaboration (E.);...**
- **Élaboration Secondaire (F.);...**
- **Sekundäre Bearbeitung (D.)...**

قيل في تعريب هذا المصطلح لفرويد إنه الإعمال الثانوي، والمراجعة الثانوية، وكان استخدامه لهذا المصطلح في كتابه

الكبير «تأويل الأحلام» (١٨٩٩)، باعتبار أن عملية إخراج الحلم من مضمونه الكامن إلى محتواه الظاهر، وطرحه في شكله الظاهر، هو وظيفة الصياغة الثانوية، بينما عملية تأويل الحلم هي تقويض لما بنته عملية الإخراج، وإصلاح للتحريف المستحدث في الحلم من خلال عملية إخراجه وطرحه بالصياغة التي يصوغها به راوي الحلم، ولذلك يطلق فرويد عليها أنها عملية صياغة أوّلية Primary.

والصياغة عموماً من مصطلحات فرويد التي استخدمها بمعنى نفسي، وتُدرَج لذلك باسم الصياغة النفسية Elaboration Psychique (F.); Ausarbeitung (D.); Chical Elaboration (E.) وهي عملية ترتيب وإعداد وتعبئة وتمثل للطاقة النفسية وربطها بمركّب الترابطات بالجهاز النفسي ككل ليمكن السيطرة عليها، وغياب هذه الصياغة النفسية يعني أن الأثر الصدموي لن يمكن التحكم فيه، وأنه ستكون له وضعية المجموعة النفسية المنفصلة ويظهر كأعراض.

وفي الصياغة الثانية للحلم تُرتب مادة الحلم في شكل لا يتيسَّر معه فهمها ويستغلق على الحالم وقد يستلزم ذلك أن تُستَكمل الثغرات فيها. وهذه الصياغة المتوخاة لمادة الحلم هي إحدى الميكانيزمات التي يحتال بها الحلم لإخراج مادته من حال الكمون إلى حال الظهور، ومنها التكثيف، والإزاحة، وقابلية التحوّل إلى صور بصرية، ثم الصياغة الثانوية، وكلها وسائل يتطلبها الواقع من الحلم، وتبدأ مع بداية تكوين الحلم وتستمر مع روايته. وبسبب الصياغة الثانوية أو ميكانيزمات الإخراج عموماً يتم التعديل والتغيير في أجزاء الحلم، وترجع إليها أية درجة من الأنساق يظهر عليها الحلم. وكلما زادت الفترة بعد اليقظة من النوم كان تذكر الحلم أعوص، وكان دور الصياغة الثانية أكبر. وفي الأعصبة تختلف العوامل التي لها الدور الرئيسي في تكوين الأعراض، فالأخيلة والأوهام هي الأعراض الرئيسية في الهيستيريا، وفي حين أن تكوينات رد الفعل هي الصورة الكلينيكية للحواز، وأما في البرانويا فالسمة البارزة في أهجستها

هـي الصيـاغـة الـثـانـويـة، حيـث تُـعـرض توهمات المريض في شكل منظّم ومنسّق في الكثير من الإعمال.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams (1900)

: Introductory Lectures on Psyhoanalysis (1917)

❖ ❖ ❖

- ض -

حرف الضاد

– الضرورة والحتمية النفسية...

- **Necessity and Psychic Determinism (E.);...**

- **Nécessité et Determinisme Psychique (F.);..**

- **Notwendigkeit und Psychischer Determinismus (D.)...**

يذهب فرويد إلى أن التطوّرات التي يمر بها تكوين الإنسان، ومراحل العمليات الإنسانية، ليست إلا ميراثاً وتكراراً مقتضباً للتطوّر الذي اجتازته الإنسانية منذ عصور ما قبل التاريخ وامتدت على أحقاب مديدة. وفي كتابه «محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي» (١٩١٧) يقول إنه لا علينا أن نعترف طواعية واختياراً بالضرورة كأساس لنشوء وتطوّر النوع الإنساني. والضروري هو المكتسب من جديد من خلال عمليات وتطوّرات ضرورية. والضرورة قد تكون ذاتية أي حاصلة من ذات الموضوع، أو أنها موضوعية مفروضة من خارج، أو ذهنية يجزم بها العقل، أو مطلقة تنفي تصوّر النقيض. وتفرض الضرورة الخارجية ظروف فرضت على الإنسان اكتساب خواص معيّنة في الماضي، ولا تزال باقية إلى اليوم تفرض سلطانها على كل فرد وتوقظ استعدادات موجودة من قبل. وفضلاً عن هذا فإن سير التطوّر المقرّر سبقاً لكل فرد قد تفسده أو تحوره تأثيرات خارجية حديثة. وأما القوة التي فرضت عل الإنسانية هذا التطوّر والتي لا يزال أثرها مستمراً إلى اليوم في الاتجاه نفسه، فقوة نعرفها جميعاً: إنها الزمان الذي يفرضه الواقع، وإذا أردنا أن نسميها باسمها الحقيقي الضخم قلنا إنها الضرورة التي تترتب على الكفاح من أجل الحياة. والضرورة رئيس صارم ومنها تعلمنا الشيء الكثير، وما العصابيون إلا ولائدها وصرعاها الذين كان لهذه الصرامة آثار وخيمة في نفوسهم. وخطر الضرورة يتعرّض له كل فرد مهما كان نوع التربية التي يلقاها.. وإذا كان الكفاح من أجل الوجود هو القوة المحركة للتطور فإن النزعات التطورية الداخلية مع ذلك لها قيمتها وفاعليتها.

وتفسر الحتمية النفسية كل تغيّر يطرأ على النفس بأنه تغير له أسبابه، وتذهب إلى أن الأمراض النفسية أمراض لها أسبابها، ويوصف العلاج بالتحليل النفسي بأنه علاج عِلّي وهو اصطلاح يُطلق على طرق العلاج التي تعمل على إزالة أسباب المرض بدل أن تهاجم مظاهره وأعراضه. والعلاج بالتحليل النفسي أساسه ما يسميه فرويد والتحليليون الحتمية النفسية، لأنه يقول بالأسباب التي تفرضها الاستعدادات الغريزية، أي ما هي عليه من شدة نسبية في جبلة الفرد، وما يصيبها من حيود وانحراف أثناء تطوّرها. ويتوجه العلاج النفسي إلى سلسلة من العلل لا تقع عند أصل الظواهر المشاهدة ولكنها بعيدة نسبياً عن الأعراض نفسها، وهو ما يطلق عليه فرويد إسم اللاشعور، وذلك هو مايطبع الحتمية الفرويدية بأنها حتمية نفسية.

مراجع

- Freud: Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1917)

❖ ❖ ❖

– الضمير...

- Conscience (E.' F.);.- Gewissen (D.)....

.

الضمير والأنا المثالي كلاهما من منطقة الأنا الأعلى، ووظيفة الضمير أنه الناقد. وتظهر سيطرة الأنا الأعلى من خلال الضمير، ويرجع الإحساس الشعوري بالذنب إلى التوتر بين الأنا والأنا المثالي، وفي البداية يكون خوف الطفل من فقدان الحب هو الرادع له عن الفعل المنهي عنه، ثم يحل الضمير كمنظمة خُلقية محل الخوف من العقاب وإغضاب الوالدين. ويتمثّل التهديد بالعقاب عند الطفل في الخصاء، وتتولّد تخيلات الخصاء من الأنا المثالي، والخوف من الخصاء هو النواة التي تجمع حولها فيما بعد الخوف من الضمير.

وتتصل نشأة الضمير بعقدة أوديب التي تنتمي إلى اللاشعور، ولذلك فجزء كبير من إحساس الضمير بالشعور بالذنب هو لاشعوري عادة، وكل شيء لا يسمح به الضمير كان في الأصل أو بصورة

مشابهة لا يسمح به الوالدان، وما لا يرضى عنه الوالدان هو الأساس فيما يتنافى مع الضمير من بعد.

ويُردِّد فرويد عن كنط قوله إن الضمير الخُلقي هو أكبر برهان على وجود الله، ويعلّق فرويد أن الضمير لم يوزع بالعدل على الناس، وما أكثر الذين لم يتح لهم منه نصيب، ولا ينبغي أن نغفل الجانب من الحقيقة السيكولوجية التي يتضمنه القول بأن الضمير له أصل إلهي، وهو قول يحتاج إلى تفسير، فالضمير موجود لا شك في ذلك، لكنه لم يكن في الإنسان منذ البداية، ومن المعروف أن صغار الأطفال كائنات لا خُلقية، وليست لديهم القوة الداخلية التي تكفّ نزعاتهم لطلب اللذة، ولولا التهديد بالعقاب لما كان الضمير، وهو تهديد يولّد الحَصَر الموضوعي، والحَصَر الاجتماعي، وهما طليعة الحصر الخُلُقي الذي يظهر فيما بعد.

ولعلّ كتابة فرويد السابقة عن الضمير والتي نثرها في الكثير من مؤلفاته، إبتداءً من «علم النفس الجمالي وتحليل الأنا» (١٩٢١)، ثم «الأنا والهو» (١٩٢٣) و«الكف والعرض والحصر» (١٩٢٦)، و«الحضارة ومكدراتها» (١٩٣٠)، و«محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي» (١٩٣٣) - لعلّه أراد بها الردّ على النقد الذي وُجِّه إلى التحليل النفسي أنه لا يتناول النواحي الأخلاقية في الإنسان، فإذا كان التحليل النفسي قد أظهر الإنسان أكثر ارتكاباً للمعاصي مما نعتقد، فقد أظهره أيضاً أكثر خُلقاً مما نظن، والتحليل النفسي مسؤول عن الشطر الأول من القضية السابقة، ولا يجد اعتراضاً على وجهة النظر التي ينبّه إليها الشطر الثاني.

(أنظر أيضاً الأنا الأعلى والأنا المثالي والمثلى الأعلى للأنا).

مراجع

- Freud: Group Psychology and the Analysis of the Ego. (1917)
: The Ego and the Id. (1923)
: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)
: Civilization and its Discontents. (1930)
: New Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1933)

❖ ❖ ❖

- ط -

حرف الطاء

– الطرح

- **Transference (E.);...**
- **Transfert (F.);...**
- **Übertragung (D.)...**

الطرح – أي طرح المريض لمشاعره على المحلّل النفسي – من الظواهر العلاجية التي تخص التحليل النفسي، وكان فرويد قد تنبّه إليه في علاجه للحالة المشهورة باسم أنّا أو Anna O. بطريقة التنفيس، إلا أنه لم يعد إليه، ولم يطوّره، وكان من نصيب فرويد أن يواصل البحوث فيه، وأن يؤكد عليه في كتاباته، وخصّص له مقاله المعنون «عن ديناميات الطرح» (١٩١٢). والطرح من الظواهر النفسية الحياتية. وفي مقال لفرويد بعنوان «ملاحظات في الحب الطرحي» (١٩١٥) يتحدث عن نوع من المحبة يتكرر فيها أن يحب المرء أناساً يسقط عليهم مشاعره تجاه أبويه أو أخوته، أو الأشخاص المهمين في طفولته. والطرح في الأحلام يتمثل في هذا النوع منها الذي يطلق عليه إسم أحلام المسايرة والتي يرى فيها النائم ما يرضي المحلل عنه ويساير به نظرياته. وفي كتابه مع بروير «دراسات في الهيستيريا» (١٨٩٥) يتناول فرويد الطرح باعتباره إزاحة للمشاعر من شخص إلى شخص، ولم يكن يعتبره جزءاً من جوهر العملية العلاجية، ويعترف بأنه في حالة مريضته التي أطلق عليها إسم دورا، لم يكن قد تفهم بعد الدور الحقيقي للطرح، وردّ سبب انقطاع المريضة عن العلاج إلى سوء تأويله للحالة.

والطرح كما يراه فرويد طبعة أو نسخة جديدة من علاقات الماضي، يتذكرها المريض ويعيشها معايشة مع المعالج بما يتناسب مع ملابسات الموقف التحليلي، مع فارق أنه يُحلّ المعالج محل الشخص الذي كانت له به هذه الذكريات أو العواطف، وهو غالباً الأب أو الأم. ويُعطى المعالج لا شعورياً الصورة الوالدية المحبوبة أو المرهوبة، ويصبح في نظره أهم من شؤونه الخاصة، وأهم من مرضه نفسه، وتتحسّن صلاته به لفترة تحسناً ظاهراً، ويكون طوع أمره دون مبرر يغريه بذلك من سلوك المعالج أو من علاقته معه أثناء العلاج. وإذا كان المحلل شاباً

والمريضة فتاة فقد تقع في حبه وتتدلّه في الحب، وإذا كانت سيدة مسنّة والمحلّل عزباً فقد تحاول إغراءه بأن يتزوجها، وقد تشرع في طلب الطلاق من زوجها. وفي حالة المرضى الذكور قد تكون الصورة أقل وضوحاً، إلا أن المريض يبدي غيرة من علاقات المعالج بغيره، وقد تظهر في سلوكه ميول إستجناسية واضحة تجاهه. ويتميّز المرضى الذكور خصوصاً بظاهرة الطرح السلبي، وهو أن تظهر على المريض إتجاهات عدوانية للمعالج تكراراً للكراهية التي كان يكنّها لأبيه وهو طفل. ويقوى من الميول الطرحية عادة مركز المعالج باعتباره الناصح والمنقذ للفتاة أو الزوجة، وأن تكون الزوجة تعاني من فشل في حياتها الزوجية، أو أن تستشعر الوحدة، وقد تتسامى برغباتها اللبيدية وتطلب أن تكون له صديقة في علاقة منزهة عن الشهوية، والبعض قد تسفل بهن رغباتهن.

والطرح قد يظهر منذ بداية العلاج ويظل من أقوى الأسباب للاستمرار فيه، إلا أنه عندما يتحول إلى حب عنيف من جانب المريض أو المريضة، أو يسفر فيه عنصر العدوانية والكراهية، فحينئذ يلفت اهتمام المعالج.

وتتمثل في الطرح ظاهرة التناقص الوجداني بأجلى صورها، وهو تناقض ليس وليد الحاضر، وإنما ينسحب من الماضي على الموقف التحليلي، وليس سوى تكرار المواقف قد سبقت للمريض مع والديه وكانت فيها تناقضات وجدانية. وقد يرى المريض في المعالج عودة لشخصية هامة من شخصيات زمن الطفولة، ولذلك يطرح عليه بعضاً من الاستجابات التي كانت له مع هذه الشخصية.

ويعتبر الطرح علامة على أن المريض لم يعد له شأن بالمرض الذي يعالج منه، بل أصبح بإزاء عصاب جديد حلّ محل القديم، وفيه الكثير من الماضي وذكرياته ومشاعره وعواطفه، وإنما هي ذكريات ومشاعر وعواطف فقدت دلالتها الأصلية واتخذت دلالة جديدة متصلة بالطرح، ولا يبقى من أعراض العصاب القديم إلا ما يتصل بهذا العصاب الذي يصفه فرويد بأنه عصاب إصطناعي. وعلاج هذا العصاب الجديد يعني الوصول نهائياً إلى

زوال كل آثار العصاب القديم ومستتبعاته، وبذلك تنتهي مهمة العلاج ويصبح الشخص سوياً.

ويتميّز الطرح الإيجابي بأن كل ما يقوله المعالج للمريض يصبح له كالعقيدة، وأما الطرح السلبي فالمريض لا يبدو مهتماً بالمعالج، ولا يحفل بشيء مما يقوله. وليست النزعة للطرح إلا من قبيل النزعة إلى إفراغ الطاقة اللبيدية على الآخرين، وعند العصابي تكون نزعة الطرح بشكل مسرف.

وكان برنهاي قد ذهب إلى أن الأساس في التنويم المغناطيسي أن الناس جميعاً بلا استثناء قابلون للإيحاء بدرجات متفاوتة، وأن القابلية للإيحاء ليست سوى نزعة إلى الطرح، إلا أن برنهايم لم يُدخل في حسابه مسألة الطرح السلبي، ولم يرَ علاقة للقابلية للإيحاء بالنواحي الجنسية ونشاط الليبيدو. ودلت بحوث التحليل النفسي على أنّ المصابين بالأعصبة النرجسية لا يعرفون الطرح أو أنه لا يكون عندهم ملفتاً للنظر، وليس من المستطاع أن يحبوا المعالج ولا أن يكرهوه، وإنما لا يبالون ولا يكترثون لما يقول، ومن ثم لا يمكنه التأثير عليهم، ولذلك فإن إجراءات العلاج لا تجدي معهم، ولا ينفع معهم بعث الصراع المولد للمرض والتغلّب على المقاومات التي ترجع للكبت، ويظل حالهم على ما هو عليه. وتدل البحوث الكلينيكية على أن الليبيدو عند هؤلاء قد انسحب من الموضوعات وتحول إلى لبيدو الأنا، ومن ثم كان التمييز بين هؤلاء وبين المرضى بأعصبة من نوع آخر يصلح معها الطرح، وتسمى لذلك الأعصبة الطرحية، وهؤلاء هم المرضى بالهيستيريا أو الحُصار «الهستيريا الحصرية» أو بالحواز «العصاب الحوازي».

ويقول فرويد إن الطرح يفيد في العلاج، لأن المريض إذا وضع المعالج في مكان أبيه «أو أمه» فإنه يجعله كذلك بمثابة أناه الأعلى، وتتهيّأ للمعالج بذلك فرصة أن يقف من المريض موقف المربي فيصحح كل ما وقع فيه الأبوان من أخطاء تربوية. ولكن المعالج من جهة أخرى لا ينبغي أن يغالي في ذلك وينقاد لميوله ويقع في الأخطاء التي وقع فيها الوالدان حينما أعاقا نمو طفلهما باعتدائهما على استقلاليته، وهو بذلك إما يحلّ نوعاً من

الاعتماد محل نوع آخر، فمن الواجب على المعالج في محاولاته لإعادة تعليم المريض أن يحترم شخصيته، وأن يولي اعتباره لاستقلاليته، ولا يعطي لنفسه سلطة على المريض أكثر من الواجب، ويخضع ذلك لدرجة التأخر عند المريض وفي كثير من الأحيان لا يعامل المعالج المريض إلا كطفل، لأنه نشأ ونما على هذا الحال ولا تصلح معه إلا هذه المعاملة. وللطرح فائدة أخرى أن المريض يخبر المعالج بجزء من حياته لا يمكن أن يطلعه عليه في غير الموقف التحليلي، ويبدو أنه يقوم بتمثيله على المعالج وليس مجرد أن يسرده عليه.

ومن المستحيل السماح بعلاقات جنسية حقيقية بين المرضى والمعالج، وحتى الملاطفات الخفيفة غير مسموحة إلا في حدود، وفي شيء من الاقتصاد. وعلى المعالج أن يُفهِم المريض بحقيقة الطرح الإيجابي أو السلبي والدوافع إليهما، وأن يحذره من التمادي في أيهما، وأن لا يسمح بأن يتردّى به الأمر بحيث يصعب تحويله عن الحب الشديد أو الكره المقيت، فإذا نجح المعالج في إقناع المريض بأنه يكون قد جرّده من مقاومته وستمر به التجربة وقد تحوّلت من من مخاطرها إلى فوائد، ومن جهته فلن ينساها لأن تجربة الطرح شديدة الإقناع له. ولا ينبغي للمريض أن يبسط تجربته في الطرح خارج الموقف التحليلي بل يكتفي بأن يستعيد ذكرياته داخله.

مراجع

- Freud: On the Dynamics of Tansference. (1912)

: An Outline of Psychoanalysis (1938)

: Observations on Transference Love.(1915)

❖ ❖ ❖

– « طفل يُضْرَب»...

- **«A Chid is Being Beaten» (E.);...**
- **«On Bat Un Enfant» (F.);...**
- **«En Kind wird geschlagen» (D.);...**

كتب فرويد مقاله «طفل يُضرَب: مساهمة في دراسة أصل الانحرافات الجنسية» سنة ١٩١٩، ويقع في ست وعشرين صفحة، وذكر أنه عن نشأة الماسوشية، ووصف فيه ما يحدث لكل من الصبي والبنت عندما يعاقبان وبكتمان الألم الذي يستشعرانه له، ونبّه إلى المجريات اللاشعورية التي قد تستحدث بالضرب والألم الناتج عنه، والتي يمكن أن تنطبع به شخصية كل منهما، فالبنت قد ترى الإب يضرب أخاها الصغير وعندئذٍ قد تبرر استثنائها من قِبَل الأب من الضرب لأن الأب يحبها دونه، وقد يتسبّب لها هذا التفكير في تفجير مشاعر جنسية باتجاه الأب ليس هذا أوانها، وقد تؤدّي بها هذه المشاعر إلى الاهتياج الجنسي وأن تمارس مبكراً الاستمناء، فإذا كان الضرب متوجهاً من الأب إلى البنت فإن الألم الذي تستشعره سيختلط بحبها للأب وتكون بها مشاعر ماسوشية مبكرة. وقد تنسى حادثة الضرب وآلامها التي عانتها، وتكبت في نفسها المشاعر السلبية، وتتولّد بها مشاعر عكسية سادية تسلك بسببها سلوكاً يتصف بالذكورة، وتتكوّن لديها تهيؤات ذكورية كرد فعل عكسي. وأما الصبي فإن ضرب الأب له يُشعره بالمذلة للأب وهو ذَكَر مثله، وتتولّد به مشاعر ماسوشية قد تتنامى - باختلاط ألم الضرب بمحبة الأب - إلى أن تكون مشاعر جنسية مثلية مبكرة، وقد يمنى الطفل تلقائياً مع الضرب، ويرتبط الضرب حينئذٍ بالإمناء والاهتياج وجنس الأب الذكر، فيتكوّن بذلك الميل عند الولد لأن يسلك سلوك المأبون، أو قد يكبت هذه المشاعر ويفلح في التسامي بها.

مراجع

- Freud: A Child is Being Beaten: A Contribution to the Study of the Origin of Sexual Perversions. (1919)

❖ ❖ ❖

- «الطوطم والتابو»...

- **«Totem and Taboo» (E.);...**
- **«Totem et Tabou» (F.);...**
- **«Totem und Tabu» (D.)...**

أصدر فرويد كتابه الأشهر بهذا العنوان سنة ١٩١٣، واعتبره من أفضل مؤلفاته وأهمها على الإطلاق بعد كتابه «تفسير الأحلام»، وكما كتب بذلك إلى جونز وفيرينزي فهو لم يكتب شيئاً عن اقتناع كما كتب هذا الكتاب. وربما كان فرويد يتكهن بما سيصادفه كتابه هذا من استهجان، لأنه فيه يتناول نشأة الضمير والأخلاق والحلال والحرام تناولاً يصرح فيه بما لا يدع مجالاً للشك أنه ضدّ غيبية الأديان، وهو يعتبرها نتاجاً سيكولوجياً، كما يعتبر الآلهة مخلوقات أبدتها القوى النفسية للإنسان. ويخرج فرويد بهذه النتائج من دراسته للمرضى بالعصاب، وأخصهم مرضى العصاب الوسواسي، ويجد تشابهاً بين الأعراض العصابية ووساوس الدِّين والتحريم ومخاوف الموت وملامسة الموتى، وبين مشاعر البدائيين تجاه هذه الأمور، ولعلّه لذلك كان صدور هذا الكتاب في أول الأمر في حلقتين، في شكل مقالات أربع نشره بمجلة إيماجو للتحليل النفسي تحت عنوان « بعض نقاط الاتفاق بين الحياة النفسية عند البدائيين وعند المرضى بالعصاب Über einige Übereinstimmungen im Seelenben der der Neurotiker Wilden und». وجاء نشر المقال الأول والثاني بعدد سنة ١٩١٢ من المجلة، والمقال الثالث والرابع بعدد سنة ١٩١٣. والكتاب من المؤلفات التطبيقيّة، أو كما يقول يمثل المحاولة الأولى لتطبيق معطيات التحليل النفسي على بعض الشواهد السيكولوجية الجمعية، وكان قد سبقه إلى دراسة الطوطم والمحرم عالم آخر له شهرته الواسعة ويعتبر من الرواد الأوائل، هو وليام ڤونت في كتابه «علم نفس الشعوب»، والذي أصدره سنة ١٩١٢، كما أن مدرسة زيورخ للتحليل النفسي، والتي كان يرأسها كارل يونج، سبقت لها دراسات من هذا القبيل، إلا أن فرويد في هذا الكتاب يتجه به اتجاهاً مختلفاً، وإن كان قد جعل نقطة إنطلاقه هذه البحوث السابقة عليه، وبالأخص كتاب فريزر الغصن الذهبي. ويهدف فرويد به إلى أن يتطرّق بالتحليل النفسي إلى المجالات التي كانت قاصرة على بحوث الإثنولوجيين واللغويين والمختصين بالفنون الشعبية، وبالفنون عامة. وفي الترجمة العبرية للكتاب يورد في مقدمتها

أن آراءه فيه ليست تأريخاً للدين ولكنها وجهة نظر التحليل النفسي، وأنه لكي يتوصل إلى ما توصل إليه كان لا بدّ أن يقرأ عشرات المؤلفات في هذا المجال. وكان يرى أن الكتاب ضد المسيحية، وسيُعتبر من الأدب الممنوع، ورأى لذلك أن يقرأه في مؤتمر ميونيخ للتحليل النفسي الذي رأسه يونج ليوقع بينه وبين يونج، وستعارض جماعة زيورخ الآرية ما جاء به، وقد حدث، وقسّم الكتاب المجتمعين إلى آريين مؤمنين، ويهود ملحدين!!

ويرد فرويد نشأة الخوف من أنا المحارم، ونشأة التابو بمعنى الحرام أو المحرّم، ونشأة الديانة الأحيائية، والاعتقاد في السحر، وتوهّم التأثير بالأفكار - يردُّ ذلك جميعه إلى ما يسميه الازدواجية الوجدانية، فالمكبوت أو اللاشعوري يتمثّل فيه اتجاهين، أحدهما الرغبة العارمة فيه، والآخر محاولة قمعه وكبته. ويخصّص فرويد المقال الأول لمناقشة نشأة أنا المحارم، والمقال الثاني لازدواجية المشاعر، ويُشبّه التابو أو المحرّم بالضمير، ويعقد المقارنة بين سيكولوجية التابو وسيكولوجية العُصاب، وينبّه إلى أوجه الشبه والخلاف، كما ينبّه إلى الشبه بين أنواع العصاب وبين المُنتج في الفن والفلسفة والدين، وعنده أن الهيستيريا فيها كما في أي إبداع فني، إلا أنه إبداع مشوّه، وكذلك العُصاب الوسواسي نسخة مشوّهة للدين، وتشبه هذاءات البارانويا الأنساق الفلسفية إلا أنها تقليد مشوّه.

ويناقش فرويد في المقال الثالث الأحيائيّة والسحر وتوهّم القدرة المطلقة للتفكير، وكان فريزر قد عرّف السحر بأنه توهّم القدرة على تحريك الطبيعة لاعتقاد بالمشابهة بين ما في الطبيعة وما في العقل، فإذا كان الإنسان يستطيع أن يرتب ما في عقله وينظمه ويتحكم فيه، فإنه بالمثل يستطيع ذلك على الطبيعة التي يحاكيها العقل، بأن يتصوّر الطبيعة في عقله على هيئة معيّنة، فيكون تأثير أفكاره على الطبيعة بحيث تحاكي ما في عقله. ورأى فرويد في ذلك ما يسميه القدرة المطلقة للأفكار، أو بالأحرى للرغبات، وعقد المقارنة في ذلك بين ما كان لدى الشعب البدائية، وما يزال موجوداً عند الأطفال، ثم ما هو متمثل من ذلك عند المرضى بالعُصاب.

والمقال الرابع هو أهم المقالات الأربع، ويعطيه فرويد عنوان «العودة الطفولية للطوطم»، وهو المقال الذي تعتبر المقالات الثلاثة السابقة تمهيداً له، أو أنها بالنسبة له مقدمة، وهو النتيجة. ويشرح فرويد معنى الطوطمية، وأن الطوطم حيوان أو نبات أو جماد أو ظاهرة كونيّة يخشاها البدائي ويضفي عليها قداسة. والطموطم هو السلف، وهو الحامي، ويَحرُم لذلك ملامسته أو ملامسة من يلامسه، ومن ذلك كان تحريم زواج الأقارب، أي الزواج من ينتمون للطوطم نفسه. ووجد فرويد أن الخوف عند الأطفال من الحيوانات يمثل خوفاً من الأب، ونبّه إلى أن دراسات التحليل النفسي قد كشفت أن الحيوان الذي يخافه الأطفال هو رمز لاشعوري للأب المحبوب والمكروه في الوقت نفسه، وقال إن السلف الطوطمي عند العشيرة البدائية لا بد أن يكون له المعنى نفسها، وأن البدائي لا بد كان يستشعر تجاه المحرّم أو التابو الازدواجية الوجدانية، وفسّر تعدّد الزوجات عند البدائي بأنه محاولة منه لكي لا يمارس الحرام - أي الزنا بأمه وأخته، إلخ، وقال إن البدائي لا بد كان يستشعر هذه الرغبة بشكل أقوى جداً مما هي عليه عند الإنسان المعاصر، وربط فرويد لذلك بين الطوطمية ونظام تعدد الزوجات، وقال إن الاثنين شِقّان لعقدة أوديب، أي للانجذاب للأم وللرغبة في موت الأب المنافس، واستنتج أن الإنسان الأول كان يعيش في جماعات كجماعات القرود العليا مثلاً، وأن الإناث كانت له ومحرّمة على الآخرين من المنافسين الشبّان،وقال إنه إزاء وضع كهذا فلا بدّ أنه حدث أن مجموع هؤلاء قد تآمرواعلى الأب وقتلوه، وليس عيد الاحتفال بالطوطم، المباح فيه فقط قتل الطوطم وتناول لحمه، إلا إحياء لهذه الذكرى، وليس الخلاف بين الإخوة أبناء الأب على الحقيقة أو على المجاز، إلا من مترتبات مشاعر الذنب التي أعقبت القتل، والتي من أسبابها أيضاً إستباحوا حرمات الأب وانتهكوا أوامره المانعة للاتصال الجنسي بالأقارب وهو المسمَّى أنا المحارم.

ويقول فرويد إن فكرة الطوطم تطوّرت عبر آلاف السنين إلى فكرة الإله، ونُسجت حول هذه الفكرة مختلف الديانات، ويعقد

مقارنة بين ما يقول وبين التراجيديا الإغريقية التي يسير فيها البطل إلى حتفه رغم تحذيرات الجوقة له، ويقول إن الجوقة هم الإخوة الأبناء، وتحذيرهم للبطل الأب لم يكن تحذيراً على الحقيقة ولكنه قلب للأدوار إقتضاه الفن، حيث أن الحقيقة أن الأبناء كانوا المعتدين، وكان الأب أو البطل هو الضحية.

وينهي فرويد المقال بأن بدايات الدين والأخلاق والحياة الاجتماعية والفن كانت في عقدة أوديب التي هي نواة كل الأعصبة، والتي يلخصها الموقف إزاء الأب، والازدواجية الوجدانية التي هي مزيج من الكره والحب تجاه الموضوع الواحد، والتي هي أساس عدد كبير من التشكيلات الاجتماعية، وأساس حياتنا الوجداية، ولم تكتسبها البشرية إلا من جراء هذه العقدة الوالدية. ويقرّ فرويد بفرضية نفسية جماعية، وبوجود إتصالية في حياة الإنسان النفسية، وهاتان تشكلان الأساس لعلم نفس جمعي أو علم نفس شعوبي، ويقول إن هذه الاتصالية تتأتى جزئياً عن طريق وراثة الميول والاستعدادات، وإن كانت هذه الميول والاستعدادات في حاجة إلى حفز الفردية اليومية.

ويذهب فرويد إلى تفسير التناول المسيحي وتضحية المسيح بنفسه والقول بالخطيئة الأولية، بأن ذلك من بقايا الطوطمية، ويقول إن الفرق بين الطوطمية والعُصاب، أن العمل لدى العُصابي مكفوف كفّاً تاماً من قِبَل الفكرة التي تنوب عنه، ولكن الطوطمي أو البدائي على العكس لا يعرف عوائق وموانع للعمل، وتتحوّل أفكاره إلى أفعال، ويقوم الفعل عنده مقام الفكرة حتى يمكن القول، عكس ما يذهب إليه الإنجيل، أنه في البدء، كانت الكلمة، أنه في البدء كان الفعل. (أنظر أيضاً «الطوطمية» و«التابو»).

مراجع

- Wundt, W.: Volkerpsychologie. (1913)
- Frazer, J.: Totemism and Exogamy. (1887)
: The Golden Bough. (1890)

❖ ❖ ❖

- الطوطمية...

- «Totemism» (E.);...
- «Totémisme» (F.);...
- «Totemismus» (D.0...

الطوطم حيوان غالباً أو نبات أو ظاهرة كونية يخشاها البدائي، ولكل قبيلة طوطمها الذي تتناقل عبادته من جيل إلى جيل. ولأفراد القبيلة الذكور أو الإناث طوطمهم بحسب جنس هؤلاء الأفراد، ولكل فرد في القبيلة طوطمه الخاص. وطوطم القبيلة ككل يوقره كل رجالها ونسائها، ويحملون اسمه، ويعتبرونه السلف المشترك لهم جميعاً الذي يربطهم إلى بعضهم برباط أوثق من رباط القرابة بالدم، ويفرض عليهم واجبات وفرائض مشتركة. والطوطمية مرحلة طبيعيّة في كل حضارة. وهي نظام سياسي وديني واجتماعي. ويمتنع أفراد القبيلة عن قنص الحيوان الطوطم، وعن قتله وأكله، وأحياناً يحظرون أيضاً لمسه، بل النظر إليه ومناداته باسمه، وانتهاك هذا المحظور يعاقب عليه بالأمراض الخطيرة وبالموت. وكل قبيلة تنتظر من طوطمها الحماية والمحاباة. والتبعية الطوطمية هي الأساس في كل الإلتزامات الطوطمية. وتبعية ذكور وإناث القبيلة للطوطم الواحد تجعل منهم إخوة وأخوات وآباء وأمهات بحيث لا ينبغي أن يخالطوا بعضهم جنسياً، ولا أن يتزاوجوا من بعضهم، وترتبط الطمومية لذلك بنظام آخر في الزواج هو نظام الزواج من الأباعد، أو الزواج الخارجي.

والطوطمية إكتشفها لأول مرة أو نبّه إلى نظامها ماك لينان في مقالين، الأول بعنوان «الزواج البدائي» سنة ١٨٦٥، والثاني باسم «عبادة الحيوانات والنباتات» سنة ١٨٧٠، وهناك تفسيرات تُرجع التمايز بين القبائل البدائية بأسمائها إلى اختلافها فيما توقره أو تتخذه شعاراً لها، وعند دوركايم فإن الطوطم ليس سوى الممثل المنظور للديانة الاجتماعية للقبيلة. ويربط البعض الطوطمية بالاعتقاد بتناسخ النفوس، وقد يجعلون للطوطم نفساً أو روحاً الأمر الدي يربط الطوطمية بنظام آخر هو الأحيائية Animism. ويفسّر الزواج الخارجي في

النظام الطوطمي بأنه يمنع من أنا المحارم بين الإخوة والأخوات والأبناء والأمهات والآباء والبنات.

ويثبت التحليل النفسي أن الرغبات الجنسية الأولى للإنسان المراهق هي على الدوام من طبيعة محرمية، وأن هذه الرغبات المقموعة تلعب دوراً بالغ الأهمية في الأعصبة بوصفها عللاً تستحدثها وتتسبّب فيها. ويثبت التحليل النفسي كذلك أن موقف الطفل من الحيوانات ينطوي على تشابهات كثيرة مع موقف البدائي، والطفل لا يرى أنه مختلف عن الحيوان، بل ويرى الحيوان أقرب إليه في الفهم من الإنسان الراشد الذي لا يستطيع أن يفهمه. وقد يطرأ على هذه النظرة طارىء يفسدها، فقد يبدأ الطفل يخاف من بعض الحيوانات ويهرب من الاحتكاك بجميع أفراد جنسها، وترتسم عليه مخايل ما يُسمَّى رهاب الحيوان، وهو واحد من أكثر الإصابات العصابية النفسية تواتراً في الطفولة، ويكون موضوع الرهاب بصورة عامة حيوانات كان الطفل قد أبدى اهتماماً بها. وعالم الحيوان الذي يكون موضوعاً للرهاب في الطفولة يضيق في المدن عنه في الريف ويكاد ينحصر في الخيل والكلاب والقطط، وفي النادر الطيور، وفي كثير من الأحيان الحشرات مثل الخنافس والفراشات، وقد يكون الحيوان المرهوب مما لم يره الطفل رأي العين ولكنه خَبَره كصورة في كتاب أو ضمن حكاية رُويت عليه. وفي الغالب يفشل المحلّل النفسي أن يكشف عن الحادث أو العارض الذي حدّد هذا الاختيار عند الطفل للحيوان المرهوب. ويري فرويد عن أبراهام حالة لطفل كان يخاف من الزنابير وعلل ذلك بأن الزنبور له على جسمه خطوط كالخطوط التي على جسم النمر، ولونه كلون النمر، وله زئير كزئير النمر، والنمر حيوان قيل له إنه ينبغي الخوف منه، وطبقاً لأبراهام فإن رهاب الحيوانات الذي يكون عند الكبار أصله هذا الرهاب عند الأطفال، ويطلق فرويد على رهاب الحيوانات عند الأطفال إسم الطوطمية الطفلية، ويفسرها بأنها في الأصل رهاب من الأب تحول باتجاه الحيوان وتعيّن به، وهذه الأرهبة لا تقل في تواترها عند الأطفال عن المخاوف الليلية، ويشرح ذلك

باستفاضة في حالة الطفل هانز الذي يتعرّض لها في مقاله المعنون «تحليل رهاب عند طفل عمره خمس سنوات» (١٩٠٩)، ثم يعرج على الطوطمية عموماً في الجزء الرابع من كتابه «الطوطم والتابو» (١٩١٣) ويعدّ من أخطر وأهم ما كتبه فرويد في التحليل النفسي ضمن ما أطلق عليه إسم ما وراء علم النفس، وذلك أنه اعتبر الطوطمية الأصل والأساس لكل الديانات اللاحقة، وفسّر بها عقدة أوديب، ويطرح من خلالها فكرته في ازدواجية المشاعر أو الازدواجية الوجدانية. فمشاعر البدائي تجاه الطوطم باعتباره يقدسه ويخشاه في الوقت نفسه هي نفسها مشاعر الطفل تجاه الأب، فالأب هو طوطم الطفل الحقيقي، لأنه منه بمثابة الحاني والحامي، وهو الذي يخشاه ويخاف تهديده له بالإخصاء، ويكرهه كمزاحم له على محبة أمه. ويروي فيرينزي في مقاله «رجل الديكة الصغير» (١٩١٣) حالة طفل تولدت لديه الميول الطوطمية لا بالترابط مع عقدأوديب مباشرة وإنما بالترابط مع العنصر النرجسي في هذه العقدة، أي برهاب الإخصاء. وفي حالة هانز الصغير لفرويد تلعب عقدة أوديب وعقدة الخصاء أيضاً الدور نفسه – دور الخصم المهاب للاهتمامات الجنسية عند الطفل، ويتوعده الأب بأن يسمل عينيه كعقاب، والسمل نوع من العقاب بالإخصاء.

ويثبت فرويد العلاقة بين ما يسميه الوليمة الطوطمية عند البدائيين، وهي الأضحية التي يُقدمونها على مذبح الطوطم، وهي عبارة عن ذبيحة يأكلون لحمها ويشربون دمها، وبين تناول الخمر في الطقوس المسيحية حيث تحل الخمر محل الدم، ويحل خبز التناول محل اللحم، والمؤاكلة أو التناول فعل رمزي بمثابة الرابطة والأصرة التي تؤلف بين المؤاكلين أو عبّاد الطوطم، حيث يمثّل المأكل والمشرب المشترك مشاركة في المادة الواحدة الداخلة إلى الجسم ويكون ذلك رابطة مقدسة تجمعهم. ولقد أزاح التحليل النفسي النقاب عن أن الحيوان الطوطمي يقوم مقام الأب وذلك تفسير للتناقض من جهة أن الطوطمية تحظر قتل الحيوان الطوطم، ومن الجهة الثانية

فإن المتعبدين له في عيد الطوطم يحتفلون بذبحه وتناول لحمه وشرب دمه، علماً بأنه قبل العيد تكون فترة حزن. وهذا الموقف الوجداني الازدواجي ما يزال إلى اليوم يطبع بطابعه العقد الأبوية لدى الأطفال، وقد يستمر معهم إلى حياتهم الراشدة. وظلت هذه الازدواجية المباطنة للعقدة الأبوية قائمة في الطوطمية كما في الأديان اللاحقة، وربما كانت الوليمة الطوطمية أو عيد التضحية أو عيد الأضحى مناسبة للتخلّص من مشاعر الذنب عن الأبناء تجاه الأب أو الطوطم البديل، وفعلاً رمزياً للرغبة اللاشعورية في التخلّص من الأب والسلطة الأبوية. وبدءاً من ذلك التاريخ ستكون الممارسات الاجتماعية أخوية تؤكد المشاركة والمساواة بين الجميع، وسيُضاف إلى خطر قتل الطوطم خطأً آخر هو صراع الإخوة واقتتالهم، إلى أن تكون وصية النبي موسى «لا تقتل» ثم تكون الديانة المسيحية القائمة على مشاعر الذنب والتكفير عن الخطيئة في حق الأب. ويقول فرويد إن التحليل النفسي يُثبت أن إله كل إنسان هو صورة أبيه، وأن الموقف الشخصي لكل فرد إزاء الإله بموقفه إزاء أبيه المادي، وأن الإله ليس في صميمه سوى الأب وقد وضعه أبناؤه أو المؤمنون به في مكان أكثر رفعة وقداسة).

(أنظر أيضاً «التابو» و«الطوطم والتابو»).

مراجع

- Freud: Analysis of a Phobia in a Five-year-old Boy. (1909).
- Abraham, K.: Restrictions and Transformations of Scopophilia in Psycho neurotics, with Remarks of Analogous Phenomena in Folkpsychology. (1913)
- Frazer, J.: The Golden Bough.(1890)
- Wundt, W.: Volkerpsychologie. (1913)
- Frazer, H.: Totemism and Exogamy. (1887)

❖ ❖ ❖

- ظ -

حرف الظاء

- الظواهر الغيبية...

- occultism (E.);...
- Occultisme (F.);.
-Okkultismus (D.)...

الظواهر النفسية من مثل الاستحساس عن بعد والتخاطر هي ظواهر ميتاسيكلوجية، فالاستحساس عن بعد من مثل أن يحسّ شخص أ بما يجري لشخص آخر ب بعيد عنه، كأن يبصر بما يجري له، أو يسمع ما يقوله في الوقت نفسه تقريباً عن غير طريق وسائل الاتصال المعروف، وإنما بالحس الخفي. وفي التخاطر تنتقل الأفكار من عقل هذا إلى عقل ذاك دون تدخل من وسيلة نقل مادية، وقد يدّعي بعض المرضى بالاستجابات الهذائية أن آخرين يبعدون عنهم أميالاً يقرأون أفكارهم ويتحكمون فيها، وقد يبدي المريض عن يقين إمكان قراءة أفكار الآخرين واستطلاعها، ويطلق فرويد على هذه الظاهرة إسم انتقال الأفكار thought transference، ولا ينكر ظواهر كالتطير وأحلام النبوءات بدعوى أنه في النوم تكون الأمور مؤاتية لاستقبال الرسائل التخاطرية. البعض قد يتعامل مع ظواهر من مثل قراءة الكف والورق واستنباء النجوم والتكهن بالمستقبل باعتبارها ظواهر صادقة، والواضح أن العرّاف لا يزيد على أن يفصح عن أفكار عملائه ورغباتهم المستترة، ويمكن ردّ أمثال هذه التكهنات كما لو كانت تخيلات أو أحلاماً أو منتجات ذاتية لهؤلاء العملاء. وليست لهذه الحالات جميعها القيمة نفسها في إقامة الدليل على صحتها، كما أنها لا تستعصي على إمكان تفسيرها بتفسيرات أقرب إلى المعقول من تفسيرها غيبياً، غير أن استعراض الأدلة في حالات يرجّح واقعيتها، ومن الممكن تفسير هذه الحالات بمنهج التحليل النفسي حتى ليمكن أن نردّه إلى الواقع الموضوعي، بل إن من غير الممكن الاستغناء عن التحليل في تفسيرها، ومن الممكن أن نلتقي بالكثير من هذه الظواهر الغيبية في مواقف التحليل النفسي، والواقع أن أمثالها تكثر مع الأشخاص الواهني الذهن إذا طعنوا في السن وصاروا سريعي التصديق. ويبدو

أن التخاطر بوجه خاص يعزّزه الأسلوب العلمي في التفكير، فالمعروف أن عملية الإحساس عن بعد تتلخص في حدث نفسي يقع لشخص فيؤدّي إلى ظهور الحدث نفسه في شخص آخر، وتتوسط الحدثين عملية فيزيائية يتحول بها الحدث النفسي عند أحد الطرفين ويعود سيرته الأولى عند الطرف الآخر، ولهذا الأمر شبيه واضح في التحدث والاستماع عبر التليفون. ويشير فرويد إلى أن التحليل النفسي قد مهّد الطريق لقبول عملية التخاطر، بأن أدرج اللاشعور بين ما هو فيزيائي وبين ما هو نفسي. ولو ألفنا فكرة التخاطر لكان من الممكن أن نعلّل بها ظواهر كثيرة، وحتى الآن تتوه عنا ظواهر الاتصال بين الحشرات إتصالاً ليس فيه وسيلة فيزيائية، ولعلها تتواصل نفسياً من طريق كالتخاطر. وربما كانت هذه الطريقة هي التي سادت بين أفراد الجنس البشري قديماً قبل أن يتطوّر النوع ويكتشف للتواصل أسلوب الرموز والعلامات التي تدرك بالحواس، غير أن الأسلوب الأولي البدائي لايزال يفصح عن نفسه في ظروف خاصة، كما هو الشأن مثلاً عندما تُستقر الجماهير إلى حالة من التهيّج الوجداني الشديد يسري فيها عن طريق هذا الأسلوب الأثري في التواصل النفسي. ويحدث مثل ذلك في الحياة النفسية للأطفال، وبوجه خاص في خوفهم الشائع بينهم في أن يحيطوا آباءهم علماً بما يجول في نفوسهم وعقولهم من رغبات وخواطر، وهو خوف شبيه باعتقاد الكبار بأن الله مطلع على دخائلهم ويعلم بخواطرهم. وذهبت باحثة مثل دوروثي بيرلينجهام في كتابها «تحليل الطفل والأم» إلى كشوف إن صحت فإنها تؤكد واقعية التخاطر، وسجّلت ظواهر تثبت التخاطر بين الأم وطفلها.

مراجع

- Freud: New Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1933)

:Dreams and Telepathy. (1922)

- Dorothy Burlingham: Child Analysis and the Mother

❖ ❖ ❖

- ع -

حرف العين

– العدوان...

- Aggression (E.; D.);...

- Agression (F.)...

العدوانية في نظرية التحليل النفسي قوة تفكك وتفتيت، ويُنبِّه الكثيرون من المحلّلين من أمثال ميلاني كلاين إلى الدور الذي تلعبه النزعات العدوانية منذ الطفولة، وإلى تأثيرها التفكيكي أو التفتيتي. وتحفل كتابات فرويد منذ البداية بالمصطلحات التي تدخل في معانيها العدوانية دخولاً صريحاً أو رمزياً، ومن ذلك ثنائية الحب والكراهية أو ما يُسميه إزدواجية المشاعر، حيث تختلط الميول العدوانية مع الميول المناقضة لها، وقد يتحوّل الحب لذلك بسهولة إلى كراهية، كما أن الكراهية قد تنقلب صراحة إلى حب. وتظهر العدوانية رمزية في الدعابة والسخرية حيث يكون مضمونها عدواني الطابع وإن لم يكن شكلهما يوحي بذلك. ويقوم العلاج التحليلي أساساً على إيقاظ العدوانية في المريض واستثارة وعيه بمضمونها. ويبدي المريض الكثير من العدوانية في شكل المقاومة التي يبديها للعلاج، وفي السلوك العدائي الذي يقفه من المعالج. وتظهر العدوانية كجانب من عقدة أوديب حيث تقوم هذه العقدة على الحب والكراهية معاً، وتظهر العدوانية فيما يُسمَّى أحلام موت الأقارب والأحباب. والنزعة السادية هي نزعة عدوانية تتجه للخارج، بينما النزعة الماسوشية نزعة عدوانية تتجه للداخل أي للذات. وفي مجال نزعات حفظ الذات يجعل فرويد النشاط المتجه إلى الموضوع نشاطاً عدوانياً للسيطرة عليه، وبعض هذا النشاط يتجه للتدمير من أجل التدمير، وللنزعة العدوانية جهازها هو الجهاز العضلي. ويردّ الكثيرون ثنائية فرويد عن الإيروس أو نزعة الحياة، وعن الثاناتوس أو نزعة الموت، إلى ثنائية الجنسية والعدوانية، وبعض تلاميذه، ومنهم فيدرن، يُسمِّى نزعة الموت نزعة تدمير Destrudo، وهذه النزعة العدوانية فطري في الأنا، ومنها العدوانية حتى ضد الذات كما تتمثّل في مشاعر الذنب والميول الماسوشية. والإيروس والثاناتوس هما النزعتان

الرئيسيتان اللتان يقول بهما فرويد، وتدخل كل النزعات الأخرى والغرائز التي قال بها الآخرون ضمنهما، فنزعة حفظ الذات والنزعة الجنسية تدخلان ضمن الإيروس، وكذلك النزعة للخوف والنزعة للهرب تدخلان ضمن الثاناتوس. والدليل على أن نزعة الحياة ونزعة الموت أو النزعة العدوانية هما وحدة Fusion أن الصراع من أجل الحياة فيه من النزعة العدوانية ونزعة الحياة، ثم إن قابلية توجّه النزعة العدوانية إلى الخارج ثم توجهها إلى الداخل يجعل من السادوماسوشية حقيقة جامعة لنزعتي الحياة والعدوان معاً. ولا ينطبق العدوان فقط على ما يمكن أن يكون من سلوك الذات نحو الموضوع الخارجي، بل إنه أيضاً ينطبق على ما يمكن أن يكون من الأنا الأعلى ضد الأنا والصراعات التي يمكن أن تقوم بينهما، أو بينهما وبين الهو.

وفي تفسير فرويد لقوله إن الذكورة فاعلة، والأنوثة منفعلة، أن الفاعلية Activity تعني العدوانية، فالسلوك الذكوري طابعه هذه العدوانية، بينما السلوك الأنثوي على النقيض بسبب الكف أو القمع أو الكبت الذي يعاني منه اللبيدو الأنثوي أساساً. ويتجه فرويد في تفسيره للعدوانية باعتبارها الفاعل النشيط إلى أن كل سلوك بيولوجي أو نفسي هو شكل من النشاط الفاعل.

مراجع

-Freud: New Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1933)

- Eidelberg, L.: Studies in Psychoanalysis. (1948)

❖ ❖ ❖

– العَرَض...

- Symptom (E. D.);...

- Symptôme (F.)...

العَرَض في التحليل النفسي علامة تدلّ على رغبة غريزية لم تُشبع، وهو إشباع بديل لهذه الرغبة، ونتيجة لعملية الكبت.

ويُحاول الأنا ربط العرض به وتكييف نفسه من وجوده كما يكيف نفسه عادة من العالم الخارجي الواقعي، ويجد دائماً مناسبات كثيرة يستغلها لهذا الهدف. وقد ينشأ عن وجود العرض بعض الضعف مثلاً في قدرات الفرد، فينتفع الأنا بذلك في إرضاء بعض مطالب الأنا الأعلى، أو رفض بعض مطالب العالم الخارجي، ومن ثم يأخذ العرض بالتدريج في تمثيل بعض الرغبات الهامة للأنا، ويندمج به شيئاً فشيئاً ويصبح ضرورياً له. وللصورة التي تتخذها الأعراض في العصاب القهري، وفي البارانويا، أهمية كبيرة للأنا، لا لأنها نافعة للأنا، ولكن لأنها تحقق ما لا يمكن أن يتحقق من إشباع نرجسي للأنا إلا بهذه الصورة، فتقوم الأنظمة القهرية للشخص المصاب بالعصاب القهري بإرضاء حبه لذاته بتبرير هذه الأعراض وإشعاره أنه بها أكثر نظافة مثلاً، كما أن هذاءات المصاب بالبارانويا تشغل خياله وإدراكه بنشاط لا يمكن أن يتوفر له إلا عن طريق هذه الأعراض، وذلك ما يسميه فرويد المكاسب الثانوية للمرض النفسي، ومن شأنها تدعيم وتثبيت العرض، غير أن العرض من ناحية أخرى، وباعتباره بديلاً عن الدافع المكبوت ومشتقاً منه، فإنه يقوم بدور الدافع المكبوت فيطالب بالإشباع، ومن ثم يضطر الأنا إلى أن يظهر عدم الرضا به، ويعطي إشاة لكَدَر، ويتخذ منه موقف الدفاع.

ويقول فرويد في العلاقة بين نشوء العرض والقلق، أن الأعراض تنشأ لكي تقي الأنا من الأخطار، وإذا منعت الأعراض من النشوء تحقّقت الأخطار في الواقع، ونشوء القلق هو السبب في بدء نشوء الأعراض وشرط ضروري لها، وتكوين العرض يزيل حالة الخطر في الواقع.

مراجع

- Freud: Inhibition,Sypmptom and Anxiety. (1926)

❖ ❖ ❖

– العزل...

-Isolation (E.;F.;D.)...

عملية العزل من عمليات الأنا الدفاعية ويتمثل فيها الكبت، واللجوء إليها دليل على أن الكبت الحقيقي تصادفه صعوبات، ويتميز بها العصاب الوسواسي على وجه خاص، ومؤداها عزل فكرة أو فعل بقطع روابطه بالأفكار أو الأفعال الأخرى، فعندما يقوم المريض بشيء أو يفكر في شيء له صلة بعصابه فإن فترة من الزمن تمضي بعدها لا يفكر في شيء ولا يفعل شيئاً، وكأنه لا ينبغي له أن يدرك خلال هذه الفترة أو يفعل أي شيء آخر، وسرعان ما تتضح الصلة يين هذا السلوك وبين الكبت. وفي الهيستيريا ينسى المريض الخبرة الصادمة، ولا يحدث ذلك في العصاب الوسواسي، وبدلاً من أن تُنسى فإنها مجرّد من شحنتها الوجدانية وتقمع علاقاتها الارتباطية أو تقطع، بحيث تبقى هذه الخبرة إذا ما بقيت، منعزلة، ويتعذّر إستحضارها في مجرى التفكير العادي وتتماثل لذلك نتيجة العزل مع نتيجة الكبت عن طريق فقدان الذاكرة.

والعزل ترافقه محاولات حركية لتأكيده بطرق أشبه بالسحر لضمان قطع الارتباط في الفكر، ومن ذلك ما يفعله العصابي عندما يحاول تركيز انتباهه على شيء، فكل ما عدا هذا الشيء من أفكار أو نشاطات متواقتة لا يجب أن تشغله عما هو إزاءه، وحتى عندنا نحن الأسوياء فإننا نلجأ إلى تركيز الانتباه لنصرف عنا ماهو دخيل وغير مهم، بل وعلى الخصوص ما يناقض ما نفكر فيه أو نقوم به. وأكبر ما يصادف الانتباه من تشويش ما يكون له صلة بموضوع الانتباه أو يرتبط به من الماضي ولكنه مع الزمن والتقدم في العمر إنقطعت الصلة بينهما وتنوسي، ومن ذلك مثلاً أن يكون للعلاقة بالوالدين، وازدواجية المشاعر تجاههما وتناقضها نتيجة ما يُسمَّى العقدة الوالدية، مردود على العلاقة بالله،أو أن يكون لخبرة الإخراج في الطفولة علاقة بظهور دوافع متعلقة بأعضاء الإخراج تؤثر على الانفعالات الغرامية والعلاقات الجنسية بالآخرين. وهكذا يكون على الأنا

في الحالات العادية أن يمارس العزل ويبذل في ذلك الكثير من الجهد أثناء توجيهه لمسار التفكير. ومن ثم يكون على المحلل النفسي أن يحذر المريض من لجوء الأنا إلى العزل، وأن يدربه على الإمساك لفترة عن أن يؤدي الأنا هذه الوظيفة التي لها كل ما يسوغها في الأحوال العادية إلا في ظروفه. ولقد تبيّن لكل المشتغلين بالتحليل النفسي أن المريض المصاب بالعصاب الوسواسي يشقّ عليه للغاية أن يلتزم بهذه القاعدة الأساسية للتحليل، والسبب أن الأنا عنده أكثر يقظة ويؤدّي عمليات العزل بطريقة صارمة، بسبب ما يعاني من توترات بالغة نتيجة الصراع الشديد بين الأنا الأعلى وبين الهو، الأمر الذي يجعله يقاوم بضراوة خلال عملياته الفكرية، التدخلات من النزعات الوجدانية المتناقضة والتخيلات اللاشعورية، وهو من ثم يقظ، ولا يتهاون أبداً، ولا يهدأ، ولا يرخي لنفسه اللجام، ويتأهب باستمرار للنضال، ويقوم لذلك بتقوية الحافز عنده على التكرار، ويجبر نفسه على التركيز، ويمارس العزل ويلجأ لحركات وأفعال وكلمات سحرية يستعين بها على مراده وتلفت إليه الأنظار، وتكون لها عنده أهمية كبيرة وتغدو كالطقوس، وتعتبر من أبرز أعراض المرض عنده.

والأنا إذ يلجأ لمنع التداعيات والربط بين الأفكار إما يلتزم بأقدم وأهم ما يتصف به العصاب الوسواسي ويقتضيه، ألا وهو تحريم اللمس. واللمس تتحقق فيه ازدواجية المشاعر وتستهدفه الشحنات النفسية المتعارضة، وطلب الوصال الجنسي يُعبَّر عنه باللمس ويبدأ به، والممنوع يُحرَّم لمسه، والعصاب الوسواسي يبدأ بتجنّب اللمس بمعناه الجنسي، ثم ينتهي بعد النكوص إلى تجنبه بمعناه العدواني. وليس سوى اللمس يحرّم بشدة في هذا المرض، وهو أساس النواحي التالية، ومنع اللمس هو عزل للشيء الممنوع، وعندما يعزل العصاب فكرة أو إحساساً أو فعلاً ويوقف عند هذا العزل، فإنه يجعلنا نفهم بطريقة رمزية أنه لا يسمح أن يقرب ما عزله أو يتصل ويرتبط به.

مراجع

- Freud: Inhibition, Symptom and Anxiety. (1926)

❖ ❖ ❖

– العصاب...

- Neurosis (E.);...
- Nérvose (F.);...
- Neurose (D.)...

أمراض العُصاب والذُهان حالات يظهر فيها اضطراب وظيفة الجهاز النفسي، واختار فرويد العصاب موضوعاً لبحوثه لأنه يبدو أنه وحده القابل للعلاج بطريقة التحليل النفسي.

وليست للأمراض العصابية أسباب محدّدة، ولا توجد حالة تعتبر سوية إلا وبها سمات عصابية. وللعصابيين تقريباً الاستعدادات النظرية نفسها التي تجد عند جميع الناس، ولهم خبراتهم ومشاكلهم نفسها التي تتطلّب الحل، ولكنهم دون الناس من الأسوياء يستبدّ بهم قلق أكبر وهموم وآلام أكثر، وترجع متاعبهم إلى سوء توزيع الطاقة النفسية عندهم كمياً، أي عدم توزيعها في تناسق، وهذا العامل يقال له العامل الاقتصادي. وقد يحدث عندهم أن تكون إحدى غرائزهم قوية جداً، أو ضعيفة جداً بالفطرة، أو أن تكون إحدى قدراتهم قد تعطل نموّها أو لم يكتمل، أو تكون المؤثرات الخارجية أشد قسوة عليهم، أو تكون طاقتهم على الاحتمال أقل، وهذه الاختلافات الكمية في الطاقة النفسية هي التي تسبّب اختلاف الإصابة بالأمراض العصابية.

وهناك أسباب خاصة بالإضافة إلى ما سبق، وفيما يبدو أن هذه الأمراض تتحصل بواكيرها في الطفولة حتى سن السادسة بالرغم من أن أعراضها قد لا تظهر إلا فيما بعد بمدة طويلة، وقد تظهر في الطفولة لمدة قصيرة، وربما لا يفطن أحد لظهورها في هذه المرحلة الباكرة. وأمراض الطفولة العصابية مقدمات لظهورها في مراحل العمر التالية، وفي الطفولة لا يكتمل نمو الأنا ويضعف عن المقاومة، وقد يعجز عن حل مشاكل الطفل التي تفوق قدراته، وفي هذه المرحلة قد تشكّل الدوافع الغريزية صدمات كالتي يمكن أن يعانيها الأنا في احتكاكه بالعالم الخارجي. ويلجأ الأنا الضعيف لحماية نفسه إلى الهرب من المشاكل الحياتية، وإلى كبت الدوافع الغريزية، والكبت نوع

من الهرب، وقد لا يفيد الهرب في حل المشكلة، كما قد لا يفيد الكبت. وربما يشكّل الكبت وسيلة ضغط إضافية على الأنا قد تعوق استمرار نموّه، وقد تكون هذه الإعاقة مستديمة. والكبت مع ذلك ضروري للترقي الحضاري وتحصيل المعارف، ويتيسر ذلك بمعونة التربية والتعليم وسلطة الوالدين، ولا ينبغي من ثم إدراج تأثير الحضارة ضمن العوامل النفسية المسبّبة للأمراض العُصابية، وكذلك لا ينبغي إغفال تلك الخاصة البيولوجية للجنس البشري والتي تتمثل في المدة الطويلة التي يستغرقها اعتماد الأطفال على الأسرة.

ويذهب فرويد إلى أن الأنا في المرحلة الأولى من حياة الطفل يكون غير قادر بيولوجياً على السيطرة على ما يشعر به من تهيّجات بحكم تكوينه غير المكتمل. وترجع الإصابة بالعصاب إلى التأخير في نمو الأنا وتخلّفه عن ملاحقة نمو الطاقة الجنسية، ومن ثم فإن الطفل لو أمكن تربيته بحيث لا يعاني من الكبت وتطلق الحرية لحياته الجنسية كما يحدث عند الكثير من الأجناس البدائية - في هذه الحالة يمكن فعلاً أن لا يُصاب بالأمراض العصابية.

والأعراض العصابية عبارة عن أحد أمرين، فإما أن تكون وسائل لمنع هذا الإشباع، وهي عادة عبارة عن التوفيق بين هاتين الرغبتين.

وتلعب الغرائز التي تظهر من الناحية الفسيولوجية باعتبارها جنسية دوراً عظيماً في تكوين الأمراض العصابية. ولاقت الغرائز أثناء نشوء الحضارة أكبر الصد، وتتعرض للكبت الشديد الذي قد يتسبب لها في أن تتجه إتجاهات معيّنة لها تأثيرها الذي ما من سبيل للرجوع فيه، وتتكون بها إستعدادات للقهر العصابي الذي يستحيل به على الأنا أن يتحكم في الوظيفة الجنسية، وقد يعزف عنها بالكامل، وهذه الحالة الأخيرة هي التي تؤدي إلى الإصابة بالعصاب، فإذا لم يحدث العصاب كان البديل له هو الانحراف.

ويتفق الرأي الذي ذهب إلى أن الأعراض عبارة عن النشاط الجنسي للمريض وتمثّل بديلاً للرغبات التي تستمدّ قوتها من الغريزة الجنسية - يتفق

مع ما نعرفه عن طبيعة الهيستيريين حيث نتبين في خُلُقهم درجة من الكبت الجنسي تزيد عن المقدار العادي، ومقاومة شديدة ضد الغريزة الجنسية، وقد تظهر الأعراض أيضاً كنتيجة للجنس الشاذ. وليست الأمراض العصابية إلا الناحية السلبية للانحرافات. وتُظهر الغريزة الجنسية للعصابيين جميع الانحرافات باعتبارها تغيّرات تطرأ على الحياة الجنسية السوية، وباعتبارها مظاهر للحياة الجنسية الشاذة. وتبين الحياة النفسية اللاشعورية لجميع المصابين بالعصاب بدون استثناء رغبات مرتكسة وتثبيتاً لليبيدو لأفراد من جنسهم. ومن الممكن أن نعثر في لاشعور العصابيين على ميول لكل نوع من أنواع الامتدادات التشريحية للنشاط الجنسي.

ومن العوامل التي تلعب دوراً بارزاً في تكوين الأعراض تلك الأجزاء الغريزية التي تظهر في الأغلب كأزواج من الأضداد، كما في غريزة التنظر ونقيضها غريزة الاستعراض، وكما في الصورة الإيجابية والسلبية لغريزة القسوة - السادية والماسوشية. وعن طريق العلاقة بين الليبيدو والقسوة يتم تحويل الحب إلى كراهية، وتتحول دوافع الحب إلى دوافع عدوانية، وهي خاصة تميّز عدداً كبيراً من حالات العصاب، وعلى ذلك فكلما كانت في اللاشعور غريزة من هذا النوع فإنها ترتبط بالغريزة المضادة لها، ومن ثم يكون كل انحراف مصاحباً لمقابله السلبي، وكل فرد يكون في لاشعوره استعراضياً يكون أيضاً في الوقت نفسه متنظّراً، وكل فرد يعاني من نتائج الدوافع السادية المكبوتة لا بد أن يكون لديه سبب آخر لأعراضه يصدر عن ميوله الماسوشية.

ومن الخصائص العامة للأمراض العصابية وجود اتجاهين مختلفين في حياة الشخص النفسية بالنسبة لنوع معيّن من السلوك، ويتعارض الاتجاهان، ويعمل كل منهما مستقلاً عن الآخر، ويتبع أحدهما الأنا، ويتبع الآخر الاتجاه المكبوت في الهو.

ومن العوامل التي تعمل على خلق الظروف التي تأخذ فيها قوى النفس في محاربة بعضها البعض ثلاثة عوامل: العامل البيولوجي الذي نبّهنا إليه، وعامل

خاص بنشأة الجنس، وعامل سيكولوجي. والعامل البيولوجي هذه المرة هو الفترة الطويلة التي يقضيها صغار النوع البشري في حالة عجز واعتماد على الغير، وينتج عن ذلك أن تأثير العالم الخارجي عليهم يكون أكبر ويشكّل الخطر الأول الذي يتهدد الأنا ويعاني منه الحصر. والعامل الثاني يتعلق بنمو الليبيدو، لأن الحياة الجنسية عند الإنسان لا تنمو نموّاً متصلاً إذ تتوقف في العام الخامس من عمر الطفل، وتُستأنف في المراهقة ليعود الطفل لخطر الاستسلام مرة ثانية لتأثير الدوافع الغريزية، ولمخاطر كبتها. وللاتصال المبكر بالرغبات الجنسية تأثير على الأنا مماثل لتأثير الاتصال السابق لأوانه بالعالم الخارجي. والعامل الثالث هو نقص الجهاز النفسي وتمايزه إلى أنا هو، ويرجع ذلك لتأثير العالم الخارجي، فالأنا يضطر نظراً لأخطار هذا العالم إلى وقاية نفسه من بعض الدوافع الغريزية في الهو ومعاملتها كأخطار، إلا أنه من الأخطار الداخلية لا يستطيع أن يبقى نفسه بالنجاح نفسه الذي يستطيعه حيال بعض الأخطار الخارجية، لأن الأخطار الداخلية من ذاته، والخارجية ليست من ذاته. ومع استمرار تواجد الخطر وإلحاح الدوافع الغريزية تبدأ معاناة الأنا التي تُعرَف بالمرض العصابي.

وهناك نوع من المصابين بالأمراض العصابية يشبهون الذهانيين شبهاً كبيراً، وهؤلاء هم العدد الأكبر من الناس الذين يعانون العصاب الشديد، ولا بد أن تكون أسباب ومصدر مرضهم واحدة أو على الأقل متشابهة جداً، غير أن الأنا عند العصابيين يكون أكثر مقاومة وأقل اختلالاً، فكثير منهم لا يزالون قادرين على الاحتفاظ بمراكزهم الاجتماعية في الحياة الواقعية، بالرغم من متاعبهم وما ينشأ عنها من فقدان الكفاءة، ويبدو أن هؤلاء العصابيين مستعدون لتقبّل العلاج.

ويتميّز المريض بالعصاب بالرغبة في المرض أو الرغبة في الألم، وذلك من مصادر مقاومته للعلاج، ويعاني من مشاعر ذنب لا يعيها، والشعور بالذنب جزء من المقاومة التي يبديها الأنا الأعلى للعلاج. فالمريض العصابي يتحول أناه الأعلى إلى القسوة الشديدة، ولا يحب

المريض أن يتمتع بالصحة لأنه يستحق المرض كعقاب، ولذلك فكلما تصدّى العلاج لنوع من المرض العصابي دفعته مقاومة الأنا الأعلى لأن يستبدل بالمرض نوعاً آخر منه، ربما يكون مرضاً عصابياً وقد يكون عضوياً، ويفسر ذلك شفاء بعض المرضى بالعصاب عندما تقع لهم حوادث شديدة فيلهيهم المرض العضوي عن المرض العصابي. وهناك نوع من العصابيين تنقلب عليهم غريزة حفظ الذات فلا يبدو عليهم أن لهم غرضاً آخر في الحياة إلا أن يؤلموا أنفسهم، فقد ينتهي بهم الأمر إلى محاولة الانتحار أو الانتحار فعلاً.

ويقوم العلاج بالتحليل النفسي على مساعدة أنا العصابي الذي لم يعد قادراً على القيام بالمهام التي يكلفه بها العالم الخارجي، والذي أصبح عجزاً عن استثمار خبراته في الحياة واستجماع شتات ذكرياته، بسبب قسوة الأنا الأعلى عليه واستنفاده لطاقته، حتى أنه لا يعود قادراً على صدّ رغبات الهو، فضلاً عن غزوات الهو المستمرة له وإشاعتها الاضطراب فيه، فتنتابه الشكوك، ولا يهدأ به الصراع، وتتمزقه الدوافع. وتتمثل مساعدة المريض على العلاج باستنهاض الأنا الواهن ليقاوم رغبات الهو ويقهر المقاومات المضادة للعلاج، ويأخذ المعالج في الوقت نفسه في تغيير نظام الأنا عنده، بالكشف عن المادة اللاشعورية ودوافعه التي شقت طريقها إلى الأنا عنوة، وتعريضها للنقد الذي يردها إلى مصدرها.

مراجع

- Freud:Sexuality in the Aetiology of Neuroses. (1898)

: Heredity and the Aetiology of the Neuroses. (1896)

❖ ❖ ❖

– عُصاب الحاضر...

- **Actual Neurosis (E.);...**
- **Nérvose Actuelle (F.);...**
- **Aktualneurose (D.)...**

هو المقابل للعُصاب النفسي، حيث العصاب النفسي له أسباب نفسية من الماضي، وترجع إلى الطفولة، بينما عصاب الحاضر أسبابه حالية، من حياة المريض الحاضرة، وهي عضوية وليست نفسية، كأن يعاني المريض من قلة الممارسة الجنسية أو انعدامها، أو من الإفراط فيها، أو أن يمارسها ويُجبر على أن يكون ذلك بطريقة معيّنة، كأن يكون جماعه فيها متقطعاً، أو يُفرض عليه العَزْل الجنسي، إلخ، ومعنى ذلك أن الطاقة الجنسية بدلاً من أن تنصرف الانصراف الطبيعي فإنها تُحتجز، وتكون هناك استثارة وتهيّج دون إشباع، الأمر الذي يترتّب عليه اضطراب في الأيض الجنسي. وقد جعل وليام رايخ هذا العصاب الأساس في الإصابة بأي عصاب نفسي لاحق، أي أنه جعله المرجع الأول لجميع أنواع الأعصبة. وشبّه فرويد هذا العصاب بأنه كالحالة المرضية للمدمن الذي يعتاد جسمه على المخدر ثم فجأة يمتنع عنه فتكون به آثار الامتناع.

وميّز فرويد بين ثلاثة أنواع من العُصاب الحاضر (١٨٨٩): النهك العصبي أو النوراسينيا، وعصاب القلق، وأرجع النوراسينيا للإفراط الجنسي كما في إدمان الاستمناء «العادة السرية» أو كما في الاحتلام «الإمناء أثناء النوم». وأرجع عصاب القلق للتهيّج الشديد وعدم التصريف الجنسي، أو أن يمارس الجنس مع التهيّج الشديد ولا يُبْلَغ فيه إلى النهاية. ثم أضاف فرويد من بعد ذلك (١٩١٤) إلى هذين النوعين نوعاً ثالثاً هو توهّم المرض «الهايبوكوندريا» وأرجعه إلى عملية كبح اللبيدو الأنوي، أي الطاقة الشهوية للأنا، وقال إن هذه الأنواع الثلاثة نادراً ما يكون كل نوع منها خالصاً، ولكنه يحدث مختلطاً بأعراض النوعين الآخرين، وبالإضافة إلى أن هذه الأعراض تختلط بها أعراض عصابية نفسية «١٩١٧»، وقال بأن أي عرض من أعراض العُصاب الحالي يتحلّق حوله وينبني عليه أعراض العصاب النفسي في أطواره الأولى، فمثلاً قد يُصاب المريض بالصداع كعَرَض تسممي جنسي نتيجة ممارسة الجماع المتقطع، وقد يتطوّر معه الصداع أي أن يكون عرضاً

لهيستيريا تحوّلية، بأن تُستنفد فيه الطاقة اللبيدية التي توقظها الذكريات والأخيلة الجنسية من خلال الإزاحة والتكثيف.

ويثير العصاب الحالي الكثير من الجدل، وهناك من يعتبر هذا المصطلح قد تجاوزه العلم الحديث، كما أن هناك من يؤيّد استمرار استخدامه ولا ينكر وجود العصاب الحالي.

مراجع

- Freud: On the Grounds for Detaching a Particular Syndrome from Neurasthenia Under the Description «Anxiety Neurosis». (1895)

: Sexuality in the Aetiology of the Neuroses. (1898)

: On Narcissim: An Introduction. (1914)

: Introductory Lectures on Pshychoanalysis. (1917)

❖ ❖ ❖

– العصاب الحوازي أو الهجاسي أو القهري أو الوسواسي...

- **Obsessional Neurosis (E.);...**
- **Nérvose Obsessionnelle (F.);...**
- **Zwangsneurose (D.)...**

عزل فرويد هذا العصاب خلال تصنيفه للأمراض النفسية (١٨٩٥) ويعتبره والهستيريا العصابين اللذين نهض على دراستهما التحليل النفسي في أول أمره، وعالجهما فتحقق له علاجهما أكبر الإنجاز، وخاصة العصاب الحوازي.

ويتجلّى هذا العصاب في صورته النموذجية من خلال الأعراض التي يطلق عليها إسم الأفكار الحوازية أو الهجاسية، واللجوء إلى إتيان حركات وأعمال طقوسية لا ينال المريض منها أي سرور ولكنه يؤديها قهراً، ولهذا فإن المترجم الإنجليزي للمصطلح الألماني لهذا العصاب ترجمه كذلك إلى العصاب القهري Compulsion neurosis باعتبار هذه الخاصية القهرية فيه، وهذا ما يوحي

به المصطلح الألماني حيث كلمة Zwang تدلّ على القهر على المستوى الفكري في الهجاسات أو الوساوس التي تتملك المريض وتأتيه قسراً، وعلى المستوى الفكري في الأفعال التي يقوم بها اضطراراً. وليس للأفكار التي تتسلّط على المريض أي معنى في ذاتها، وليست مما يكترث له المريض، وغالباً ما تكون سخيفة، إلا أنها تستثير نشاطه العقلي وتستنفد الكثير من طاقته، ولا يملك إزاءها إلا أن يرضخ لها كرهاً، ومع ذلك لا يقوم بتنفيذها عملياً، إنما يمتثل للجانب الصبياني منها، وهو المسمّى بالأفعال الحوازية، وتكون تكراراً وتنميقاً للأعمال العادية في الحياة اليومية، كالنوم والاغتسال واللبس والخروج للنزهة وغير ذلك وإنما يكون أداؤه له تعقيدات وحواشي وملابسات تجعل منها مسائل عويصة وأعمالاً شاقة.

ولا تأتي الأفكار والدفاعات الحوازية بنسبة واحدة في كل الحالات المرضية، وإنما قد تبرز ناحية منها فيُطبع بها المرض ويتسمّى باسمها، والمريض في كل الأحوال يستطيع أن يستبدل فكرة سخيفة أخرى أو أقل سخفاً، أو ينصرف من عمل إلى عمل آخر، ويزيح شعوره بالقسر والاندفاع إلى شيء آخر. ومن خصائص هذا المرض نقل الأعراض بحيث تبدو في صورة بعيدة عن صورتها الأصلية، وإلى جانب الدفاعات القهرية يبدو الشك في المجال الفكري، ويضطرب المريض ويظهر التردّد والحيرة ويتضاءل نشاطه، وعندما يُمنَع من القيام بالحركات القهرية مثل غسل اليدين وكثرة الاستحمام، إلخ، فأنه يشعر بالقلق الشديد، ولا يستطيع أن يتجنّب القلق إلا باستئناف الحركات القهرية، ويشرد ذهنه بالكفّ، ويضيع منه الكثير من الوقت في عمله المهني بسبب التأخير والتكرار.

وللصورة التي تتخذها الأعراض أهمية كبيرة للأنا، لا لأنها تسبب بعض المنافع ولكن لأنها تقوم بإشباع نرجسي لا يمكن أن يقبله الأنا في غير هذه الصورة، فتقوم الأنظمة القهرية بإرضاء حبه لذاته لأنها تجعله يشعر أنه أفضل من غيره، لأنه نظيف جداً أو حسّاس جداً.

وتنقسم الأعراض في هذا المرض إلى مجموعتين، لكل منهما اتجاه مضاد، فهي

إما تحريمات واحتياطات وتكفيرات، أي تكون في صورة سلبية، وإما تكون إشباعاً بديلاً يظهر غالباً تحت ستار رمزي. ومجموعة الأعراض السلبية الدفاعية أسبق المجموعتين، ويربط فرويد بين التحريمات الحوازية والتحريمات عند البدائيين فيما يسمى التابو، وإذا استمر المرض تغلّبت مجموعة الأعراض المشبعة على جميع وسائل الدفاع وكانت لها الأولوية. ويسجل العرض انتصاراً إذا اجتمع فيه التحريم والإشباع معاً، ويكتسب ما كان تحريماً من الوجهة الدفاعية دلالة الإشباع، ويظهر هذا العرض في أبسط حالاته على مرحلتين، في الأولى يهم المريض بعمل إلا أنه يشرع أيضاً في عمل ثان، والنتيجة أن يوقف العمل الثاني العمل الأول أو يبطل أثره. وللنكوص كل الأهمية في تكوين الأعراض، والمصدر الرئيسي لكل ذلك هو خواف الأنا من الأنا الأعلى، ويبدو الأنا الأعلى متشدداً، وتظهر أحاسيس الذنب لذلك واضحة، ويكون تأنيب الضمير مؤلماً ومعذباً، وغريزة الموت تكون لها الغلبة، ويشكّ المريض أن أمراً فظيعاً يوشك أن يقع، وشكوكه ووساوسه وظنونه وأحاسيس الذنب كلها تدفعه إلى إنكار عالم الواقع والانسحاب منه واعتزاله.

مراجع

- Freud: Totem and Taboo. (1913)
:Notes Upon a Case of Obsessional Neuroses. (1959)

❖ ❖ ❖

– العصاب الخوافي...

- **Phobic Neurosis (E.);...**
- **Nérvose Phobique (F.);...**
- **Phobische Neurose (D.)...**

(أنظر الفوبيا)

❖ ❖ ❖

– عصاب الصدمة...

- Traumatic Neurosis (E.);...
- Nérvose Traumatique (F.);...
- Traimatische Neurose (D.)...

تظهر أعراض هذا العصاب على أثر صدمة إنفعالية من جرّاء التعرّض لحادث مهدّد، ويتخذ حال الصدمة شكل نوبة قلق، وربما يصاحبها الهياج أو الذهول أو يقترن به الخلط الذهني. وتكشف الصدمة عن استعداد عصابي، وتأخذ الأعراض شكل تكرار وقائع الصدمة، وتنتاب المريض الكوابيس المتكرّرة، وكأن المريض يحاول بها أن يكرر ظروف الصدمة ليستوعبها ويصرف انفعالاتها. وتبدو هذه المحاولات المتكرّرة على هيئة تثبيت على الصدمة، ويذهب المعنى الاقتصادي للتثبيت إلى أن الحادثة التي نسميها صدمية هي تلك التي يجتمع فيها في فترة قصيرة جداً كل التنبيه النفسي مما لا يمكن تمثله او تعديله بالطرق العادية، ويترتّب عليه اضطراب توزيع الطاقة النفسية واستهلاكها. وتتخذ الصدمة قيمتها التفجيرية للبنية العصابية للمريض من ضعف تحمُّلها للإثارة. ويختلف عصاب الصدمة عن الأعصبة الأخرى أنه الوحيد الذي لا تتسبّب فيه صراعات مكبوتة من الطفولة. وبعض الأفراد بهم نحيزة للصدمات ويبحثون بشكل لا شعوري عن الأوضاع التي يمكن أن تأتيهم منها الصدمات، ويُبدون خوفاً شديداً منها مع ذلك. ومن المحتمل أن تكرُّر الإصابة بعصاب الصدمة في التاريخ المرضي للمصاب به يعني وجود صدمة أوليّة تتكرر بها انفعالات الصدمة بغية تصريفها، بناء على إلحاح من الأنا أن يفيد من ا لتكرار الوصول إلى نهاية للتوتر، ولكن التكرار يستحدث المزيد من الآلام وكأنه يقع في دور لا نجاة منه، وليس من سبيل فيه للسيطرة على الصدمة بتكرارها، لأن كل تكرار هو صدمة جديدة.

ويُشابه فرويد بين أعراض عصاب الصدمة والعصاب الهيستيري، غير أنه في عصاب الصدمة يتميّز الألم الشديد، والاضطراب فيه أشمل، والمريض ينهار تماماً، وهو حالة تتجاوز مجرد الأعراض

الحركية الهيستيرية، وليس أدقّ من وصفه بأن الصدمة فيه عبارة عن هزة عنيفة من الإثارة والرعب لايكون المتلقى لهما على استعداد لاستقبالهما، وتهدّد الإثارة تكامل الشخص فلا يملك إلا محاولة تكرار الصدمة في أحلامه لعلّه بذلك يستعيد الربط بين أجزاء الوضعية الصدمية ويسيطرعلى الموقف الصدمي. (أنظر أيضاً صدمة الميلاد والصدمة النفسية).

مراجع

- Freud: Introduction to Psychoanalysis and War Neuroses. (1919)

: Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1917)

❖ ❖ ❖

– العصاب الطرحي...

- **Transference Neurosis (E.);...**
- **Nervose de Transfert (F.)'.....**
- **Ubertragungsneurose (D.)...**

الأعصبة الطرحية - طبقاً لفرويد - هي التي يمكن علاجها بالتحليل النفسي، كالهيستيريا التحولية والعصاب الهجاسي وهيستيريا القلق، وتتميّز عن الأعصبة النرجسية في أن اللبيدو عند المرضى بها يزاح إلى الخارج على الموضوعات الخارجية أو الخيالية، في حين أنه في الأعصبة النرجسية يتم سحبه من الموضوعات الخارجية إلى الأنا ويتحول من كونه لبيدو موضوعات إلى لبيدو أنوي. والمريض بالعصاب الطرحي يقدر على الطرح ومن ثم يمكن أن يؤثر المحلل عليه، ولا تشفيه الطريق المتبعة في التحليل النفسي.

ويطلق العصاب الطرحي أيضاً على العصاب الاصطناعي الذي يظهر في المرحلة العلاجية قبل النهائية، والتي يتوجه فيها المريض بعواطفه إلى شخص المعالج كنوع من المقاومة للعلاج، ويتم التغلّب على الطرح فيها بإفهام المريض بأن عواطفه فيه ليست سوى تكرار لمواقف الماضي وذكرياته، وأن التطوّرات في علاجه قد أصبحت تتركّز في اتجاه واحد هو الصلة بينه وبين المعالج. ومعنى ذلك

أن المرض القديم قد زال وحلّ محله عصاب جديد محول، وأن الأعراض العصابية القديمة لم تعد لها دلالتها الأصلية واتخذت معنى جديداً يتصل بالطرح، أو لم يبقَ من الأعراض إلا ما يتوافق مع الوضع الجديد. وعلاج هذا العصاب الطرحي الاصطناعي الجديد يعني زوال العصاب القديم بالكلية، وبذلك تنتهي مهمة العلاج.

وفي مقاله «التذكر والتكرار والاستيعاب بالمغالبة» (١٩١٤) يؤكد فرويد على إمكان علاج الأعصبة الطرحية إذا احترم المريض قواعد العلاج والتزم بها، وعندئذٍ يستبدل العصاب الطرحي العادي بعصاب طرحي إصطناعي يمكن شفاؤه بالعمل العلاجي، ومن شأن هذا العصاب الأخير أنه ينظم الطرح الذي يظهر على المريض من أول العلاج ويبقى معه كمحرك لعملية العلاج، ثم يكون به عواطف محبة أو عداء وكراهية المعالج. وفي البداية يكون الطرح مشتتاً أو طرحاً عائماً، ولكنه من خلال الوضعية التحليليّة تصبح له وظيفة جديدة ويتحول إلى عنصر إيجابي في دينامية العلاج. وتستقطب الحالة الجديدة كل خصائص المرض وتصبح كما نبهنا مرضاً إصطناعياً يمكن السيطرة عليه. وعلى المعالج أن يجهد للحدّ من تنامي العصاب الجديد، وأن يدفع بأكبر قدر من المحتوى على طريق التذكر، وأن لا يترك للتكرار سوى أقل القليل بالقدر الذي يسمح له بأن يُطالع واقع حالته ويدرك أن ما يبدو منها ليس سوى انعكاس متجدد للماضي المنسي.

مراجع

- Freud: Remembering ,Repeating and WorkingThrough. (1914)

:Observations on Transference - love. (1915)

: The Dynamics of Transference. (1912)

❖ ❖ ❖

- عصاب الفشل...

- **Failure Neurosis (E.);...**
- **Nérvose d'Échec (F.);.**
- **Misserfolgsneurose (D.)...**

يتحدث فرويد في مقاله «بعض أنماط الطبع كما تظهر من العمل التحليلي النفسي» (١٩١٦) عن نمط من العصابيين لا يحتمل النجاح، ولا الحصول على ما يبدو أنه راغب فيه بشدة، ويرتبط ذلك برغبة لاشعورية في إنزال العقاب بنفسه، نتيجة تشدّد للأنا الأعلى ومشاعر ذنب لا تنتهي. وينسب فرويد بعض ذلك إلى ما يُسميه قوة نقد النفس وقوة الضمير، وهما تحدثان بطريقة لاشعورية نتائج في غاية الأهمية. ويضع الإحساس اللاشعوري بالذنب أكبر العوائق في طريق النجاح، كما أن الصراعات الدائبة بين الأنا والأنا الأعلى تعوق الشخص دون تحقيق أي إنجاز وتستهلك من طاقته النفسية ما كان يمكن أن يخصّصه للنجاحات في حياته. ويعكس عصاب الفشل في نهاية الأمر الخلاف عند المريض به بين ما هو واقعي وما هو نفسي. ومرد هذا العصاب ليس العالم الخارجي، ولا الإحباطات الخارجية، وإنما الإحباط الداخلي. وعموماً فإن الفشل هو الثمن لذي يدفعه المريض بأي عصاب، غير أنه في عصاب الفشل لا يكون الفشل عرضاً يضاف إلى سائر الأعراض كما هو الحال في الرهاب، وإنما يشكّل المرض نفسه، وخاصة عندما تكون مطالب الضمير باهظة ويعجز الأنا عن احتمالها، وعندئذٍ نكون بإزاء عامل خُلُقي يجد في الفشل نوعاً من العقاب والتكفير، ويبدو المريض ثابط العزم. وما يجري للفرد يمكن أن يحدث للجماعة، كالأسرة أو الطبقة، وبعض تكرار الفشل قد يفسرها مبدأ إجبار التكرار الذي تحدّث فرويد عنه في كتابه «ما فوق مبدأ اللذة» وقد يحدث أن يفسر المريض بعصاب الفشل تكرار ظاهرة الفشل معه بما يسميه فرويد إجبار الأقدار Destiny Compulsion.

مراجع

- Freud: Some Character Types Met with in Psychoanalytic Work. (1916)

: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

❖ ❖ ❖

– عصاب القدر...

- **Fate Neurosis (E.);...**
- **Nervose de Destiné (F.);...**
- **Schicksalsneurose (D.)...**

يشير فرويد في الفصل الثالث من كتابه «ما فوق مبدأ اللذة» (١٩٢٠) إلى ما يمكن أن يفعله مبدأ إجبار التكرار في بعض الأسوياء الذين يشكون دائماً من أن الحظ العاثر أو القدر الغاشم يتصدّى لهم. ويكشف التحليل النفسي أن حياة هؤلاء الناس – في الجزء الأكبر منها – لم ترسمها الأحداث الخارجية بقدر ما رسموها هم أنفسهم، بأن حتَّمت قيام هذا الجزء الأكبر أهواء الطفولة ومؤثراتها. وظروف الماضي لا الظروف الحاضرة والإجبار الذي يسيطر على حياة هؤلاء الناس لا يختلف في أي شكل منه عن إجبار التكرار الذي يسيطر على حياة المرضى النفسانيين، رغم أنهم لا تظهر عليهم أية أعراض تدلّ على أنهم مرضى بصراع العصاب. ومن هؤلاء المحسنون الذين يشكّون دائماً من أن الناس تقابل إحسانهم بالجحود، ومنهم من يخونه لا صديق واحد بل كافة أصدقائه واحداً بعد الآخر، ومنهم من يرفع أحد الناس إلى أعلى مكانة في الحياة الخاصة أو العامة ولا تنقضي مدة إلا وينزعه نزعاً من مكانه ليضع شخصاً آخر جديداً مكانهم، ومنهم العاشق الذي تسير غرامياته في الدرب نفسه وتنتهي به في كل مرة إلى الخاتمة نفسها، وهذا التكرار الدائم للأمر نفسه لا يثير في الباحث النفسي أية دهشة عندما ينسبه إلى سلوك الشخص الإيجابي، إلا أننا إذا ما أمكننا أن نميّز في شخصية ما ميزة أساسية لا تتغير أبداً، وتظهر باستمرار،

وتعبر عن نفسها بتكرار الخبرات نفسها التي مرت به، فإن ما ينبغي أن يثير عجبنا حقاً هو الحالات التي يظهر فيها الشخص وكأن الخبرة قد مرت به وهو سلبي لا يستطيع أن يتحاشاها أو يدفعها عن نفسه المرة بعد المرة، ومن ذلك سيدة تزوجت ثلاث مرات، وكان كل زوج يمرض في كل مرة، وتظل تمرِّضه إلى أن يوافيه أجله.

مراجع

- Freud: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

- ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة الدكتور عبد المنعم الحفني.

❖ ❖ ❖

– عصاب القلق...

- **Anxiety Neurosis (E.);...**
- **Nervose d'Angoisse (F.);...**
- **Angstneurose (D.)...**

هو الحُصار أيضاً، وأبسط الأمثلة عليه حال الأشخاص الذين يتعرضون لما يُسمّى الزمت الجنسي، أو التهيّج الجنسي الشديد الذي لا يجد التصريف الكافي ولا يبلغ حد الإشباع، وهذه حال الذين يمارسون العزل في الجماع، وحال الكثير من الرجال والنساء في الخِطبة، والنساء اللاتي ليست لدى أزواجهن القدرة الجنسية السوية. وتزول حالة الحصار حين يزول عن الفرد إحباط الفعل الجنسي وخاصة عند النساء. وكلما لم ترتو المرأة جنسياً كلما كان تعرضها لأن تستجيب لعُنّة الرجل أو لعملية العزل بمظاهر الحَصَر - أي القلق الشديد. وعموماً فإن الذين يمارسون الامتناع الجنسي يسلكون بقلق ظاهر، وبحذر وتردّد شديدين، ويكثر ذلك في مراحل من الحياة بالذات كمرحلتي البلوغ وانقطاع الطمث، وهما مرحلتان يشتدّ فيهما الهياج الجنسي. ومن السهل مشاهدة آثار تراكم الليبيدو في هذه المراحل نتيجة إعاقة تصريفه بالشكل السوي. ورغم أن ذلك تنهض به عمليات جسمية بحتة، إلا أن تعطيل الليبيدو بعد

الإهاجة الشديدة أو محاولات التأبّي والامتناع عن الجنس قد تنشأ من تدخل عوامل نفسية. ويتصرف الأنا حيال متطلبات الليبيدو عن طريق الهرب من هذا الخطر الداخلي كما لو كان خطراً خارجياً، ويؤدّي ذلك إلى ظهور الأعراض وهي شواهد حصرية ظاهرة أو مكافآت للحصر.

ويميّز فرويد الحُصار أو عصاب القلق على مستوى الأعرض عن النوراسينيا بتميّز الحصار بنوبات الحصر أو كافاءاتها الجسدية، وبالتوقع الحصري المزمن، كما يميّزه عن الهيستيريا من حيث الأسباب، إذ أن الحصار هو من نوع الأعصبة الحاضرة، ويتصف خصوصاً بتراكم الهياج الجنسي الذي قد يتحول مباشرة إلى عوارض مرضية.

وكان فرويد قد تنبّه إلى ظواهر الحصار منذ سنة ١٨٩٣ كما تشهد بذلك مراسلاته إلى صديقه فليس، وحلّل هذا النمط النفسي المرضي في مقال له منفصل عام ١٨٩٥ بعنوان «حول ما إذا كان هناك ما يبرّر فصل أحد مركبات الأعراض عن النوراسينيا تحت إسم عصاب القلق».

مراجع

- Freud: On the Grounds for Detaching a Particular Syndrome from Neurasthenia Under the Description Anxiety Neurosis. (1895)

❖ ❖ ❖

– عصاب النجاح...

- **Success neurosis (E.);...**
- **Nervose de Succès (F.);...**
- **Erfolgneurose (D.)...**

يشير فرويد في مقاله «بعض الأنماط الطبيعيّة التي تظهر بالتحليل النفسي» (١٩١٦) إلى نوع من الطباع يتميّز بأنه في حالة النجاح تظهر عليه الأعراض العصابية، وكأنما تحقيق النجاح «يحُطمه نفسياً»، وذلك أن النجاح يوقظ فيه

مشاعر الذنب المكبوتة من الطفولة تجاه الأبوين والإخوة، كما أن المسؤولية عن أبويه وإخوته التي تؤول إليه بحكم ما يتجمع له من مال، وما يتحصل له من مركز إجتماعي، تزيد من مشاعر الذنب عنده لما كان يستشعره تجاههم وقت أن كانت المنافسة بينه وبينهم في الطفولة محتدمة، وكانت ميوله في التفوق عليهم وخاصة على أبيه تدفعه إلى التباعد عنهم واعتزالهم. ويتكون لديه ردّ فعل تعويضي عن هذه المرحلة، ومن شأن ما يعاني من صراعات أن يضعف الأنا فترى الشخص الناجح وهو في قمة نجاحه شديد الضعف نفسياً، وذلك عكس النمط البوليكراتي - نسبة إلى بوليكرات في الأسطورة، الذي كان احتماله فقط لبعض النجاح. وليس كل النجاح، وأما هذا النمط الذي نحن بصدده فإن النجاح الباهر هو الذي يقضه ويستثير عنده مخاوف الخصاء، ويهيج صراعات المراهقة. وتظهر الدراسة على هذا النمط أن جميع الذين يُعانون منه نشأوا نشأة فقيرة، وكانت لهم طفولة بائسة شديدة البؤس غالباً. وكلهم عصاميون صنعوا أنفسهم، وكان الأب يرفع من طموحاتهم في طفولتهم، ويحضهم على المثابرة، وأن يتجاوزوا ظروفهم، ويدفعهم للعمل وإلى مساعدته على إعالة الأسرة، وما كان يسمح لهم أن يدخروا مالاً، وكان يستولي عليه كاملاً، وعانوا لذلك في طفولتهم من حرمان كامل، مادي ومعنوي، واجتماع المال والسطوة والنفوذ لهم حالياً يوقظ في نفوسهم كل ذلك ويتداعون له بالمرض.

مراجع

- Freud: Some Character Types Met with in Psychoanalytic Work. (1916)

❖ ❖ ❖

- العصاب النرجسي...

- **Narcissistic Neurosis (E.);...**
- **Nervose Narcissique (F.);...**
- **Narzisstische Neurose (D.)...**

يُقابل فرويد بين الأعصبة النرجسية وبين الأعصبة الطرحية، والأولى تنتمي إلى مجال الطب العقلي وهي أشد عسراً وتعقيداً من الناحية العلمية، ويمكن دراستها من خلال الأعصبة الطرحية. ويعود مصطلح العصاب النرجسي أصلاً إلى تطبيق فرويد لمفاهيم التحليل النفسي على حالات الذهان من مثل الجنون الهجاسي والميلانخوليا، ومأأدى إليه ذلك من اكتشاف النرجسية، والظفر بمعلومات من مثل الطراز النرجسي من اختيار الموضوع The anaclitic type of the object narcissistic identification، والتأكيد على مفهوم التناقض الوجداني، والصراع، واستخلاص المزيد من المعلومات عن الأنا ومشتقاته والأنا المثالي والضمير، وتلك بعض النتائج التي أمكن التوصل إليها من تطبيق التحليل النفسي على الاضطرابات النرجسية واصطناع فكرة اللبيدو النرجسية. والمفروض أن تراكم اللبيدو النرجسي يطلقه الأنا لطلب الموضوعات والتعلّق بها، إلا أنه في العصاب النرجسي يكره اللبيدو على التراجع عن الموضوعات ويزيد تراكمه في الأنا في شكل نرجسية، وتُسَدّ طرق عودته إليها. وفي هاجس العظمة ترجع العظمة مباشرة لتضخم الأنا بطاقة اللبيدو المنتزعة من الموضوعات وفي الميلانخوليا لا يُكتفى بسحب اللبيدو عن الموضوع بل إن الأنا ليستدخل الموضوع في ثناياه بالتعيّن به، ويتوجه لنفسه من ثم بضروب اللوم والتبكيت التي هي موجهة أصلاً للموضوع، وبمقتضى التناقض الوجداني، وإذ يسحب الجزء الودي فلا يتبقى إلا الجزء العدواني يتعامل به الأنا مع نفسه كأنه الموضوع المهجور.

مراجع

- Freud: On Narcissism: An Introduction. (1914)

: Introductor Lectures on Psychoanalysis. (19117)

❖ ❖ ❖

– عقدة الأب...

- Father Complex (E.);...
- Complexe Paternel (F.);...
- Vaterkomplex (D.)...

عقدة الأب هي عقدة أوديب الأصلية التي تكوّنت في بداية نشوء النوع الإنساني. ويفترض فرويد في كتابه «الطوطم والمحرم» (١٩١٢) أن الإنسانية في بداية التاريخ كان قوامها القبيلة البدائية التي يتزعمها أب عنيف غيور، يحتفظ لنفسه بالإناث جميعاً، ويطرد أبناءه إذا شبّوا عن الطوق، فاتفق الأبناء فيما بينهم ودبروا قتله. ويُرمز للأب بالطوطم، والأكل من الطوطم في الوليمة الطوطمية هو إحياء لمناسبة قتل الأب وأكله. والأبناء بعد قتلهم للأب إنتفت صفة بنوتهم وتأكدت صفة إخوتهم، وصار يقال عنهم الإخوة بدلاً من الأبناء، فكانت لهم بذلك الثقة في أنفسهم، وقاموا بما عجزوا عن القيام به كل بمفرده، ولم يكن ذلك مستغرباً ما دام هؤلاء البدائيون من أكلة لحوم البشر. ولما قاموا بأكل الأب وهو النموذج المحسود والمهاب والمشتهَى منهم، تحقق لهم بفعل الالتهام والامتصاص أن يتعيّنوا به، وأن يحوز كل واحد من أعضاء رابطة الإخوة جزءاً من قوّته. والوليمة الطوطمية تكرار إحتفالي تذكاري لذلك الفعل المأثور الإجرامي الذي كان منطلقاً لأشياء كثيرة تعبر عن ندمهم وأسفهم لهذا الفعل، وتصدر عن مشاعر ذنب تجاه الأب جعلتهم يخلّدونه في رمز الطوطم، وقدسوا الطوطم وحرّموا قتله ليطامنوا من حدة مشاعرهم بالذنب.

ويقول فرويد إن التحليل النفسي أزاح النقاب عن أن الحيوان الطوطمي يقوم في الواقع مقام الأب، ويفسّر التناقض من جهة حظر قتل الحيوان والاحتفال مع ذلك الذي يقيمونه عقب موته، علماً بأن هذا العيد يسبقه تفجّر. وما يزال هذا الموقف الوجداني الازدواجي يصبغ إلى اليوم العقدة الأبوية لدى أطفالنا، وقد يستمر معهم في الرشد، ويشكّل طابع علاقات الأبناء مع الأب.

ومشاعر الذنب التي خلفت الحادث هي أصل نشأة الضمير عند الإنسان، وانبعاث الأنا الأعلى وتخارجه من الأنا،

واكتسابه للخُلُق الذي تحصل له كنتيجة لعقدة الأب وما تبع ذلك من نشأة الدين والأخلاق والشعور الاجتماعي.

ويقول فرويد إن خبرات ومكتسبات عقدة الأب تظلّ آثارها محفوظة في الهو بالوراثة، وكنتيجة لهذه الآثار كانت نشأة الأنا الأعلى.

ويفسّر فرويد بعقدة الأب أعراض عصاب الخوف في هانز الصغير مثلاً، وهو من الحالات المرضية التي عالجها. وخواف هانز من الخيل هو مظهر للتناقض الوجداني عند الأطفال تجاه الأب، وهو بعث للبقايا الفطرية للتفكير الطوطمي وعقدة الأب، ويرمز طوطم الخيل لسطوة الأب ونفوذه لدى هانز، واحترامه له وتبجيله في الوقت نفسه.

وكذلك يفسر فرويد بعقدة الأب الوجداني في علاقة المريض بالعصاب القهري بالله، وظهور دوافع مكروهة من خلال انفعالات حبه. ويقول فرويد في «الطوطم والمحرم» إنه منذ البدائي، وفي كل طفل من أطفالنا، وكل معصوب من معصوبينا، تعتمل المشاعر المتضاربة التي تؤلف المضمون الازدواجي للعقدة الأبوية، وأن مشاعر الذنب لدى الأبناء هي الأساس للتحريمين الأساسيين في الطوطمية، واللذين لم يلبثا أن اختلطا بالرغبتين المقموعتين في عقدة أوديب: تحريم القتل، والنهي عن المحارم. ولم تكن الديانة الطوطمية إلا عند شعور الأبناء بذنبهم كمحاولة ترمي إلى خنق هذا الشعور، وإلى الحصول على الصلح مع الأب المهان عن طريق طاعة مرجأة. ولم تكن الأديان اللاحقة إلا محاولات تستهدف الشيء نفسه، وتنوّعت بحسب الحالة الحضارية التي عايشتها، وتمثّلت جميعها كردود فعل على الحدث العظيم الذي بدأت به الحضارة، والذي استمرّ من وقتها يلاحق البشرية بمشاعر الذنب. وظلّت الازدواجية المباطنة للعقدة الأبوية قائمة في الطوطمية كما في الأديان بصفة عامة، وفي القانون الخلقي، باعتبار أنه بدءاً من ذلك التاريخ الموغل مارست الميول الأخوية الاجتماعية تأثيراً عميقاً على المجتمع، وترجمت عن نفسها في تقديس الدم المشترك، وتوكيد التضامن بين جميع الأعضاء الذين تتألف منهم العشيرة أو المجتمع، فالسلطة الأبوية

انتقلت بهذا الحدث العظيم إلى الأخوة، وصارت العشيرة، أو صار المجتمع هو البديل عن الأب، ونهض الدين على أساس الشعور بالذنب والندم، كما نهضت الأخلاق على أساس ضرورات مجتمع الإخوة والحاجة للتكفير عن الذنب.

مراجع

- Freud: Totem and Taboo. (1912)

❖ ❖ ❖

– عقدة إليكترا...

- **Electra Complex (E.);...**
- **Complex d'Électre (F.);...**
- **Elektrakomplex (D.)...**

يطرح فرويد مفهومه عن عقدة إليكترا في عدة مؤلّفات وبعدة أسماء، فمرة يُطلق عليها إسم عقدة أوديب النسوية، ومرة عقدة أوديب الخاصة بالمرأة،وثالثة يقول عنها عقدة أوديب عند البنت.

وطرح يونج رسم عقدة إليكترا في مقال له بعنوان «محاولة لعرض نظرية التحليل النفسي» (١٩١٣) كمرادف لعقدة أوديب الأنثوية، وللدلالة على التناظر بين بالجنسين في الموقف من الوالدين، إلا أن فرويد لم يرَ ثمة حاجة لهذه التسمية المستقلة عن عقدة أوديب، ولم يرَ أن الأمر يستوي عند الجنسين كرأي يونج. وفي مقاله «الجنسية الأنثوية» (١٩١٣) نفى أن تكون عقدة إليكترا مناظرة لعقدة أوديب، فرغم أن أوديب في الأسطورة ذكر ولا يجوز أن يُدرَج تحت اسمه أحوال تخص الإناث، إلا أن تخصيص إسم أنثوي للموقف الأوديبي عند الإناث لا يمكن أن يرقى بهذا الموقف لمستواه عند الذكور، فليست الديناميات واحدة في الموقفين، ولا يصدران عن دوافع واحدة، وتختلف آثار عقدة الخصاء على مترتباتهما، وكذلك تختلف اعتبارات القضيب عند الصبي والبنت. وإليكترا رغم ذلك كمأساة أسطورية لا تقل في مأساويتها عن أسطورة الملك أوديب، وأيضاً فإن القصة صيغت كمسرحية تناطح في روعتها مسرحية أوديب. وكانت إليكترا ابنة

أجاميمنون ملك مسينا، وثارت على تآمر أمها وعشيقها على أبيها وتوعدتهما، وحرّضت أخاها أوريستيس على الانتقام منهما، وظلت تنوح على أبيها إلى أن ماتت.

وفي كتابه «معالم التحليل النفسي» (١٩٤٠) يذكر فرويد إسم إليكترا ولكنه يضعه بين قوسين باعتباره من اقتراح غيره، ولا تذكره مؤلفات التحليل النفسي من أتباع فرويد لهذا السبب، باعتبار أن الكتابة في عقدة أوديب تستوعب الحالتين معاً.

مراجع

- Jung: Versuch einer Darstellung der Psychoanalytischen Theorie. (1913)
- Freud: Female Sexuality. (1913)
: An Outline of Psychoanalysis. (1940)

❖ ❖ ❖

– عقدة أوديب...

- Oedipus Complex (E.);...
- Complexe d'Oedipe (F.);...
- Ödipuskomplex (D.)...

سميت كذلك لأن مغزاها الأساسي قد وجد في الأسطورة اليونانية للملك أوديب التي حفظت من خلال المسرحية التي كتبها سوفوكل، وفي هذه القصة يقتل البطل اليوناني أباه ويتزوج أمه دون أن يعرف أنهما والداه. وقد يحتج البعض انتقاداً للنظرية الأوديبية أن طرحها يختلف عن مضمون الأسطورة، ففي الأسطورة كان أوديب يجهل أن الرجل الذي قتله هو أبوه، وأن المرأة التي تزوجها هي أمه، ولكن مثل هذا التحريف في القصة أمر لا يمكن تجنبه في السرد الشعري لها، وفي تناولها تناولاً فنياً. وأما من ناحية التحليل النفسي فإن جهل أوديب هو تصوير للناحية اللاشعورية التي تتستر فيها هذه التجربة عند الكبار، وكونه بريئاً إنما هو إثبات لحكم القدر بأن كل طفل عليه أن يمر بهذه التجربة.

وكانت مسرحية هاملت على المنوال نفسه تقريباً، وترجع مأساة هاملت إلى تمسكه برغباته اللبيدية تجاه أمه واقتصاصه من أبيه في شخص عمه.

ويفخر فرويد بأنه مكتشف هذه العقدة، ويذهب إلى أن التحليل النفسي إن لم يستطيع أن يفخر بشيء إلا اكتشافه لعقدة أوديب، فإن ذلك وحده كفيل بأن يعطيه الحق في أن يعتبرها من ذخائر المعارف التي تعتز الإنسانية بأنها قد تحصلت عليها.

والصبي والبنت بعد الميلاد يتعلقان بالأم، إلا أنه في نحو الثانية أو الثالثة وحتى الخامسة يظهر ما يسمى بالموقف الأوديبي، أي الذي تظهر فيه المشاعر المتناقضة حيال الأبوين، فيغار الصبي من أبيه ويعتبره منافساً له على حب أمه، وتكون به الرغبة إلى التخلص منه والحلول محله، وأما البنت فلأنها تكتشف في نفسها الخصاء تتوجه إلى الأب يعوضها عن ذلك بذكورته الكاملة، ويزيد تعلّق البنت وتغار من أمها وتعتبرها منافستها عليه، وتقوم في نفس الصبي والبنت مشاعر متناقضة حيال الأبوين، ومن موقف التناقض الوجداني نحو الأب والحب الجارف للأم يتكون مضمون عقدة أوديب الإيجابية البسيطة. وأيضاً ضمن موقف التناقض الوجداني نحو الأم والحب للأب يتكون مضمون عقدة أوديب السلبية البسيطة أو عقدة أوديب المعكوسة. وقد تكون بالصبي العقدتان معاً وهو ما يشكل عقدة أوديب الكاملة التي تجمع بين الجانبين الإيجابي والسلبي، واحتمالات ذلك قائمة لدى كل طفل لما فيه من ثنائية جنسية، ومعنى ذلك أن يجتمع في الصبي حب الأب والأم، ويتناقض وجدانياً تجاههما معاً، فهو يحب ويكره، ويظهر الغيرة والعداء نحو الاثنين، وغالباً ما يكون أحد العنصرين ظاهراً والآخر غير ظاهر، والنتيجة أن يكون لدينا أطفال بهم طرف عقدة أوديب الإيجابية، وفي الطرف العكسي عقدة أوديب السلبية أو العكسية، وبين الطرفين أفراد متوسطون لديهم عقدة أوديب الكاملة التي يغلب فيها أحد العنصرين بشكل طفيف.

وذلك أيضاً ما يحدث عند البنات، غير أن عقدة أوديب عند البنت يطلق عليها

عقدة أوديب النسوية، أو عقدة إليكترا، وإليكترا في الأسطورة كانت تحب أباها وتكره أمها حتى أنها حرّضت على قتلها. ونلاحظ ارتباط عقدة أوديب عند الصبي بدوافعه الجنسية تجاه أمه في المرحلة القضيبية، بينما ترتبط هذه العقدة عند البنات بما يسمّى حسد القضيب وعقدة الخصاء، عندما تتبين لهن حالة الخصاء التي هن عليها تمييزاً عن الأولاد، فتندفع البنت نحو أبيها تعويضاً لنفسها به، ثم إن ذكورته تشدها إليه ويساعدها على ذلك غواية الأب لها وذلك بتأثير التناقض الجنسي بينهما، وكما في التناقض الجنسي بين الأم وابنها الذي يرجع إليه كذلك انجذابهما إلى بعضهما.

وتنتهي عقدة أوديب بالصبي بخوفه من الإخصاء وتهديده من قِبل الأب، ويتعيّن بأبيه «التعين بالمعتدي» ويتبنى قيمه، ويكون له هذا التعين دافعاً لتكوين الضمير أو الأنا المثالي وريث عقدة أوديب عنده، وأما البنت فتستمر معها العقدة مدة أطول، وقد يظل تعلّقها بالأب إلى عمر متأخر، وربما يمتد مدى الحياة وقد يدفعها إلى أن تتعيّن بأمها لتكون على منوالها معه، وتعينها بها يزيدها أنوثة، تماماً كما أن تعيّن الولد بأبيه يزيده ذكورة.

وعقدة أوديب في الأولاد إما تكبَت وإما تدمر نهائياً في الأحوال السوية، ويسجل فرويد أفول عقدة أوديب في مرحلة الكمون، ثم عودتها للظهور مع المراهقة حيث يكون تجاوزها بدرجات متفاوتة، كما يسجل إسهامها الفعّال في بناء الشخصية من خلال الأنا المثالي الذي يحلّ محلها ويؤكد على عنصر إنسانيتها، أي وجودها عند كل الناس ومختلف الثقافات، وإن كان البعض قد عارضوه باعتبار أن من المجتمعات ما ليس للأب فيه دور في التربية، ولا محل من ثم في هذه المجتمعات لعقدة أوديب. ولم يكن فرويد حتى سنة ١٩١٠ عندما نشر مقاله «نمط خاص من اختيار الموضوع يمارسه الرجال» قد صاغ نظريته الأوديبية بعد، وإن كانت إرهاصاتها معه قد بدأت مبكرة جداً خلال تحليله لمرضاه، وخاصة تحليله لنفسه، وقد ورد عنه أنه اكتشف أثناء تحليله لنفسه إزاء واقعة وفاة أبيه أنه يكنّ

له أعمق المشاعر ولكن كان يدين بالحب لأمه. وكتب إلى صديقه فليس سنة ١٨٩٧ يصف ما به من قوة قهرية من آثار هذه العقدة أضاء له فهمها مسرحية الملك أوديب. ولعلّه لذلك كان تناوله لعقدة أوديب في كتاباته الأولى وإطلاقه هذا الاسم عليها مرتبطة بمشاهدها على الأطفال الذكور، إلا أنه لم يرَ أنها لا تنطبق كذلك على البنات وإن كانت تحتاج إلى بعض التعديلات في مضمونها وتوجهاتها، وأكد أن كل إنسان، ذكراً كان أو أنثى، لا بدّ أن يعاني من سيطرة عقدة أوديب، وأن يجد نفسه في مواجهة معها. وفي كتابه «الطوطم والمحرم» (١٩١٣) يجعل حادثة قتل الأب البدائي لحظة حاسمة في نشأة الإنسانية، وأسطورة تترجم ضرورة أن يكون كل إنسان برعماً أوديبياً.

مراجع

- Freud: A Special Type of Choice of Object Made by Men. (1910)
: The Ego and The Id.(1923)
: Totem and Taboo. (1913)

❖ ❖ ❖

– عقدة بوليكرات...

- Polycrates Complex (E.);...
- Complexe de Polycrates (F.);...
- Polykrateskomplex (D.)...

طبقاً لهيرودوت فإن بوليكرات طاغية ساموس زاره أمازيس المصري وحذّره من الغيرة التي يمكن أن تولّدها نجاحاته في الآلهة ما لم يتّقيها بالتضحية بشيء غال جداً عنده. والقصة ترمز للأفراد الذين يتحقق لهم النجاح فيحذروا أن تصيبهم العين، وأن يكونوا محل حسد الآخرين، ويبدأوا في التطير، وتنتابهم الهواجس، وتبدأ معهم حالة مرضية عصابية فيها الكثير من القلق والتوجس والريبة. وتقول القصة إن بوليكرات عندما سمع ذلك من أمازيس ألقى بخاتمه في البحر كأضحية، وهو أغلى وأعز ما يملك، إلا أنه وهو يتناول الغداء وكان يأكل سمكاً فتح سمكة فإذا بالخاتم فيها، فتشاءم من ذلك، وتشاءم أهله وأصدقاؤه وغادروا المائدة ولم يعاودوه ثانية، وتركوه يواجه مصيره وحده.

ويقول فرويد إن خوف بوليكرات من عقاب الآلهة ليس إلا خوفه هو نفسه من مشاعر ذنب لاشعورية تجعله يرغب رغبات لاشعورية أيضاً أن يعاقب نفسه أو ينزل به العقاب، وتصرّفه بالتضحية بالخاتم لينقذ نفسه وثروته يماثل تصرّف المرضى الذين لا يستحقون ما نالوا، وأنهم حقّقوا ما حققوا لا عن جدارة، لعلّهم بذلك يطامنون من مشاعر الذنب المحتدمة فيهم. وليس قول هيرودوت بالغيرة عند الآلهة إلا انعكاساً للغيرة عند بوليكرات نفسه من أبويه في طفولته أسقطها على الآلهة أو على الأبوين. ونسبته الغيرة للآلهة من شأنه تأنيس الآلهة. ولم يكن عصيان آدم لأوامر الله بأن لا يطعم من الشجرة إلا ما يفعله الأولاد عادة بأوامر أبويهم، وآدم عرف الخير والشر لما أكل من الشجرة، أي لما عصا ربه، ومعرفته للخير والشر تجعل منه شبيهاً بالإله، وكذلك الأطفال يعصون أبويهم لعلّهم بذلك تصبح لهم القدرة المطلقة مثلهم، وتنتابهم من ذلك مشاعر ذنب كما انتابت آدم، وتظل هذه المشاعر تلاحقهم، فإذا تحقق لهم النجاح وآلت لهم القوة والسطوة والنفوذ، أي تحقّقت لهم رغبات الطفولة، إستيقظت عندهم مشاعر الذنب القديمة وظلّوا يصارعونها فتظهر عليهم إضطرابات الصراع لبوليكرات.

مراجع

- Freud: The Ucanny. (1999)

❖ ❖ ❖

– عقدة الخصاء...

- **Castration Complex (E.);...**
- **Complexe de Castration (F.);...**
- **Kastrations Komplex(D.)...**

ترتبط عقدة الخصاء عند فرويد بنظريته في الجنسية الطفلية، وتقوم على افتراض أن عضو الذكورة له دلالته النرجسية ويشكل منذ الطفولة المنطقة الشبقية الموجهة وأهم موضوع جنسي للشبقية الذاتية، ومن ثم ينعكس تقديره

منطقياً على استحالة إمكانية تصوّر شخص بالذات بدون هذا المكوّن الأساسي فيه. ويتلازم هذا التنظير مع استخلاص فرويد للمرحلة القضيبية، ففي هذه المرحلة من مراحل التنظيم التناسلي الطفلي لا يوجد سوى المذكر وأما المؤنث فلا وجود له، وبالتالي فإن القضية في هذه المرحلة هي كالآتي إما امتلاك عضو ذكري أو افتقاده كعضو مبتور، ولا تصبح لعقدة الخصاء أهمية عند الولد إلا من خلال اكتشافه تجريبياً للفروق التشريحية بين الجنسين، وتأثير ذلك عليه نرجسياً بتصوّره للقضيب كجزء أساسي من ذاته، وبالتالي فإن التهديد بإخصائه يعرّض الذات للخطر بشكل جذري، ويستمد هذا التهديد فعاليته من عنصرين هما سيادة القضيب والجرح النرجسي Narcissistic scar.

ويقع التهديد الواقعي أو المتخيل بالخصاء في نظر الصبي من الأب، والأب هو الهيئة المنفذة للخصاء في نظره، وأي تهديدات توجّه إليه يردها في النهاية إلى مثيلاتها المتوجهة إليه من الأب، وتكون النتيجة أن يطامن من دفعاته الغريزية، وتتحوّل شحناته الوجدانية من أمه المحرّمة عليه إلى موضوعات خارجية، ويتكوّن لديه الأنا الأعلى والضمير، وتُحلّ عقدة أوديب عنده بانتهاء الموقف الأوديبي. وأما البنت فوضعها مختلف تماماً، فهي محرومة من القضيب وتنسب ذلك للمماثلة بينها وبين أمها في التكوين، وترد حرمانها لأمها، وتتوجه شحناتها الوجدانية لذلك إلى أبيها وتبدأ عندها عقدة أوديب، والتهديد بالخصاء عند البنت هو فقدانها لموضوع حبها، والقلق الذي يتولّد لديها نتيجة مخاوفها من فقدان لموضوع هو المماثل تماماً للقلق الذي يفجره في الولد التهديد بالاخصاء.

وينسب للأنا الأعلى القيام بدور الأب بالتهديد بالإخصاء إزاء كل ممارسة لا أخلاقية، وربما يكون الخوف من الخصاء هو النواة التي تتجمع حولها المخاوف من الضمير، وليس العقاب الذي يهدد الأنا الأعلى بتوقيعه إلا امتداداً لعقاب الخصاء، وكما أن شخصية الأب تتحول إلى صورة الأنا الأعلى، فكذلك يتحول الخوف من الخصاء الذي يهدد به الأب إلى قلق خُلُقي أو جماعي غير محدد.

وهذا القلق يمثل في الأمراض العصابية القهرية البديل الداخلي لخطر الإخصاء الخارجي، ويحدث عكس ذلك عند المرضى بالأعصبة النفسية، فالعصابي بالرغم من أنه يتعلم أن الخصاء لم يعد يستخدم كعقاب، إلا أنه يتصرف كأن مواقف الخطر القديمة ما زالت موجودة.

والخصاء موجود مع ذلك في عقدة أوديب، فالعَمَى الذي عاقب أوديب نفسه به بعد أن تكشّفت له مأساته إنما هو بديل رمزي للخصاء، ومن المحتمل أن الخصاء موجود في الذاكرة الجمعية للنوع الإنساني من التاريخ القديم للأسرة الإنسانية عندما كان الأب الغيور يعاقب أولاده بإخصائهم إذا تجرأوا على منافسته على نسائه، وهذا الأثر الباقي من الخصاء في الذاكرة هو الذي للخصاء كمظهر لخضوع الإبن لإرادة الأب.

وتتمثّل تخيلات الخصاء في المواقف المهدّدة والتي يمكن أن يلحق الجسم منها الأذى، كما في الحوادث والعمليات الجراحية وكل الخبرات الصادمة في الحياة. ويجد الأب في مواقف الخصاء بدائل عنه في الحيوانات مثلاً، كما في حالتي هانز الصغير ورجل الذئاب، وفي المخاوف عموماً، فهانز كان يخاف الخيل، ومن السهل أن نتبين أن خوفه من أن يعضه الحصان يعني خوفه من أن يعض حصان عضوه التناسلي أي يقوم بإخصائه، والحصان في تخيلاته ليس إلا الأب.

وتعرف عقدة الخصاء أيضاً من خلال آثارها العيادية من مثل تقديس البكارة والمشاعر الدونية، حيث يمكن اكتشاف هذه الآثار في البنَى النفسية المرضية وخاصة حالات الشذوذ الجنسي كالفيتيشية، والمريض بها يرفض فكرة أن النساء مخصيات ولا يقتنع بما يمليه عليه إدراكه الحسّى، ويتمسك بتوهماته المرضية، ويتخذ من الفيتيش بديلاً رمزياً للقضيب ليتخلص به من الخوف من الخصاء.

ومن الممكن إدراج الخبرات الصدمية التي مضمونها فقدان الموضوع أو الانفصال عنه ضمن الخبرات المسبّبة لقلق الخصاء، من مثل فقدان الثدي في الفطام، أو فقدان البراز بالتغوط، فالثدي وحتى انفصال المولود في عملية الوضع هي

معـادلات رمـزيـة، واعـتبر فـرويـد عضـو الـذكـورة شـيـئـاً قـابـلاً لـلانـفـصـال عـن الجسد مما يجعله مشابهاً في ذلك للبراز الذي كان أول ما يتعين على الطفل أن يتخلّى عنه من جسده.

وكان ستاركه في بحثه «عقدة الخصاء» (١٩١٢) وأول من أكد على المشابهة بين الخصـاء وبين سـحب الـثـدي مـن فـم الرضيع أثناء الرضاعة والذي يبلغ ذروته في الـفـطـام، واعـتبر ذلك نموذجـاً أولـيـاً للخصاء، ويفسر بهذه المشابهة عالمية هذه العقدة، فانسحاب حلمة الثدي هي الدلالة الـلاشـعـوريـة الـقـصـوى الـتـي نـعثر عـلـيـه بـاسـتـمـرار وراء الأفـكـار والمخاوف والرغبات التي تشكل في مجموعتها هذه العقدة.

ومن ناحية أخرى فقد ذهب أوتو رانك إلى أن خبرة الانفصال عن الأم خلال صدمة الميلاد هي نموذج أولي لكل قلق لاحق، وليس قلق الخصاء على ذلك إلا صدى لقلق الميلاد.

مراجع

- Freud: On the Sexual Theory of Children, (1909)

: Analysis of a Phobia in a Five-year old Boy, (19809)

: The Dissolution of the Oedipus Complex. (1924)

- Starke, A.: The Castraton Complex. (1912)

- Rank, Otto: The Trauma of Birth. (1914)

❖ ❖ ❖

– العقلنة...

- **Intellectualization (E.);...**
- **Intellectualisation (F.);...**
- **Intellektualisierung (D.);...**

تصف أنّا فرويد العقلنة بأنها عملية دفاعية سوية يحاول بها الأنا السيطرة على الغرائز من خلال ربطها بأفكار

يمكن التعامل معها شعورياً. والعقلنة من أقدم القدرات التي اكتسبها الأنا وأكثرها ضرورة له. ومن خلال العقلنة يتسنى للمريض أن يصوغ صراعاته وانفعالاته صياغة منطقية، ويغلّب فيما يقدم من دفوع جانب التفكير على الجانب العاطفي. وينبّه اصطلاح العقلنة إلى التعارض بين الفكري والعاطفي. والعقلنة أسلوب من المقاومة للعلاج يبدو به المريض كالمتفهم لتقنية العلاج النفسي وينبّه إلى هذا النوع من المقاومة كارل أبراهام في مقاله «شكل خاص من المقاومة العصابية لطريقةالتحليل النفسي» (١٩١٩) حيث المريض يقوم بتحليل أحلامه وذكرياته وعواطفه وتأويلها بنفسه، ويسلك وكأنه محلل نموذجي، متجنباً أثناء ذلك أن يتطرق إلى الموضوعات الأصلي، محاولاً أن يعبر عن نفسه بلغة التحليل النفسي، ويقدم وجهة نظر لها واجهة منطقية وبنية متماسكة، يصرف بها المحلل عن التدخل من أي نوع، ويحول دون تداعي دوفعه وأفكاره اللاشعورية. وهناك دائماً هذا النوع المتعقل من المرضى الذي يركن إلى المنطق ويعزف عن الانفعالات، والنوع الآخر العاطفي الذي يسلك بتلقائية وانفعالية تغلبان عليه ولا يستطيع فكاكاً منهما. وقد يقر المريض المتعقل بالكراهية أنها أحد دوافعه ولكنه لا يستشعرها مع ذلك. ويعني الاستبصار المتعقل Intellectual insight الوعي بالحالة دون الانفعال بها، وقد لا تكون لهذا الاستبصار نتيجة عملية فيختلف السلوك عما هو متوقع عند تحصّل الاستبصار.

والعقلنة عند فرويد في مجال تفسير الأحلام هي تحويل الأفكار اللاإرادية التي كانت الدافع إلى الحلم إلى أفكار إرادية. والعقلنة هي صميم عملية التفسير، وهي محاولة لنزع الطابع اللامعقول عن الحلم.

مراجع

- Freud, S.: The Interpretation of Dreams. (1900)
- Freud, A.: The Ego and the Mechanisms of Defence. (19360
- Abraham, K.: A Particular Form of Neurotic Resistance Against the Psychoanalytic Method. (1919)

❖ ❖ ❖

– العلاج الإيجابي باللعب...

- Active Play Therapy...

قال به سولومون، وهو تقنية لعلاج اضطرابات السلوك واضطرابات الشخصية عند الأطفال، ويقوم على تصوير مواقف حية الطفل من خلال دمى وعرائس، ويستجيب الطفل لهذه المواقف ويكشف عن نفسه باعتباره شخصاً ثالثاً، أي أن الطفل يتحدث عن نفسه فيقول عن الدمية التي تمثله «هو يفعل كذا.. وهو لا يقصد كذا..»، وتكون العرائس مثلاً جالسة على كراس حول طاولة، ويلعب الطفل بها بأن يعدّ مجلسها على هيئة مجلس عائلي من الأم والأب والإخوة، وربما شخصيات إضافية مرتبطة بالعائلة، ويتفاعل الطفل معها ويوجد بينها علاقات يحكي عنها ويكشف أثناء ذلك عن حقيقة العلاقات التفاعلية العائلية في بيته. والطفل إذ يتحدث عن نفسه كشخص غائب «هو» فإنه يتستر وإن كان تستره معلوماً للمعالج، وقد يضيف المعالج دمية تمثله يشترك بها في اللعب مع الطفل في بعض المراحل بقصد التوجيه أحياناً، ويقصد أن يعرف حقيقة مشاعره تجاهه.

مراجع

- Solomon, J.: Active Play Therapy.

❖ ❖ ❖

– العلاج النشِط...

- Active Therapy (E.);...

- Thérapie Active (F.);...

- Aktive therapie (D.)...

حاول الكثيرون من علماء التحليل النفسي التعديل في تقنيات العلاج التحليلي التقليدية، لأنهم إما يعارضون بعضاً منها لأسباب عملية أو لأنهم لم يروا أن التحليل النفسي قد جَمُد على طريقة فرويد لايبرحها، وأنه لا بد من التجديد دائماً. ومن هؤلاء فيرينزي Ferencsi (١٩٢١) الذي انتهى إلى نوع من العلاج

أطلق عليه إسم التحليل النفسي النَّشِط Active psychoanalysis، وكان يهدف إلى تقصير أمد العلاج إلى بضعة أشهر، بأن لا يترك المريض لتداعياته أثناء الجلسات دون تدخل منه، وإنما لا بد أن يكون للمعالج دور نَشِط، بأن يتدخل في حياة المريض الواقعية، وأن تكون له توجيهاته التي تفيده نفسياً. وتدخلاته أساسها خبرة المعالج وبصيرته، ولا تستمد من اعترافات المريض وذكرياته، وليس الدافع إليها مقاومات المريض أو التحوّلات الملحوظة في عواطفه. وتقوم طريقة العلاج عند فيرينزي بأن يطلب المعالج من المريض أن يواجه المواقف التي يخشاها ليعوّد نفسه عليها، وليتدرب على أن يسيطر على قلقه أثناء ذلك. ويطلب المعالج من المريض أن يحلّل هو نفسه أفكاره المطروحة. وهذه الطريقة نفسها، مع بعض التعديل والإضافات إستخدمها روزين Rosen في علاج مرضى الذهان، واستخدمها كذلك شيلدر مع المرضى الذين يعانون من معاودة الأفكار غير المقبولة، والمرضى الذين يخافون من مواقف معيّنة، واستخدمها معاونو باقلوف لعلاج أنواع الفوبيا بفك الإشراط وإزالة الحساسيّة. ومع ذلك فكل التعديلات التي استدخلت على هذه الطريقة لم يقيض لها النجاح من الناحية النظرية أو العلاجية.

مراجع

- Ferenczi: Weiterer Ausbau der «Aktiven Technik» in der Psychoanalyse. (1921)

❖ ❖ ❖

– العلاج النفسي التحليلي...

- Active Analytic Psychotherapy (E.);...

- Aktive Analytische Psychotherapie (D.)...

قال به وليام شتيكل، ويكون للمعالج دور فعّال ومباشر أثناء التحليل ليحقق العلاج بالسرعة الممكنة. وكان شتيكل من المتابعين الأوائل لفرويد، إلا أنه ترك

جماعته لأنه اعتقد أن فرويد ليس هدفه شفاء المريض بقدر ما كان هدفه دراسة سيكولوجيته، ولتشيكل دراسات في الجنس تعتبر من المراجع الكبرى في هذا المجال. وتفسيراته للرمزية في الأحلام يأخذ بها الكثيرون، وثبتت صحة رأيه بوجود علاقة بين سمات شخصية المريض ونمط العُصاب المصاب به. وكانت له إسهامات في التأسيس لمفهوم «الصراع النفسي الداخلي Intrapsychic conflict» باعتباره من العوامل المؤدية للإصابة بالقلق وبالعصاب، وكان من رأيه أن الميول المتعارضة تُنشئ الصراعات. ويزيد الصراعات المتعارضة تفسيراً فيقول إنها استقطابات متناقضة في الشخصية، كأن تتنازع الشخص ميول جنسية مثالية وميول جنسية غيرية، أو كأن يكون هناك تعارض بين الهو وبين الأنا الأعلى، وبرغم أنه كان يرى أن الكثير من الصراعات الداخلية ترجع إلى أحداث من الماضي، إلا أنه لم يرَ ثمة ضرورة ملحة لأن يُعالج كل المرضى بالرجوع إلى ماضيهم في الطفولة، ولذلك فقد اختلف مع فرويد وتابعيه الذين نعتهم بأنهم مشغولون بمسألة البحث في ماضي المريض حتى لينسوا صراعاته الحاضرة ولا يولونها الانتباه الواجب.

ويهتم شتيكل بشخصية المعالج وتفاعله مع المريض أكثر من اهتمامه بأن تكون له طريقة معيّنة في العلاج، واعتبر المعالج شريكاً فعّالاً في العملية العلاجية، ومن ثم كانت تسمية طريقته بأنها العلاج التحليلي النشيط، وهو تحليلي لأنه يقوم على تحليل تداعيات المريض، وهو أيضاً نَشِط لأنه لا يترك المريض لنفسه يسترسل في تداعياته، وإنما يتدخل إذا تبينت الضرورة لتدخله، فقد يستوضحه مسألة، أو يجد أن الخط الذي تسير عليه التداعيات غير مهم وينبغي تغييره فيطلب إلى المريض أن يتغاضى عن تلك النقطة، وقد يجد أن المريض يبدي مقاومة فيأمره أمراً بأن يدع هذه المقاومات جانباً، وقد يقف منه موقف الناصح مباشرة، إلا أنه في كل الأحوال يترك الاختيار للمريض ليكون مسؤولاً عن كل ما يقول أو يفعل، وليتحمل نتيجة قراراته بنفسه. وكان شتيكل ينصح تلاميذه بأن يحسنوا اختيار وقت التدخل، وأن ينمّوا في نفوسهم حاسة

الاستبصار التي يهتدون بها للوقت المناسب للتدخل. وكان يرى أن كل محلّل نفسي يستطيع أن ينّمي حاسة الاستبصار عنده لكي يستطيع بها علاوة على ما سبق أن يفسر أحلام المريض التفسير الصحيح. ومن رأيه أن الأحلام التي تعكس الحاضر هي الأهم، وهي الأجدر بالعناية، ولا بأس من الاهتمام بأحلام الماضي شريطة أن تكون من النوع الذي يلقي المزيد من الضوء على شخصية المريض وميوله. ويقول شتيكل إن التحوّل (أي تحوّل المريض بعواطفه تجاه المحلل) مهم، ولكنه ليس بالأهمية التي يعوّل عليها فرويد، فأن ينتظر المحلّل حتى مرحلة التحوّل يعني أنه سينتظر لا أقل من سنة، ولذلك فإن شتيكل يولي العلاقة بين المحلّل والمريض عنايته دون أن يكون التحوّل من أركانها، وكان شتيكل يطالب بأن لا تزيد فترة علاج المريض بالتحليل عن ستة أشهر لا غير.

وكان لشتيكل أتباع، منهم إميل جوتهيل الذي أصدر كتاباً هاماً في تفسير الأحلام (١٩٠١)، غير أنه لا مدرسة لشتيكل رغم أن كثيرين تأثروا بطريقته المرنة والنشطة في العلاج، وأغلب هؤلاء لا يؤكدون على مسألة الاستبصار كشرط في العلم التحللي، ولا يأخذون بمدة الشهور الستة التي حددها للعلاج.

❖ ❖ ❖

– «علم النفس الجماعي وتحليل الأنا»...

- «Group Psychology and the Analysis of the Ego» (E.);...

- «Psychologie Collective et Analyse du Moi» (F.);...

- «Massenpsychologie und Ich - Analyse» (D.)...

هذا الكتاب أصدره فرويد سنة ١٩٢١، ويتطرّق فيه إلى موضوع جديد هو علم النفس الجماعي كمقابل لعلم نفس الفرد، كما يقول بأنا مثالي جمعي أو جماعي كمقابل للأنا المثالي الفردي، ويعد عملية تكوين الأنا من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية. والأنا الجمعي هو المقابل

للعقل الجمعي الذي قال به مكدوجال ولوبون والآخرون من علماء الاجتماع. وفكرة الكتاب عن سيكولوجية الجماعة بدأت مع فرويد منذ سنة ١٩١٩ ولكنه لم ينفذها إلا سنة ١٩٢٠، ولم يصدر الكتاب إلا سنة ١٩٢١، ويعد من خيرة ما كتب فرويد، وهو إسهامه في مجال علم النفس الجماعي أو الاجتماعي. وكانت كتابته في مرحلة ما أخصب مراحله الفكرية، ومع ذلك، وكعادته دائماً، فإن الكتاب لم يعجبه، واعتبره عادياً جداً، وغامضاً، وسيء الصياغة، وأبوابه لا رابط بينها، واحتاجت مراجعته إلى بعض الحذف والإضافة، وإخراج أجزاء لوضعها في الهامش، وشروح على المتن، إلاّ أن نقاد فرويد إستحسنوا الكتاب باعتباره خطوة على طريق سيكولوجية خاصة للأنا، والمعروف أن فرويد كان قد ذاع صيته باعتباره صاحب دعوة إلى سيكولوجية اللاشعور، وباعتباره مُنظّراً للغرائز، ومن جهة أخرى ففرويد لم يقصد إلى كتابة علم نفس خاص بالأفراد كأفراد، إلا أنه قصد إلى بيان علاقة الفرد بالجماعة والبيئة المحيطة، والتحليل النفسي لا يكشف طوايا الفرد إلا باعتبار علاقاته بالآخرين. ويؤسّس فرويد بالتحليل النفسي لعلم نفس للأفراد وللجماعات كذلك، ولم يكن يرى فارقاً بين الاثنين، إلا أنه مع ذلك يؤكد أن الفرد في سلوكه يختلف من موقف لآخر ومن جماعة لأخرى، وهذا الاختلاف هو موضوع كتاب علم النفس الجماعي وتحليل الأنا الذي نحن بصدده. ويبدو أن فرويد تأثر كثيراً بمؤلفات لمشاهير علم النفس الاجتماعي في وقته، من أمثال لوبون صاحب كتاب «علم نفس الجماهير» (١٨٩٥)، ومكدوجال صاحب كتاب العقل الجمعي» (١٩٢٠) وتارد صاحب كتاب «قانون المحاكاة» (١٨٩٠)، وتروتر صاحب كتاب «غرائز القطيع في السلم والحرب» (١٩١٦). ويشابه لوبون بين العقلية الجمعية وعقلية البدائيين والأطفال، وبعض من ذكرنا من المؤلفين السابقين يوافق لوبون أو لا يوافقه على ما يذهب إليه. على أن الغالبية ترى أن التواجد في جماعة من شأنه أن يؤثر على الفرد بالسلب ويدفع إلى النكوص فكرياً وانفعالياً وسلوكياً، فيقول ويفعل ويبدي

من الانفعالات ما يُعد بكل المقاييس إنحداراً أو انحطاطاً، فيصبح غريزياً، وعفوياً، ويتصرف لاشعورياً، وبلا مسؤولية، وكأنه قد عاد طفلاً. وكان مكدوجال وحده هو الذي مايز بين مختلف الجماعات، ونبّه إلى أن كل جماعة لا بد فيها من تنظيم معيّن أو قدر من التنظيم، وأن الفرد يختلف سلوكه في كل جماعة بحسب هذا التنظيم القائمة عليه، أو بحسب الأنظمة التي تعمل وفقاً لها، وتنظيم علاقة الفرد بالجماعة أو بالعكس. وفرويد يساير ذلك كله ولكنه يريد أن يضيف إليه رأي التحليل النفسي، فلا شك أن التحليل النفسي ينقله عن نظريته في الليبيدو. ومن مقولات هذه النظرية أن العقل الجمعي هو نتائج العلاقات العاطفية بين الأفراد، أو بلغة التحليل النفسي هو نتائج العلاقات الليبيدية، ولا تتواجد الجماعة مع بعضها كجماعة إلا لأن هناك شيئاً ما يشدها إلى بعضها البعض ويمسك عليها اجتماعها، وهذ الشيء هو الإيروس أو الحب، وهو المبدأ الذي يوحّد بين الأشياء بعضها البعض ويؤلف بينها في العالم كله، وكل فرد من الجماعة يتأثر ويؤثر في غيره، ويفعل ذلك في يسر وبتلقائية وعن طواعية، لأنه يريد أن يتعايش مع الآخرين، وأن يتناسق معهم، لا أن يكون معهم في صدام وحرب دائمة، وربما هو يفعل ذلك «حباً فيهم Ihnen zu Liebe» فعلاً. وكتاب فرويد الذي نحن بصدده هو محاولة للكشف عن هذه العلاقات الليبيدية التي يقوم عليها الاجتماع الإنساني، ويختار فرويد لذلك جماعتين يدرس العلاقات التي يتماسك بها أفرادهما، والجماعتان من الجماعات الكبرى في المجتمع، إحداهما الجماعة العسكرية التي تنتظمها المؤسّسة العسكرية، والأخرى الجماعة الدينية التي تنتظمها مؤسّسة الكنيسة، ولا يخفى أن الجماعتين مختلفتان، فإحداهما جماعة دنيوية منضبطة وملتزمة بشدة بنظام عسكري صارم، ويرأسها قائد أو زعيم يفترض فيه أنه الأب الروحي لكل الجنود، وأنهم له بمثابة الأولاد لا يفرق بينهم ويعاملهم بسواء، ويدينون له بالطاعة ويكنون له المحبة. والأخرى جماعة تقوم على فكرة روحية، ولها أيضاً قيادة

وزعامة روحية، وهي أيضاً زعامة دنيوية وتنظمها قواعد خاصة أيضاً. وفرويد يهمه جداً فكرة القيادة أو القائد أو الزعيم، لأنها الفكرة المتصلة بنظريته في التحليل النفسي، فالزعيم هو بمثابة الأب للأسرة كما سبق أن قلنا، وموت الزعيم القائد بالنسبة للجيش يعني تحلله وانكساره، ويعني أن العسكر وقد افتقدوا القيادة لن يحسنوا التصرّف، ولن يعد لهم اجتماع، سيولون الأدبار، وموت الزعيم الروحي أو رئيس الكنيسة قد يعني أن ما كان يمثل الإيروس بالنسبة للمؤمنين لم يعد قائماً، وأن أواصر محبتهم قد تنقطع، وأن تقطعها لا يعود موجوداً بعده إلا الشحناء والبغضاء. والزعيم سواء في الجيش أو في الكنيسة هو الذي يمسك على الجماعة ترابطها ويمنعها من أن تتعدى وتنزو، ويكبح جماحها، وبموت الزعيم أو القائد تختلط الأمور ويسود الاضطراب وتقوم الصراعات. وكل جماعة بما هي كذلك لها الجماعة المغايرة لها، والزعيم أو القائد هو الذي يحاول أن يطامن غلواء التعصّب ويهادن غرائز العدوان، ويشيع التسامح ويأمر به، وتقتدي به الجماعة. وافتقاد القيادة يعني أن التعصّب يظهر ويطفح، والعداء يسفر عن أنيابه، والتسامح يتهاوى ويسقط، وتنمحي المحبة ولا يبقى إلا البغضاء والكراهية.

وهذه المشاعر المتضاربة مسألة وجودية في الكون، فالناس تستشعر العواطف المتناقضة، ونحن نحب ونكره في الوقت نفسه، إلا أن الحب أحياناً يغلب أن نغصبه على الظهور، وأحياناً تغلب الكراهية، وربما يكون ظهور الحب أوالكراهية بحسب مصالحنا، والمؤكد أن المصالح المشتركة تزيد الحب متانة، ولكن المؤكد كذلك أن هناك روابط لبيدية تجمع إليها العمال مثلاً، متجاوزة في ذلك المصالح المشتركة أو ما يمكن أن يجنوا منها من فوائد مادية. والشيء نفسه يحدث في علاقاتنا الاجتماعية كما تدل على ذلك بحوث التحليل النفسي على تطوّر اللبيدو الفردي، فبدون العلاقات الاجتماعية لا يمكن أن يتطوّر هذا اللبيدو التطورّ المطلوب والمفطور عليه. ويشحن اللبيدو الحاجات الحيوية الكبرى اللازمة للإنسان، ويختار أن يرتبط أول ما يرتبط

بالناس الذين لهم اتصال مباشر أو غير مباشر بتوفير هذه الحاجات. وفي تطوّر البشرية ككل، وكما في تطوّر الأفراد، فإن الحب وحده هو الذي يقوم بدور العنصر الحضاري، بمعنى أنه العنصر الذي يتحوّل بالأنانية إلى غيرية، وهذا حقيقي في مجال الحب للنساء، فهو الذي جعلنا نحبهن حباً غيرياً لا أنانياً، حباً فيه أن نحب كل ما يحببنه. وهو حقيقي أيضاً في مجال الحب لغير النساء، أي الحب غير الجنسي، والمتسامي، لأفراد الجنس البشري والذين يجمعنا بهم العمل، وهو الحب بالمعنى الذي قصد إليه القديس بولس في رسالة إلى أهل كورينثا، فهو بالقطع لم يعن به الحب الجنسي ولكنه الحب بالمعنى الأوسع. وهذا الحب بالمعنى الأوسع هو الذي لا يقتصر فقط على شحن موضوعاته شحناً، وله ميكانيزماته الأخرى غير الجنسية التي يصنع بها الروابط اللبيدية بين البشر، ومن ذلك ما يسميه فرويد بالتعيّن أو التقمّص Identification، وهو الذي يتناوله الفصل السابع من الكتاب، وهو من أهم فصوله، وفيه تطوير لنظريته الاجتماعية، والتعين أو التقمّص هو أول شكل يمكن أن تتخذه الروابط اللبيدية بين اثنين، فالولد الصغير مثلاً يتعين بأبيه، ولكنه يحب أمه حباً جنسياً، وهذا الحب يصادمه بأبيه، لأنه إذا شعر بهذه المشاعر المستترة تجاه الأم ويغار من الأب ويخشى أن يعاقبه لما يعتمل به من مشاعر محرمة، ويعاني من مشاعر متناقضة تتقوم بها ما يسمّى عقدة أوديب أو الموقف الأوديبي. وهذا التناقض في المشاعر، أو هذه الازدواجية في العواطف هي من مخلفات مرحلة التطور الفموي عندما كان الصبي يحب ثدي أمه ويكرهه أيضاً لأنه يمتنع عليه عندما يريده، وهو يتعين بالثدي في الحالتين، والتعيّن هذا الأولى فيه العاطفتان: الحب الكراهية. وبخلاف هذا التعيّن الذي هو ارتباط لبيدي مباشر بالموضوع، هناك تعيّن باستدماج الموضوع في الأنا بدلاً من الارتباط به لبيدياً. وهناك تعيّن ثالث لا يكون بموضوع جنسي ولكن بعامل يمكن أن يكون هو العامل المشترك بين المتعيِّن والمتعيَّن به. ويفترض فرويد أن أنا الفرد يتعين بأنوات أفراد جماعته من خلال عامل مشترك هو

تعيّنهم جميعاً بأنا القائد أو الزعيم للجماعة. على أن هناك أنواعاً أخرى من التعيّن، فهناك تعيّن بالموضوع المفتقد وهو ضرب من الاستدماج، وقد ينقسم الأنا على نفسه بهذا التعيّن، ويقوم الصراع بين الأنا الأصلي والأنا الآخر المستدمج.

وفي الفصل الثامن يتناول فرويد المشابهة بين حالة الحب وحالة التنويم، ويعتبر هذا الفصل أحد الفصول الكثيرة التي يعالج فيها فرويد مسألة الحب معالجة مستفيضة، ويتحدث فيه عن الحب كما هو في الواقع وليس كشيء مأمول ومرجو. والحب وإن بدا كالتعين، إلا أنه لا يزال هناك فارق بينهما، ففي التعيّن يتساوى أنا المحب وأنا المحبوب وكأنه لا فرق بينهما. وفي الحب يصبح أنا المحبوب هو الأنا المثالي للمحب. والحال في الحب كالحال في التنويم، ففي التنويم يصبح أنا المنوّم «بكسر الواو». هو الأنا الأعلى للمنوّم «بفتح الواو» وفي التنويم لا وجود للجنس، وفي الحب الجنس في حالة كف. وفي الحب والتنويم تشتمل الجماعة على شخصين اثنين، والعلاقات التي تتجرّد من الجنس تتأكد وتتدعم، بينما العلاقات التي أساسها الإشباع الجنسي فإن الجنس يكون فيها عامل فصل وتفرقة.

ويناقش فرويد كل ما سبق في حدود الروابط اللبيدية التي يمكن أن تجمع بين أعضاء الجماعة الواحدة، وبين أعضاء هذه الجماعة وزعيمها أو قائدها، ولأنها ترتبط بقائدها وزعيمها بأن جعلت أناه في مكان أناه المثالي، فإن علاقات أفرادها ببعضهم تجمعها هذه الخصوصية.

وفي الفصلين التاسع والعاشر يناقش فرويد مسألة غريزة القطيع التي يقول بها تروتر ويشرحها في ضوء التحليل النفسي، ويشبهها بالطاقة اللبيدية التي من شأنها أن تجمع وتؤلف وتقارب وتصنع وحدات أكبر، ولكنه ينتقد على تروتر إهماله لمسألة الزعيم القائد، فمثلاً يفسّر تروتر الخوف عند الأطفال من الوحدة بأنه خوف من الانفصال عن القطيع، ولا يرى فرويد ذلك، ويفسره بأنه بسبب افتقاد الطفل للأم، ولا يرى أن الشعور الاجتماعي مصدره تواجد الطفل ضمن القطيع، أي مع أطفال آخرين في المدرسة مثلاً، ولكنه بسبب علاقة الطفل بأبويه،

ومشاهدته لمعاملتهما لإخوته على قدم المساواة، ومن ثم يحلّ الحب لإخوته ولتلاميذ فصله محل أية مشاعر سلبية أخرى، ترضية لموضوع الحب سواء كان الوالدين أو المدرسين. ويفسر فرويد روح الجماعة Gemeingeist أو Esprit de corps أو Groupspirit لا باعتبارها القطيعي وإنما باعتبارها روح الأسرة الواحدة التي أساسها المساواة بين الجميع كما يطبقها الوالدان، وكما يفترض أن يطبقها الزعيم أو القائد، بل إن هذه المساواة لتعتبر من بعد أساس الضمير الاجتماعي والإحساس بالواجب، ومن ثم يذهب فرويد إلى تعديل شعار تروتر بأن الإنسان ليس سوى حيوان أعجم ضمن قطيع herd، إلى أنه كائن فرد ضمن تجمع horde بزعامة قائد أو رئيس، ويجرنا ذلك بالطبع إلى كتاب فرويد الأقدم وهو «الطوطم والتابو»، والذي تحدث فيه عن التجمعات القبلية الأوّلية التي كانت النموذج الأول للأسرة الإنسانية، وكان الأب فيها هو المثل الأعلى للجماعة Group-ideal، وهو المتحكم في الجماعة وأناه هو أناها. ويرى فرويد أن أي جماعة تتكون حالياً إنما هي إحياء للقبيلة الأولى، ومن ثم فإن سيكولوجية الجماعة كما يراها فرويد هي أقدم أنواع السيكولوجيات البشرية، ولا بد أن سيكولوجية الفرد قديمة هي الأخرى إنما تخارجت منها، والواقع أنه تخارج من سيكولوجية الجماعة نوعان من السيكولوجيات، الأولى سيكولوجية الأفراد الأعضاء في الجماعة، والثانية سيكولوجية الأب أو الزعيم أو القائد، وكانت تربط الأفراد الأعضاء روابط لبيدية كالتي تربطهم اليوم، ولكن زعيم القبيلة الأولى كان متحرراً من كل الروابط، فكانت له القوة المطلقة والسلطة الكاملة، ولم يكن يحب أحداً إلا نفسه، أو يحب من الآخرين إلا من يخدم أغراضه فقط، ولم يكن أناه يعطي الموضوعات إلا بالقدر الضروري، وكان بتعبير نيتشه «سوبرمان عصره».

وفي الفصل الأخير يقول فرويد إن كل فرد في عصرنا هذا يعيش تعقيدات متعدّدة، وهو جزء من جماعات متعدّدة، ويرى نفسه في تعيّنات وروابط متعددة، ويتمثل لنفسه أنا مثالياً على منوال عدة

نماذج، فكل فرد يشارك في عدة عقول جماعية - العقل الجماعي لجنسه العرقي، ولطبقته، ولجماعته الدينية، ولمواطنيه إلخ، ويمكن أن يعلو عليها أيضاً وتكون له استقلاليته. والفرد الجديد يمكن أن يستبدل بأناه الأنا المثالي للجماعة Ego-ideal، والمتجسّد في الزعيم أو القائد، إلا أن ذلك لا يحدث عند الجميع بدرجة واحدة، والبعض ما يزال الأنا عنده متوافقاً مع الأنا المثالي، والبعض ما يزال الأنا على حاله من النرجسية الأولى، وهؤلاء يتوافقون مع أي زعيم، وأما غيرهم ممن يسهّل استهواؤهم فهؤلاء سرعان ما يتقمصون ما يكون متاحاً لهم من زعماء.

مراجع

.noitatimI'L ed sioL seL :.G ,edraT - (1890)

- Trotter, W: Instincts of the Herd in Peace and War. (1916)
- Le Bon: Psychologie des Foules. (1995)
- McDougall, W.: The troup Mind. (1920)

❖ ❖ ❖

- علم نفس العصاب...

- Neurosis - Psychology (E.);...
- Psychologie de Nervose (F.);...
- Neurosepsychologie (D,)....

يستخدم فرويد هذا الاصطلاح (١٨٩٦) ليميّز هذا الفرع من الدراسات المرضية النفسية، وهو ما أطلق عليه أيضاً إسم علم النفس الجديد The new psychology، ولذلك فقد انصرف اهتمامه من أول الأمر إلى دراسة الأفازيا باعتبار أن الكلام هو أداة التعبير عن النفس والعقل، وأي اضطراب فيه هو دليل على اضطراب في الأصل، وبدلاً من أن يشتغل فرويد بالدراسات الكلينيكية العصابية مارس البحث في الظواهر المرضية النفسية الكلينيكية، وشكّلت كشوفه في هذا المجال فرعاً جديداً من علم النفس المرضي، ووجّهت إليه ضروب النقد أن هذا العلم - علم الأعصبة النفسية - هو تعميمات عن النفس قد استُقيت أصلاً من مصادر مرضية، وهو

أمر لا يمكن أن يستقيم في التطبيق على الناس الأسوياء، ونبّه فرويد في كتابه بالاشتراك مع بروير إلى أن هذه التعميمات هي العوامل التي يكون بها التداعي نفسياً بالعصاب، فالخبرات الجنسية الصادمة مثلاً مصدر أساسي من مصادر تكوين العصاب، وأكد فرويد على هذه الصفة «أساسي» لأنه كان الشائع أن يقال أن الخبرة الجنسية الصادمة قد تؤدي أحياناً إلى المرض النفسي، فأكد فرويد أن ذلك يكاد يكون القاعدة، وليس استثناء وعا به النقاد على توجهاته الجنسية، إلا أن الملاحظ أن فرويد في خطاباته الخاصة والعامة، وفي جلساته، ما كانت له هذه التوجهات، ولم يُعرَفُ عنه أنه كان يحب النكات الجنسية أو ينقلها، وما كان يحب أن يتطرق إلى موضوعات جنسية من أي نوع، حتى وصفه أشياعه بأنه على العكس يمكن أن يُقال إنه متعفف، واستخدم جونز في وصفه كلمة «متطهّر Puritanical».

❖ ❖ ❖

العميل المحرّض...

- Agent Provocateur (F.)...

إستخدم شاركو لأول مرة اصطلاح العميل المحرّض ليصف تأثير الوراثة في الإصابة بالهيستيريا. والاصطلاح قانوني ويعني الشخص الذي يُستأجر للاندساس بين أعضاء جماعة، بعد تظاهره بالعطف على أهدافهم، لتأليبهم وتحريضهم على ارتكاب أعمال تعرّضهم للعقوبة. ومن رأي شاركو أن أي عامل آخر بخلاف الوراثة ليس سوى عامل مساعد يستحثّ العامل الأصلي، وذهب فرويد إلى أن الهيستيريا تنشأ من كبت فكرة غير مناسبة، ومن شأن الأعراض الهيستيرية أنها تساعد على كبت الفكرة بأن تتيح الفرصة لها لأن تخرج بطريقة رمزية (١٨٩٤)، وقال فرويد إن الفكرة غير المناسبة قد ترتبط بذكريات لتجارب صادمة من الطفولة، وعندئذ تصبح لها قوة صادمة. وهذه التجارب الصادمة من الطفولة، وهي تجارب جنسية غالباً، هي المسؤولة عن الإصابة بالهيستيريا وليست الوراثة كما

يدّعى شاركو. وقد اعتقد فرويد أن الطفل الذي يتعرض لتجربة غواية صادمة في الطفولة لا بدّ أن يُصاب في البلوغ بالهيستيريا، بينما الطفل الذي يغوي طفلاً آخر يميل إلى الإصابة بالعصاب الحوازي (١٨٩٦). ولم يحد فرويد عن وجهة نظره هذه فيما بعد، إلا ما ذهب إليه من بعض التعديلات فيها. واستخدم فرويد اصطلاح العميل المحرّض ليصف به أي فكرة أو تصوّر أو خبرة ترتبط بذكرى صادمة من الطفولة ويكون لها تأثير الإصابة بأعراض هيستيرية، أو تتحصل لصاحبها ردود فعل دفاعية،أو حتى تأتيه بسببها الأحلام كثيراً حتى لو كانت أحلاماً سوية.

مراجع

- Freud: The Neuro-psychoses of Defence. (1894)

: Further Remarks on the Neuro-psychoses of Defence. (1896)

: The Specific Aetioloty of Hysteria. (1896)

❖ ❖ ❖

- غ -

حرف الغين

- غرائز الأنا...

- Ego Instincts (E.);...
- Instincts du Moi (F.);...
- Ichtriebe (D.)...

عارض فرويد منذ كتابه «ثلاثة مباحث في نظرية الجنسية» الصادر سنة ١٩٠٥ بين الغرائز الجنسية التي هدفها تحصيل اللذة والإشباع الجنسيين، وبين الحاجات أو الوظائف الحيوية للأنا من مثل الحصول على الطعام وتوفيره كغذاء حيوي للجسم وتصريف مخرجاته إلخ، وكلها وظائف غير جنسية.

وفي مقاله المعنون «وجهة نظر التحليل النفسي في اضطرابات البصر نفسية المنشأ» الصادر سنة ١٩١٠ يضع فرويد هذه الحاجات الحيوية وغير الجنسية تحت إسم غرائز حفظ الذات، ويشير إليها باسم غرائز الأنا، ويجعلها المقابل المعارض للغرائز الجنسية، لوجود تعارض لا شك فيه بين الأغراض الجنسية وأغراض المحافظة على الذات، ومن ذلك الغرض الدفاعي الكابت الذي ينهض به الأنا ضد الدوافع الجنسية التي تتعارض مع الواقع وتهدّد الأنا بالمخاطر. وتعني غرائز الأنا من المنطلق البيولوجي المحافظة على ذات الفرد من أن تستغرقه غايات المحافظة على النوع وهي التي تتكفل بها الغرائز الجنسية، وكما يقول فرويد فإن الفرد يعيش في الواقع وجوداً مزدوجاً باعتباره كفرد وباعتباره كواحد من الجنس البشري، ويعكس التمييز بين غرائز الأنا والغرائز الجنسية هذه الوظيفة المزدوجة للفرد ضمن النوع. وتعني غرائز الأنا أنها الغرائز التي بها تتأكد فردية الفرد، وتكون بها أيضاً المحافظة عليه كفرد. وفي الوقت الذي نجد فيه أن غرائز الجنس تخضع لمبدأ اللذة، فإن غرائز الأنا يتحكم فيها مبدأ الواقع، فالنوعان من هذه الغرائز متعارضان نفسياً كتعارضهما على المستوى البيولوجي، ويقول فرويد من ثم بوجود أنا الواقع Reality ego إنطلاقاً من الخصائص السابقة، فليس من عمل آخر لأنا الواقع إلا مراعاة المقتضيات الاجتماعية والمطالب الواقعية وتأمين الذات ضد مخاطر المطالب الجنسية وتحقيقها.

ويفترض فرويد وجود هاتين المجموعتين من الغرائز انطلاقاً من تحليل الأعصبة الطرحية (الهيستيريا والعصاب الوسواسي) إذ تقتصر هذه الفرضية على فكرة الصراع بين المتطلبات الجنسية ومتطلبات الأنا. واضطر في نظريته الأخيرة عن الغرائز أن يفسر الظاهرة النرجسية، وهي التي تتمثل في حب الإنسان لذاته، بأن الغريزة الجنسية قد تتعلّق بالموضوعات الخارجية (لبيدو الموضوع) كتعلقها بالأنا (لبيدو الأنا أو اللبيدو النرجسي)، بينما طاقة غرائز الأنا ليست من نوع اللبيدو وإنما هي اهتمامات، وتصدر عن الأنا بإزاء الموضوعات الخارجية من مثل الاهتمام بالغذاء أو الإخراج، إلا أن الأنا يمكن كذلك أن يكون موضوعاً للغريزة الجنسية وأن تتعلّق به طاقتها (لبيدو الأنا). ويتقدم التعارض في النظرية الجديدة بين لبيدو الأنا ولبيدو الموضوع على التعارض بين غرائز الأنا والغرائز الجنسية، لأنه بردّ الحفاظ على الذات إلى محبة الذات نكون قد أزلنا هذا التعارض بين هاتين الغريزتين وأوكلنا إلى الأنا التعلّق بالذات والمحافظة علها في الوقت نفسه، ومن ثم يبتكر فرويد هذا الإسم الجديد «غرائز الحياة»، ويدرج ضمنها غرائز الأنا والحفاظ على الذات والغرائز الجنسية، ويقيم منها ثنائية مع غرائز الموت، ويجعل هدف الغرائز جميعاً العودة إلى حالة سابقة هي حالة النيرفانا أو السكون الأبدي أي الموت، مع فارق واحد هو أن غرائز الأنا لا تصر على الموت وإنما تعمل على تأمين الطريق إلى تحقيقه بطريقتها الخاصة. وكما يقول فرويد فإن حرّاس الحياة كانوا أنفسهم خدماً للموت، كما أن كل الغرائز تصدر عن مصدر واحد هو الهو وإن تباينت في وظائفها.

مراجع

- Freud: Narcissism: An Introduction. (1914)

: The Unconscious. (1915)

: Instincts and their Vicissitudes. (1915)

: Psychoanalysis and the Libidotheory. (1923)

❖ ❖ ❖

– الغرائز الجزئية...

- Component Instincts (E.);...
- Instincts Partiels (F.);...
- Partialtrieve (D.)...

يميّز فرويد بين الغرائز الأساسية والغرائز الجزئية، ويشير إلى مجموعتين من الغرائز الأساسية هي الغرائز الجنسية وغرائز حفظ الذات، أو كما ورد في نظريته الثانية للغرائز أنها غرائز الحياة أو الإيروس وغرائز الهدم أو الموت، وليس لأي من المجموعتين سالفتي الذكر مواضع معيّنة في الجهاز النفسي ولكنهما في كل مكان منه، وعلى عكس ذلك الغرائز الجزئية فإن ما يميزها ويمدّها بكيفيات معيّنة إنما هو علاقاتها بمصادرها البدنية وبأهدافها، ومصدر الغريزة هو عملية التهيّج التي تحدث في عضوٍ ما، والهدف المباشر للغريزة هو إزالة هذا المنبه المرتبط بهذا العضو. ويرجع وصف الغريزة بالجزئية إلى ارتباطها بأجزاء الجسم وأعضائه التي تنبعث منها، ويصدر عن هذه الأجزاء نوعان من التنبيه على أساس اختلافات لها طبيعة كيميائية، ويوصف أحد هذين النوعين بأنه جنسي على وجه خاص، كما نقول عن الجزء الصادر عنه أنه منطقة شبقية للغريزة الجنسية الجزئية، مع أن البدن كله في الحقيقة منطقة شبقية. وفي أثناء الطفولة الباكرة لا يكون هناك إلا ما يطلق عليه التنظيم قبل التناسلي، وهو نوع منفك من التنظيم الجنسي لا تكون للأعضاء التناسلية فيه مركز الصدارة، وتكون النزعات الفموية والشرجية هي الغالبة السائدة، وأما أوجه النشاط التي تبدو لنا وكأنها نشاط ذكوري من الطفل فما هي إلا تعبير عن نزعة السيطرة وسرعان ما تصبح نوعاً من القسوة. وكذلك ترتبط النزعات ذات الهدف السلبي بالمنطقة الشهوية للشرج، كما أن العين تصبح منطقة شهوية وتتحكم في الطفل الرغبة في الاستطلاع وينشط لذلك جداً. ولا ينقص المكوّنات الغريزية الجزئية الموضوعات التي تتعلّق بها. ومن وراء الطور الشرجي هناك الطور الفموي الذي تقوم فيه منطقة الفم بالدور الرئيسي، وتخلف هذه الأطوار آثاراً لا

تمحى في الحياة الجنسية التالية، وتكون نقطة التحوّل في خضوع مكوّنات الغريزة الجنسية، أي نزعاتها الجزئية لزعامة الأعضاء التناسلية، وبالتالي خضوع الجنسية لوظيفة الإنسال، فقبل هذا كانت الحياة الجنسية مبعثرة إن صح التعبير، قوامها هذا العدد الكبير من النزعات الجزئية التي تعمل كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى، إبتغاء اللذة الموضعية المستقلة من الجزء من الجسم المرتبطة به.

مراجع

- Freud: Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1917)

: Three Essays o the theory of Sexuality. (1905)

❖ ❖ ❖

– الغرائز الجنسية...

- Sexual Instincts (E.);...
- Instincts Sexuels (F.);...
- Geschlechtstrieb (d.)...

يفترض فرويد في نظريته القديمة للغرائز وجود مجموعتين أساسيتين منها هما الغرائز الجنسية وغرائز الأنا أو حفظ الذات، ولكنه في نظريته الجديدة يجعل هاتين المجموعتين هما غرائز الحياة وغرائز الموت. والمجموعتان متقابلتان، وقد تأتلفان كما أنهما قد تتعارضان، ومن هذا التفاعل تكون مختلف الأنشطة النفسية في الحياة. والغرائز الجنسية جزء من غرائز الحياة وافتراض الغريزة الجنسية يقوم على وجود حاجات جنسية عند الإنسان والحيوان، لكن فرويد يوسّع من معنى الغريزة ويضم لها الدوافع الغريزية المشتقة، ولا يحدد موضوعاتها بيولوجياً ويغاير في كيفية إشباعها، ويربط نشاطها بالنشاط الجنسي لمناطق الجسم الشبقية، ويجعلها في بداية العمر موزّعة

على هذه المناطق، ويتم إشباعها تبعاً لذلك موضعياً، وتنعقدالسيادة للنشاط التناسلي في فترة البلوغ أي في المرحلة التناسلية، وقد تطرأ تثبيتات للغريزة الجنسية ترتبط بالمناطق الشبقية. وللغريزة الجنسية طاقة وهدف وموضوع، ويطلق فرويد على طاقة الغريزة الجنسية إسم اللبيدو، وفي نظريته الجديدة يجعل اللبيدو الطاقة العامة للنشاط الغريزي جميعه، سواء كان نشاطاً جنسياً أو غير ذلك من الأنشطة. وتتعلّق الانحرافات في الغريزة الجنسية بالموضوع والهدف الجنسيين. وفي الأمراض العصابية تمثل الأعراض الرغبات التي تستمدّ قوتها من الغريزة الجنسية. وأثبت التحليل النفسي أن الأطفال يولدون بالغريزة الجنسية، ومن مظاهرها الشبقية الذاتية، وأن الغريزة الجنسية تشكّل أحد عوامل الصراعات النفسية الرئيسية، وأنها الموضوع المفضّل للكبت. ويحوي اللاشعور الدوافع الغريزية الجنسية التي لا تلقى مصادقة من المجتمع والدين وتتصادم مع المعايير الأخلاقية. ويرجع فرويد الجزء الكبير من الميراث الثقافي إلى قمع الغريزة الجنسية وكبت الدوافع الجنسية، غير أن القمع أو الكبت قد يستحدث بالبعض إستعداداً للقهر العصابي الذي يجعل من المستحيل على الأنا أن يتحكم في الوظيفة الجنسية، وربما يجعله يعرض عن هذه الوظيفة نهائياً. ولا شك أن الغرائز التي تظهر من الناحية الفسيولوجية باعتبارها جنسية إنما تلعب في تكوين الأمراض العصابية الدور الأكبر.

مراجع

- Freud: Three Essays on the Theory of Sexuality. (1905)

: An Outline of Psychoanalysis. (!938)

❖ ❖ ❖

- غرائز حفظ الذات...

- Instincts of Self -preservation (E.);
- Instincts d'Auto-conservation (F.);...
- Selbsterhaltungstriebe (D.)...

(أنظر غرائز الحياة والغرائز الجنسية)

❖ ❖ ❖

- غرائز الحياة...

- Life Instincts (E.);...
- Instincts de Vie (F.);...
- Lebenstriebe (D.)...

يقابل فرويد بين نوعين من الغرائز هما غرائز الحياة وغرائز الموت، ويدخل ضمن غرائز الحياة غريزة حفظ الذات، وغرائز حفظ النوع، وكذلك حب الذات ego-love، وحب الموضوع. ويطلق على غرائز الحياة إسم الإيروس باعتباره مبدأ الحياة عند الإغريق، ويتضمن ذلك كل الأنشطة التي بها يؤمّن الفرد لنفسه الإشباع بكافة صنوفه الجنسي والغذائي، إلخ، ويكون به الإنسال والتكاثر والحرص على النفس الحياة معاً. وعمل غرائز الحياة لذلك إيجابي وتركيبي، ويستهدف تكوين وحدات أكبر والمحافظة عليها، والتأليف من جديد بين ما تبعثره غرائز الموت بما فيها من عدوان وهدم وإفناء. فما تفسده غرائز الموت تصلحه غرائز الحياة. والمجموعتان لذلك قد تتعارضان، وقد تتآلفان كذلك بحيث يتضمن النشاط الواحد جانباً من هذه وآخر من تلك، كما في التغذية مثلاً فإنها من أعمال غرائز الحياة، ولكنها لكي تتحقق لا بد فيها من مشاركة غريزة الهدم إحدى مركبات غرائز الموت، بمعنى أنه لا بد فيها من إعداد الطعام للطهو ومضغه وابتلاعه وتمثله، وجميعها تقوم على العدوان والهدم، وحتى العملية الجنسية نفسها فيها من العدوان الكثير. ثم إن غرائز الحياة في مجال الأحياء تشبه في عملها في مجال الكائنات غير العضوية قوة

الجذب، في مقابل قوة النبذ، المعادلة في مجال الأحياء لغرائز الموت. وفي المجال البيولوجي فإن غرائز الحياة تشبه في عملياتها عمليات الابتناء في الأيض، كما أن عمليات غرائز الموت لشبيهة بعمليات الهدم. ويعطي فرويد طاقة البناء إسم اللبيدو، ولا يجد إسماً يقابل اللبيدو لوصف طاقة الهدم.

مراجع

- Freud: An Outline of Psychoanalysis. (1938)

❖ ❖ ❖

– «الغرائز وتقلّباتها»...

- **«Instincts and their Vicissitudes» (E.)...**
- **«Les Instincts et leurs Destins» (F.);...**
- **«Triebe und Triebschicksale» (D.)...**

نشر فرويد بحثه في الغرائز وتقلّباتها سنة ١٩١٤. وحديثه في الغرائز بدأ أصلاً منذ كتابه «ثلاثة مباحث في الجنسية» سنة ١٩٠٥، وفي هذا البحث الذي نحن بصدده يجمع الغرائز في مجموعتين كبريين هما الغرائز الجنسية وغرائز الأنا أو حفظ الذات، ثم في كتابه «ما فوق مبدأ اللذة» الذي نشره سنة ١٩٢٠ يجعل أهم الغرائز هما مجموعتا غرائز الحياة وغرائز الموت. وما يهمنا في هذا البحث عن الغرائز وتقلّباتها هو ما يذكره عن مواصفات الغرائز، ويتحدث عنها من حيث عناصرها الأربعة: الدفعة Impetus، والهدف، والمصدر، والموضوع. ويقصد بالدفعة، كمية الطاقة التي بها تظهر الغريزة كحركة. وأما هدف الغريزة فهو الغاية النهائية له وهي تحقيق الإشباع. ولكل غريزة طرقها لتحقيق هذا الهدف، وقد يعاق الإشباع لسبب من الأسباب، وقد يتحقق جزء من الإشباع دون الكل. وأما موضوع الغريزة فهو ما يكون به تحقيق الإشباع. وتتنوّع الموضوعات وترتبط بالغرائز بمقدار مناسبتها لتحقيق الإشباع وقد يكون موضوع

الغريزة جسم الشخص نفسه، وقد يكون موضوعاً خارجياً، ويتغيّر الموضوع بالتغيّرات والتقلّبات التي تطرأ على الغريزة مع تطوّرها بحسب مراحل العمر النمو، وقد يحدث أن يفي الموضوع الواحد بإشباع عدة غرائز في الوقت نفسه، ويطلق أدلر على ذلك إسم احتشاد الغرائز The confluence of instincts، فإذا ارتبطت الغريزة بموضوع لا تبرحه فذلك هو التثبت Fixation، وهو ظاهرة كثيرة الحدوث عبر مراحل تطوّر الغريزة.

والغريزة في المصطلح الفرويدي مفهوم حدّي بين ما هو جسدي وما هو نفسي. وتقوم نظرية الغرائز عند فرويد على التمثيل الثنائي، أي تواجدها في ثنائيات متناقضة، كثنائية غرائز الجنس وغرائز الأنا، وهو افتراض إستلزمه البحث في الأمراض النفسية المعروفة باسم الأعصبة الطرحية، حيث تبين أن أساسها الصراع بين المطالب الجنسية والمطالب الأنوية.

والغرائز الجنسية كما يتبين من اسمها تتعدّد مصادرها من الجسم كالغريزة الفموية والغريزة الشرجية وهكذا، وتعمل مستقلّة عن بعضها بحسب مراحل التطوّر النفسي الجنسي للشخص، ولكنها تتوحد في مرحلة البلوغ وتعمل تحت قيادة الغريزة التناسلية، وهذه الغرائز المتعددة أو الغرائز المشتقة يكون بها إلذاذ العضو أو جزء الجسم المرتبطة به، وتعتمد في بداياتها على غرائز حفظ الذات ثم تنفصل عنها بالتدريج، إلا أنها مع ذلك تظل مرتبطة بغرائز الأنا وتسترشدها وتستمدّ منها مكوّناتها اللبيدية، وبعضها ارتباطه بها مدى العمر. وللغرائز الجنسية الاستطاعة أن تمارس أنشطة بعيدة عن أن تحقق لها الإشباع مثل التسامي، وتثبت الملاحظة أن الغريزة تطرأ عليها تغيّرات أو تقلّبات إي الضد، وقد تنقلب على صاحبها، وقد تكبت أو تتسامى، وكلها تغيّرات وتقلّبات يدفع بها الأنا عن نفسه أضرارها عند اللزوم، والغريزة التي تنقلب إلى ضدها كأن تتغير من الإيجاب إلى السلب كالسادية تنقلب إلى الماسوشية، وكغريزة التنظّر الجنسي تنقلب إلى استعراض جنسي. والغريزة التي يتغير فيها المحتوى إلى ضده في حالة واحدة هي حالة الحب الذي ينقلب إلى

الكراهية. والغريزة التي تنقلب على صاحبها كما في الماسوشية فهي أصلاً سادية ولكنها بدلاً من أن تقصد الغير تتوجه إلى الأنا، وكما في الاستعراضية فإنه بدلاً من الاستعراض للغير يكون الاستعراض للأنا على جسم الشخص نفسه.

والغرائز بشكل عام كأنما تصدر في حفزات Thrusts، ولكل مرحلة من مراحل تطوّرها حفزاتها، وهي إيجابية في بداياتها ثم تنحو إلى السلبية، وغرائز البدائيين إيجابية عموماً، وفي المراحل الأخيرة من تطوّر الغريزة يمكن أن تتواجد السلبية إلى جانب الإيجابية وهي الظاهرة التي يطلق عليها إسم التناقض الوجداني، كأن تتوجه إلى المحبوب مشاعر متناقضة من المحبة والكراهية، والمُشاهد من هذا التناقض يختلف من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة، ومن جنس إلى جنس، وهو قديم في الإنسان ويوجد به كميراث سلفي.

ويطلق إسم النرجسية على المرحلة الأولى من تطوّر الأنا التي يتحقق فيها الإشباع للغرائز الجنسية ذاتياً، وهي مرحلة يُقال لها مرحلة الشبقية الذاتية، وعلى ذلك فالتنظّر الذاتي، أي من الشخص لجسمه، هو من آثار هذه النرجسية، والتنظّر السلبي هو تثبت على النرجسية، وربما يلجأ الأنا إلى هذه التحويلات النرجسية كدفاع نكوصي إلى المراحل الأسبق من التطوّر ضد مخاطر المراحل الحالية، ويتوقف عموماً هذا التحوّل من الإيجابية إلى السلبية على التنظيم النرجسي للأنا.

والحب كغريزة مشتقة يتضمن ثلاثة تناقضات، الأول هو تناقض الحب الكراهية، حيث يكون اجتماع هذه المشاعر المتناقضة في الشخص الواحد إزاء الموضوع الواحد، والتناقض الثاني هو تناقض أن نكون فاعلين للحب وأن نكون موضوعاً للحب، والتناقض الثالث هو أن نقف من كل من الحب والكراهية موقفاً محايداً أو أن لا نبالي بأيهما. ولا يكون التغير من النقيض إلى النقيض إلا حيث يمكن أن نتحول من الإيجاب إلى السلب، أي نتحول من أن نولي الغير محبتنا إلى أن نتوجه بالمحبة لأنفسنا، تماماً كما في التنظّر السلبي، حيث يتحوّل التنظر من

تنظر على الغير إلى تنظّر ذاتي، وهي الصفة التي تميّز النرجسية. وقد نفهم تناقضات الحب أكثر لو أدركنا أنّ النشاط النفسي ككل تتحكم فيه ثلاثة تناقضات، هي تناقض الأنا اللاأنا، أي التناقض بين الأنا وموضوعات العالم الخارجي، وتناقض اللذة الألم بحسب ما يستحدثه إشباع الغرائز من مشاعر قد تتباين في طبيعتها. وتناقض الإيجاب السلب باعتبار أن الأنا في استقباله للمثيرات الخارجية يكون سلبياً، وفي ردود فعله عليها يكون إيجابياً، وتصبح الإيجابية صنو الذكورة في المراحل المتأخرة، كما تصبح السلبية صنو الأنوثة. وتترابط هذه التناقضات الثلاثة ببعضها وتتوقف على بعضها البعض، وليس الحب إلا المشاعر الوجدانية للأنا تجاه ما يتحصل له منه للذة، سواءكان هذا الحب يتوجه من الأنا لنفسه، أو كان حباً متوجهاً لموضوعات من العالم الخارجي. ومن دأب الأنا أن يستدمج الموضوعات التي يحبها، وأن ينبذ أو يكره ما يكون له به الألم.

ويميّز فرويد بين الأنا الواقعي Reality-ego الذي يكون به تمييز العالم الموضوعي، وأنا اللذة Pleasure-ego وهو الدؤوب على البحث عن اللذة، والعالم عنده إما موضوعات تمنحه هذه اللذة فيستدمجها أي يُظهر لها المحبة، وإما موضوعات لا يكون له منها إلا الألم، أو أنها موضوعات ليس فيها لا لذة ولا ألم ومن ثم لا يوليها اهتماماً، وما يؤلمه أو لا يكون فيه مصلحة له يعتبره معادياً، ومن ثم يسقط عليه مشاعر الكراهية. وفي الحب يقترب الأنا من موضوعاته، وذلك هو الانجذاب، وهو خطوة إلى الاستدماج، أي الحب. وفي الكراهية يكون التجنّب الابتعاد، وذلك هو النفور، وهو خطوة إلى الكراهية. وقد تزيد الكراهية حتى لتصبح ميلاً للعدوان والتوجّه بالإيذاء والتخريب للموضوع المكروه. وينبغي التفريق بين ما نحب من موضوعات وما نحتاج إليه في حياتنا اليومية للمحافظة على ذواتنا، وهذا الأخير قد نضفي عليه مشاعر من نوع آخر، فنصف الرغبة فيه وإشباعه لحاجاتنا الغريزية بأننا نرغبه، أو نجده مشوقاً أو ذا نفع، أو أننا نميل إليه ونرجوه ونتمناه، وهكذا. وأما مشاعر الحب فنقصرها على علاقاتنا بكل ما

تتحصل لنا من اللذة، وخاصة الموضوعات الجنسية، والموضوعات التي ترضي فينا نوازع التسامي بالغرائز الجنسية. ونلاحظ أن مشاعر الكراهية وهي القاصرة على الألم دون اللذة لا تصدر عن الغرائز الجنسية ولكنها نتيجة سعي الأنا الدائب للمحافظة على نفسه، وهذا فارق جوهري بين الحب والكراهية في المنشأ، بالإضافة إلى أن الحب كانت نشأته في البداية نشأة نرجسية ثم تحول إلى الموضوعات الخارجية، غير أن الحب لم يصبح هو النقيض للكراهية إلا في المرحلة التناسلية من تطوّر الأنا، عندما صارت الغريزة التناسلية هي الغريزة المسيطرة على كل الغرائز الجنسية المشتقة. وعرف الأنا اللذة من عدمها، وقبل ذلك كان الحب والكراهية متزاوجين Ambivalent فليس بينهما حدود ويختلطان ويمتزجان. والتقابل بين اللذة التي هي منشأ الحب، والألم الدافع للكراهية، وارتباط الحب بالغرائز الجنسية، والكراهية بغرائز الأنا أو حفظ الذات، يجعل هناك مقابلة وتناقضاً أيضاً بين هاتين المجموعتين من الغرائز.

ولعلّنا الآن قد فهمنا أنّ السمة الرئيسية لتقلّبات الغرائز، وهي أن هذه الغرائز تتحكم فيها التناقضات الثلاثة التي نوّهنا بها والتي هي قوام كل الأنشطة النفسية، ولربما يمكن أن يصدق على تناقض الإيجاب السلب أنه بيولوجي، وأن تناقض الأنا اللا أنا أو الأنا الموضوعات الخارجية أو العالم الخارجي يصدق عليه أنه تناقض واقعي، بينما يصدق على تناقض اللذة الألم أنه إقتصادي.

❖ ❖ ❖

– غريزة التدمير...

- Destrudo (E.;F.;D.)..
- Destructive Instinct (E.);...
- Instinct de Destruction (F.);...
- Destruktionstrieb (D.)...

يفترض فرويد وجود مجموعتين من الغرائز، يطلق على الأولى إسم الإيروس أي غريزة ا لحياة، وعلى الثانية إسم غريزة التدمير، والغريزتان قد تتعارضان

وقد تتآلفان، ومن تعارضهما وتآلفهما تنشأ جميع ظواهر الحياة. وفي حين يكون عمل الإيروس هو دائماً تكوين وحدات أكبر والمحافظة على بقائها كذلك، أو هو اختصاراً التأليف بين الأشياء، فإن هدف غريزة الهدم هو على العكس تفكيك الارتباطات وهدم الأشياء وإعادة الكائنات الحية إلى الحالة اللاعضوية التي كانت عليها قبل أن تدبّ فيها الحياة.

وتترتّب على نتائج التفاعل بين الغريزتين أن الطعام ليدخل الجسم ويُستدمج فيه ويكون به حفظ الحياة، لا بدَّ من مضغه وتحطيمه أولاً، والعملية الجنسية عبارة عن فعل عدواني الغرض مه التوالد والإكثار، ولو زاد عنصر التدمير في التفاعل لكان لدينا مثلاً في أحوال الحب محبين شكسين وربما سفاحين، ولو قل هذا العنصر في أحوال أخرى فإن ذلك قد يظهر البعض بمظهر الخجل أو قد يسلبهم القدرة الجنسية.

ويطلق فرويد على طاقة الإيروس أو غريزة الحياة إسم اللبيدو، ولم يجد إسماً لوصف طاقة الهدم، إلا أن أتباعه حاولوا أن يستكملوا ذلك وقالوا بالديسترودو Destrudo، وهو إسم لاتيني كإسم اللبيدو اللاتيني، ويشتق من التدمير Destructio، ويسهّل تداوله. ويرجع فضل ذلك إلى اجتهاد إدوارد ڤايس (١٩٣٥)، إلا أن الاسم لم يَرُج عنه لأن فرويد لم يقل به.

ويذكر فرويد أن غريزة الهدم هي نفسها الموت في توجهاتها الخارجية، فطالما هي تعمل في الجسم في صمت من الداخل، فهي غريزة موت، ولكننا إذا أدركناها في توجهاتها إلى الخارج فإنما ندركها كغريزة هدم.

وتظهر غريزة الهدم في التضاد بين الحب والكراهية حيث يقوم الكُرْه بتمهيد السبيل لغريزة الهدم، وفي الأحوال التي يمتزج فيها الحب بالكراهية قد تسبق الشحنات الوجدانية الخاصة بغريزة الهدم فتظهر الكراهية على الحب ونلمس أثر غريزة الهدم في الإحساس بالذنب الذي يتحكم في الأنا الأعلى ويوجهه ضد الأنا. ومن الممكن في العصاب القهري أن تتحول دوافع الحب إلى دوافع عدوانية تتجه ضد الموضوع، وتتحرّر غريزة الهدم ويصبح غرضها إبادة الموضوع، أو تبدو على الأقل كأنها تهدف لهذا الغرض،

والسادية والماسوشية مثلان لالتحام الغرائز الشهوية بغريزة الهدم.

مراجع

- Freud: The Ego and the Id. (1923)

❖ ❖ ❖

– غريزة العدوان...

- **Aggressive Instinct (E.);...**
- **Instinct d'Agression (F.);...**
- **Aggressionstrieb (D.)...**

(أنظر العدوان)

❖ ❖ ❖

– غريزة الموت...

- **Death Instinct (E.);...**
- **Instinct de Mort (F.);...**
- **Todestrieb (D.)...**

يفترض فرويد ضمن نظريته الأخيرة في الغرائز وجود غريزتين أساسيتين فقط هما الإيروس أو غرائز الحياة، وغريزة الموت وهي التي أطلق عليها تلاميذه إسم الثاناتوس، وذكروا أن فرويد أسماها كذلك وإن لم يدونه تحريراً، وإنما جاء ذكره أمامهم عرضاً. وهدف أولى الغريزتين هو العمل باستمرار على تكوين وحدات أكبر والمحافظة عليها، وهدف الغريزة الثانية هو على العكس تفكيك الارتباطات ومن ثم هدم الأشياء، فكأن هدفها النهائي هو إعادة الكائنات الحية إلى حياتها اللاعضوية التي كانت عليها في البداية، ولهذا جاءت تسميتها بغريزة الموت. فإذا كانت الكائنات الحية قد ظهرت بعد الكائنات غير الحية ونشأت منها، فإن غريزة الموت يصدق عليها أن الغرائز تميل إلى العودة إلى أحوالها السابقة. وقد تتعارض غريزة الموت وغرائز الحياة، وقد تأتلفان، وهذا التفاعل هو أساس كل ظواهر الحياة، ويشبه عملها في تقابله التقابل المماثل في العالم غير العضوي بين قوة الجذب وقوة التنافر أو النبذ. وطالما كان عمل غريزة

الموت قاصراً على الداخل فعملها يظلّ صامتاً غير مشعور به، ولكننا نشعر به عندما يتجه عملها إلى الخارج، وعندئذٍ تصبح غريزة عدوان وهدم. وعندما يبدأ الأنا الأعلى في التكوين يتثبت قدر من غريزة العدوان داخل الأنا ويعمل بطريقة تؤدي إلى فناء النفس من خلال اللوم المستمر ومشاعر الذنب وتعذيب الذات، إلخ، ويكفي أن نتأمل حالة الغضب وهو ينتقل من العدوان المكبوت إلى حالة إفناء النفس بتوجيه عدوانه إلى نفسه، فيلطم وجهه ويقطع شعره، وهي أعمال كان يفضل لو يوجهها إلى شخص آخر. ويظل جزء من غريزة الموت أو إفناء النفس باقياً في الداخل بصفة دائمة حتى ينجح آخر الأمر في إفناء الفرد بعد أن يكون الليبيدو قد استُهلك أو تثبت بطريقة مضرّة، وقد نظن حينئذٍ أن الفرد إنما يموت بسبب صراعه الداخلي. وأما النوع الثاني فيتمثل عمل غريزة الموت فيه عندما يفشل في جهاده مع العالم الخارجي ولا يستطيع مواجهة التغيّرات فيه بأي نوع من التكيّفات التي سبق له أن اكتسبها.

ويبدو من سلوك العصابيين أن غريزة حفظ الذات قد انقلبت عندهم إلى غريزة عدوان وتدمير وإفناء للنفس، ولا يبدو عليهم إلا إنهم معنيون أولاً وأخيراً بإيلام ذواتهم، وقد ينتهي بهم الأمر إلى الانتحار، ولربما كان ذلك لأن غريزة الموت فيهم توجه كميات زائدة منه إلى داخلهم، وكذلك يقاوم العصابي العلاج والشفاء بكل ما يملك من قوة.

ويقتضي مبدأ اللذة هبوطاً شديداً في الحاجات الغريزية. وربما يقتضي زوال هذه اللذة نهائياً وتحقيق حالة النيرڤانا، وهي حالة إفناء للنفس وتحقيق لنزعة الموت والنكوص إلى اللاعضوية التي كان عليها كل الأحياء من قبل، إذ ترتبط غريزة الموت بعملية الهدم مثلما ترتبط غرائز الحياة بعملية البناء، وكلاهما تتحكم في عمليات الجسم الفسيولوجية وتنتهي بانتصار الهدم والفناء.

ويمثل الكره عامل الهدم والموت في الحياة النفسية، وهناك شَبَه بين الموت وهو الحالة التي تعقب الإشباع الجنسي، وقد يحدث الموت أثناء الاتصال الجنسي، لأنه بانصراف الغريزة الجنسية للإشباع

لا تجد غريزة الموت معارضاً لها، ومن ثم تجد الحرية الكاملة لتحقيق أغراضها.

وفي السادية يتحكم الجزء الهدّام من الغريزة في الأنا الأعلى ويتجه بالعدوان ضد الأنا وقد أصبح نفوذ غريزة الموت هو السائد الآن في الأنا الأعلى، وغالباً ما تنجح هذه الغريزة في دفع الأنا إلى طلب الانتحار.

ومن الممكن في العصاب القهري أن تتحول دوافع الحب إلى دوافع عدوانية تتجه ضد الموضوع بالنكوص إلى المرحلة السابقة على المرحلة التناسلية، وتتحرّر غريزة الهدم وتستهدف إبادة الموضوع وإفنائه.

ويتم الصرف في نشاط غرائز الموت داخل الكائن الحي بمزجها بالعناصر الجنسية أو بإخراجها إلى العالم الخارجي في صورة عدوان، ولكنها في الغالب تستمرّ في عملها من داخل الجسم إلى أن تعقد لها الغلبة في النهاية، إلا أن غرائز الحياة يتحقق لها الانتصار كذلك عن طريق الغرائز الجنسيَّة، وعن طريق استمرار الحياة الجنسيَّة في النَّسل.

مراجع

- Freud: Inhibition, Symptom and Anxiety, (1926)

: the Id and the Ego. (1923)

: An Outline of Psychoanalysis. (1938)

: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

❖ ❖ ❖

– الغيبة...

- Absence (E.; F.);...

- Abwesenheit (D.)...

الغيبة عن الشعور أو فقدانه لبعض الوقت نتيجة تصدّع أو تفكك في العمليات النفسية، ويظهر ذلك بدرجة خفيفة في حياتنا اليومية كما في الحالات الشبيهة بالنوم، فقد يحدث أن يرين الصمت على أحد الناس ويُنادى عليه فلا يجيب. ويبدو كالشارد أو الساهم، وقد يستمرّ ذلك

الثوران أو أكثر، وكما في حالات الجولان النومي الذي يتعطّل فيه الشعور مع بقاء القوة على الحركة نشطة. ويذكر فرويد وبروير حالات الغيبة عن الشعور في بداية تطويرهما لنظرية الهيستيريا، فقد نبّها إلى أن أهم أعراضها هو هذا الاضطراب في الشعور، ووصفاه بأنه عرض تحوّلي نتيجة الكبت الانفعالي.

❖ ❖ ❖

- ف -

حرف الفـاء

- الفاعلية أو الإيجابية أو النشاط...

- Activity (E.);...
- Activité (F.);....
- Aktivitat (D.)...

للمصطلح دلالة خاصة في التحليل النفسي، فالغرائز يمكن القول بأنها فاعلة Active، لأنها تمثّل الجانب الدافع في الكائن الحي. وقسّم فرويد الغرائز إلى غرائز إيجابية الهدف، وغرائز سلبية الهدف، وعرَّف إيدلبرج (١٩٥٤) الهدف الموجب بأنه إشباع غريزي يتحقق بفعل الفاعل، والهدف السالب هو الإشباع المتحقق من خلال الموضوع. واعتبر فرويد الإيجابية صنو الذكورة، لأن الذكر دوره إيجابي، كما اعتبر الإيجابية في الأنثى تعبيراً عن الجانب الذكوري فيها، إلا أنه فصل بين تلك الإيجابية الجنسية فيها وبين الإيجابية الأخرى التي تظهر عند البنت في لعبها بالدمى والعرائس، أو إيجابية الأم التي تعنى بأطفالها، فمثل هذه الإيجابية ليست مؤشراً على ذكورة فيها، ومع ذلك فالأنثى بشكل عام تسيطر عليها الأهداف الغريزية السالبة، وليس منه عناية الأم بطفلها.

ويستخدم فرويد إصطلاح الفاعل Active والعدواني Aggressive كمترادفين، وقد سبّب ذلك بعض سوء الفهم، فالسلوك يمكن أن يصنّف كسلوك عدواني رغم أنه سلبي، فمثلاً الرجل الذي يدعو فتاته إلى سهرة من السهرات ثم يجلس صامتاً طوال الليل، يعتبر سلوكه عدوانياً وسلبياً، فإذا طلب مراقصتها تنتفي عنه العدوانية وتتأكد الإيجابية فيه.

وكان فرويد في نظريته الأولى عن الجنس قد وصف الإيجابية والسلبية باعتبارهما قطبين بيولوجيين يسيطران على الحياة النفسية للكائن الحي. وفي نظريته الثانية عن الغرائز (١٩٣٣) أعطى دوراً أكبر للسلبية، بأنها مظهر من مظاهر الحاجة للعودة إلى الحالة اللاعضوية التي كان عليها الوجود، وهو ما يسميه ثاناتوس أو غريزة الموت أو الانتفاء، بينما ترتبط الإيجابية بالإيروس أو غريزة الحياة أو الحب والتخلّق.

ومن ناحية أخرى، ينسب فرويد نشاطاً أو فاعلية للأحلام، ففي النوم وإن كان النشاط النفسي المتصل بالعالم الخارجي يتوقف أثناءه، إلا أن هذا النشاط فيما يتصل بالعالم الداخلي للفرد لا يتوقف، حيث يبتعث اللاشعور نشاطاً نفسياً يختلف عن النشاط النفسي الشعوري الذي تتسم به حياة اليقظة، وهذا النشاط اللاشعوري له آلياته البدائية وقوانينه الخاصة.

مراجع

- Freud: New Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1933)

❖ ❖ ❖

– فروم، إيريك...

- Fromm, Erich...

(١٩٠٠ – ١٩٨٠) تعلم وتدرّب كمحلّل نفسي في جامعتي ميونخ وهايدلبرج، واتجه وجهة إشتراكية. وأوّل نظريات فرويد تأويلات يظهر فيها الاهتمام بالقضايا الاجتماعية، ولذلك فقد عاب على نظرية فرويد إنصرافها إلى دراسة المظاهر اللاشعورية عن المظاهر الشعورية الاجتماعية في الإنسان، فليس صحيحاً أن سلوك الإنسان يخضع لماضيه، وأن الحتمية البيولوجية هي التي تحدّد هذا السلوك سواء في الماضي أو في الحاضر، فالفرد إبن مجتمع، وهو صانع طبيعته، وليس تاريخ البشرية إلا من صنع الإنسان، ولذلك يحلّ فروم الخُلُق الاجتماعي محل الغريزة التي قال به فرويد، وهنا يبدو تأثير ماركس عليه أكثر من تأثير فرويد، وينبّه فروم إلى أن ظروف العصر عمّقت الفردية في الناس، ومعنى الفردية الحرية والمسؤولية، ومع الحرية والمسؤولية يكون القلق والتداعي بالاضطرابات النفسية، فليس صحيحاً أن الإنسان «مقدور» وإنما هو حر، ويقف الإنسان في مواجهة طريقين، إما أن يمارس حريته بفردية وأنانية وينخرط في التنافس فتكون النتيجة أنواع منحطة من الشخصيات كشخصية الانتهازي، وشخصية الأناني، وشخصية

الاستحوازي وهكذا، وإما أن يمارس حريته بشكل إبداعي ويتعاون مع الآخرين عن محبة وبعقلانية ويؤسّس لمجتمع صحي. وليس للمحبة التي يقول بها فروم المعنى الجنسي أو التناسلي (المعنى البيولوجي) كما عند فرويد، ولكنها محبة فيها الفهم للناس والتقدير لحاجاتهم والتآسي لأحزانهم والتآخي معهم وقت الشدة. وهذه المحبة هي الكفيلة برأب الصدع بين الأفراد وتجميعهم على أهداف واحدة. وممارسة العيش بأسلوب المحبة فن، ومن شأنها أن تخرج أفضل ما في الإنسان، وتتأكد بها فرديته واجتماعيته معاً.

مراجع

- Fromm: Psycho - analysis and Religion.

: Zen Buddhism and Psyshoanalysis.

: Man for Himself.

: Escape from Freedom.

❖ ❖ ❖

– فرويد: الأعمال...

- Freud: The Works (E.);...
- Freud: Les œuvres (F.);...
- Freud: Die Werke (D.)...

كان فرويد غزير الإنتاج، ثريّاً في كتاباته وأسلوبه النثري متميّز حتى أنه حصل على جائزة جوته في الأدب سنة ١٩٣٠، وقراءاته واسعة سواء في الأدب أو الأساطير، أو الفلسفة، أو العلوم بفروعها المختلفة كالفيزياء والفسيولوجيا والكيمياء، وله دراسات في التحليل النفسي تتصل بالآداب والفنون من قريب، وبحوثه التحليلية حول مشاهير الفنانين والأدباء مشهورة كتلك التي كتبها عن ليوناردو دافنشي، وعن النبي موسى، وعن جوته. وكان على دراية باللغات الإنجليزية والفرنسية، وقام بالترجمة منهما إلى الألمانية لبعض الأعمال المشهورة لكبار الفلاسفة والعلماء مثل جون ستيوارت مِلّ، ودرس اللاتينية والإغريقية، وكان يتحدث العبرية بحكم نشأته اليهودية، وعلّم نفسه الإيطالية

والإسبانية. وألزم نفسه بأن يكتب يومياً، إلا يوم السبت كعادة اليهود، والأحد كعادة الألمان. له نحو المائة وسبعة وثمانين مؤلفاً، بين المقالة والبحث والكتاب ومجموعة الخطابات، وكانت بحوثه تنشر تباعاً في الدوريات العلمية، وخاصة دوريات التحليل النفسي التي كانت تصدرها رابطة التحليل لنفسي الدولية. بعض مؤلفاته كانت محاضرات،ثم أعيدت كتابتها وترتيبها وصدرت ككتب، ونقدم في السطور التالية ثبتاً بأعماله الكاملة بعناوينها الإنجليزية كم جاءت في طبعة ستاندارد، والكتابات الأساسية لدار راندوم، ومجموع الأعمال الصادرة عن دار هوجارث، مع ملاحظة أننا وضعنا إلى جوار سنة الطبع الحرف a للطبعة الأولى، والحرف b للثانية وهكذا...

- Letters of Sigiiitiii(l Fi-eucl, edited by Ernst Freud. (1960 a)
- Tlie Origîns of Psychoanalysis, Letters to Willielm Fliess. Drafts an(l Notes. (1887- 1902) (1950 a)
- llysteria. (1888 b)
- Hystero - epilepsy. (1888 b)
- On the Psychical Mecliaiiism of flysterical llhenomena. Preleminary Coiiiiiiuiiicatioii in Collaboration with Joseph Breuer. (1893 a)
- On tlie Theory of llsytei-ical Attack. (1892)
- A Case of Successful 'l'i-eatnient by 1-lypnotism with some Remarks on tlie Oi-igin of llysterical Symptoms tlirough "Counterwili". (1892 - 1893 b)
- Soiiie Points in a Comparative Study of Organie and Hysterical Paralysis. (1893 c)
- Charcot. (1893 f)
- Lecture oii tlie Psycliical Meclianiism of Hysterical Plienomena. (1893 h)
- The Defence of Neuro - psychoses. (1894 a)
- On the Grounds for Detaching from Neurathenia a Particular Syndrome : The Anxiety Neurosis . (1894)
- Studies on Hysteria. (1895)
- A Reply to Criticisms of My Paper on Anxiety Neurosis. (1895)
- On Hysteria. (1895)
- lleredity and the Etiology of the Neuroses. (1896)
- Furtlier Remarks on the Defence Neuro- psychoses. (1896)
- The Etiology of flystei-ia. (1896 c)
- Sexuality in the Etiology of tiie Neuroses. (1898 a)
- The Psychical Mectiaiiisin of Forgettitig. (1898 b)
- Sereen Memories. (1899 a)
- Autobiograpiiical Note. (1899)
- A Premonitory Dream Fulfilled. (1899)
- Tlie Interpretation of Dreanis. (1899- 1900 a
- On tlie Dream . (1901 a)
- Tiie Psychopatliology of Everyday Life. (1901 b)

- Freud's Psyclioanalytic Pi-oceclure. (1904 a)
- A Note on Human Magnetisni. (1904)
- On Psychotherapy. (1904)
- Letters to Wilheliii Fliess. (1904 - 1906 e)
- Psychical Treatment. (1905 b)
- Jokes and their Relation to the Uncoiiscious. (1905 c)
- Three Essays on Sexuality. (1905)
- Fragment of an Analysis of a Case of Hysteria. (1901- 1905 e)
- My Veiws on tiie Part played by Sexuality in the Etiology of the Netiroses. (1906 a)
- Psychopatiiie Characters on the Stage. (1906)
- Letters to Arthur Schnitzler. (1906)
- Psyclioanalysis and tlie Establishment of Facts in Legal Proceedings. (1906)
- Delusions and Dreams in Jeiisen's Gradiva. (1907)
- Obsessive Acts ancl lZeligiotis Practices. (1907)
- Dreams on Folklore (in collaboration with D. E. Oppenheim) (1911)
- Letters to Theodor Reik. (1911 - 1938)
- The Dynamics of Transference. (1912 b)
- Types of Onset of Neurosis. (1912 c)
- The Most Prevalent Form of Degradation in Erotic Life. (1912d)
- Recommendations to Physiciar-s Practising Psychoanalysis. (1912 e)
- Contributions to a Discussion of Masturbation. (1912 f)
- A Note on the Uilconscious in Psychoanalysis. (1912 g)
- Paragraph in Offender Sprechsaal on Obervations of Coltus. (1912 h)
- Request for Examples of Childhood Dreams. (1912 i)
- Totem and Taboo. (1912)
- A Dream Which Bore Testiiiiony. (1913 a)
- Further Recommendations on the Technique of Psychoanalysis on Beginning the Treatment. (1913 c)
- The Occurrence in Dreams of Material From Fairy Tales. (1913d)
- The Theme of the Three Caskets. (1913 f)
- Infantile Mental Life. 'rwo Lies Told by Children. (1913 g)

- Ovservations and Exai-nples from Analytic Practise. (1913 h)
- The Disposition to Obsessional Neurosis. (1913 i)
- The Claims of Psychoanalysis to Scientific Interest. (1913
- Foreword to Bourke, Jolin Gregory, Scatologic Rites of ali Nations. (1913 k)
- Childhood Dreams of Special Importance. (1913 1)
- Fausse Reconnaissance (déjà raconté) in Psychoanalytie Treatment. (1914 a)
- The Moses of Michelaiigelo. (1914 b)
- On Narcissisi-n : An Introduction. (1914 c)
- The History of the Psychoanalytic Movement. (1914 d)
- A "Great Achievement" in a Dream. (1914 e)
- Some Reflections on Schoolboy Psychology. (1914 f)
- Further Recomi-nendations on the Technique of Psychoanalysis. Remembering, Repeating, and Working Through. (1914 g)
- From tlie History of an Infantile Neuroisis. (1914)
- Further Recominendations on the Technique of Psychoanalysis. Observations on Transference Love. (1915 a)
- Reflections on War and Deatii. (1915 b)
- Instincts and Tlieir Vicissitudes. (1915 c)
- Repression. (1915 d)
- The Unconscious. (1915 e)
- A Case of Paranoia Ruiining Counter to the Psychoanalystical Theory of the Disease. (1915 f)
- On Transcience. (1916 a)
- A Mytliological Ilai-allel to a Visual Obsession. (1916)
- A Coiiiiection Between a Symbol and a Symptom. (1916 c)
- Soine Character Types Met with in Psyclioanalytic Work. (1916 d)
- A Generai Introduction to Psychoanalysis. (1916)
- A Difficulty in the Path of Psyclioanalysis. (1917 a)
- A Childhood Recollectioii froiii Diclitung und Wahrlieit. (1917b)
- On Transforniation of Instinct as Exemplifed in Anal Erotism. (1917 c)
- A Meta psychological Suppleiiieiit to the Theory of Dreanis.

(1917 d)

- Mourning aiid Melancholia. (1917e)
- The Taboo of Virgiiiity. (1918a)
- Liiies of Advance in Psychoanalytic Therapy. (1919a)
- "A Chilci is Being Beaten" A Contribution to the Study of the Origin of Sexul Perversioiis. (1919e)
- The "Uneanny". (191911)
- E. T. A. Hoffinanii oi) tlie Funetions of Consciousness. (1919k)
- On the Teacliing of I"sychoanalysis at Universities. (1919
- The Psychogenesis of a Case of Hoinosexuality in a Woman. (1920a)
- A Note oii tlie Prehistory of the 'Ireclinique of Analysis. (1920b)
- Associations of a Four - year Old Cliild. (1920 d)
- Supplements to tiie Theory of Dreams. (1920 f)
- Beyond the Pleasure Principle. (1920 g)
- Memorandum on the Electrical Treatinent of War Neuroses. (1920) (1955 c)
- Group Psychology and the Analysis of the Ego. (1921 c)
- Psyclioanalysîs and Telepatliy. (1921 - 1941 d)
- Dreams and Telepathy. (1922 a)
- Certain Neurotie Mecliaiiisms in Jealousy, Paranoia and Homosexuality. (1922 b)
- Some Reniarks on tlie Unconscious. (1922 f)
- Why War? (1922 - 1933 b)
- Medusa's Head. (1922 - 1940 c)
- Two Encyclopaedia Articles. (1923 a)
- The Ego and the Id. (1923 b)
- Remarks on tiie Theory aiid Practice of Dream Interpretation. (1923 c)
- A Neurosis of Deiiioniacal Possession in the Seventeenth Century. (1923 d)
- Tlit Infantile Genital Organization of the Libido. (1923 e)
- Josef Popper - Lynkeus and tlie Tlieory of Dreams. (1923 f)
- Neurosis and Psycliosis. (1924 b)

- Tlie Econoniic Probleiii in Masochism. (1924 c)
- The Passing of the Oediptis Complex. (1924 d)
- The Loss of Reality in Neurosis and Psychosis. (1924 e)
- A Short Account of Psyclioanalysis. (1924 f)
- Coiiimiiiiicatioii of tlie Editor. (1924 li)
- An Autobiograpliical Study. (1924 - 1925 d)
- A Note upoii the "Mystie Writing Pad". (1925 a)
- To the Opening of tlie I-lel)rew Uiiiversity. (1925 c)
- 'I'he Resistances to Psychoaiialysis. (1925 d)
- Josef Breuer : Obituary. (1925 g)
- Negatioii. (1925 h)
- Some Additional Notes upon Dream Interpretation as a Whole. (1925 i)
- Some Psychological Consequences of the Anatomical Distinction Between the Sexes. (1925 j)
- Foreword to E. Píchworth Farrow's A Practical Method of Self Analysis. (1926 c)
- Inhibition, Symptom and anxiety. (1926 d)
- The Question of Lay Analysis. (1926 e)
- Psychoanalysis: Freudian School. (1926 f)
- Address to Members of the B'nai B'rith. (1926)
- Postscript to a Disussion on Lay Analysis. (1927 a)
- Postscript to my Paper on the Moses of Michelangelo. (1927 b)
- The Future of an Illusioit. (1927 c)
- Humor. (1927 d)
- Fetishism. (1927 e)
- A Religious Experience. (1928 a)
- Dostoyevsky and Parricide. (1928 b)
- Civilization and Its discoiitents. (1930 a)
- Address Delivered in the Goethe House at Frankfurt. (1930 a)
- Libidinal Types. (1931 a)
- Femai Sexuality. (1931 b)
- The Specialist Opinioii in tiie Haismann Case. (1931 d)
- The Acquisition and Controi of Fire. (1932 a)

- My Contact with Josef Popper - Lynkeus. (1932 c)
- New Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1933 a- 1932)
- Letters to Joseph Wortis. (1932 - 1935)
- Letter to Havelock Ellis. (1934)
- The Subtleties of a Parapraxis. (1935 b)
- A Letter on flomosexuality. (1951 a - 1935)
- A Distui-bance of Meiiiory on tlie Acropolis. (1936 c)
- Analysis Terminable and Interminable. (1937 c)
- Constructions on Analysis (1937 d)
- Moses and Monotheisin. (1937, 1939 - 1939 a)
- A Note on Anti- semitism. (1938 a)
- An outline of Psychoanalysis. (1938 - 1940 a)
- Some Elementary Lessons on Psychoanalysis. (1938 - 1940 b)
- The Splitting of the Ego in the Defensive Process. (1938 - 1940 e)
- Findings, Ideas and Problems. (1938 - 1941 f)
- Psychoanalysis and Faith. (1963 a)

- فرويد، أنّا...

- Freud, Anna...

(١٨٩٥ - ١٩٨٢) صغرى كريمات فرويد، وكانت شديدة الالتصاق به، وأخذت عنه اتجاهاته العلمية واهتماماته السيكلوجية، وظلّت ترعاه في مرضه منذ إصابته بالسرطان سنة ١٩٢٣ حتى وفاته في لندن سنة ١٩٣٩، وكانت الأمينة على تراثه، إشتغلت له سكرتيرة، وكانت تقرأ بحوثه في المؤتمرات الدولية نيابة عنه بالنظر إلى العمليات الجراحية التي أجريت في فكّه. وعملت أنّا لفترة من الزمن مدرِّسة أطفال، وكان اتجاه جماعة التحليل النفسي التي يتزعمها فرويد أن تنصرف العضوات من النساء إلى التخصّص في تحليل الأطفال، وهذا ما فعلته أنّا فرويد وميلاني كلاين، إلا أنه كانت هناك مدرستان في التحليل النفسي للطفل، إحداهما مدرسة أنّا والأخرى مدرسة ميلاني.

ويبدو أن فرويد في أول الأمر قد تكدّر لولادة أنّا ومجيئها أنثى، ولذلك أطلق عليها إسم أخته الكبرى. وكان يقول في تحليله لنفسه إنه لم يحب هذه الأخت التي ولدت عندما كان عمره سنتين ونصف، فاعتبرها مغتصبة لحنان أمه وثديها، وظل يناصبها العداء لهذا السبب. ونعرف من تاريخ حياة فرويد أنه لمن تكن هناك عواطف مشبوبة بينه وبين ابنته أنّا، إلا أنها كانت تفهمه، وكانت علاقتها به علاقة عقلية أكثر منها عاطفية. وكانت ترعاه كأستاذ لها، وقد كافأها فرويد بأن ساعدها على أن تمتهن التحليل النفسي، وأن تكون ضمن أعضاء جماعة التحليل النفسي بڤيينا، وأبدى الكثير من القلق عليها عندما قبض عليها الجستابو واستجوبوها. وانتخبت أنّا بفضل أبيها رئيساً للجماعة من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٢٨، ورئيساً لمعهد التدريب على التحليل النفسي بڤيينا، وكان أول بحث تقدمه والذي بمقتضاه اختيرت عضواً بالجماعة سنة ١٩٢٢ هو «أوهام الضرب وأحلام اليقظة Beatig Phantasies and DayDreams»، واضح فيه تأثير أبيها. وله هو نفسه بحث في أوهام الضرب عند الأطفال، وهذا البحث مواصلة لبحثه

السابق. وقامت أنّا بترجمة عدد من المؤلفات النفسية، منها كتاب ماري بونابرت «توبسي Topsy» وكتاب عزرا برلين «اللاشعور The Uconscious»، وساعدها فرويد نفسه فترجم لها فصلاً كاملاً وهو الفصل المعنون «صمويل بتلر»، وتلك أول مرة يعود فيها فرويد للترجمة بعد أن تركها منذ ترجمته لمؤلفات شاركو وبيرنهايم.

ويقول النقّاد إن أنّا فرويد تمثّل المدرسة الأوروبية للتحليل النفسي للطفل، بينما تمثّل ميلاني كلاين المدرسة البريطانية، وتخصّصت أنّا في الأطفال الكبار، بينما كان تخصّص ميلاني كلاين في الأطفال الصغار. وكانت توجهات أنّا توجهات بيولوجية مثل أبيها، وأسّست بالمشاركة مع دوروثي برلنجهام عدداً من دور الحضانة لأطفال اليتامى والمنكوبين والمهجّرين خلال الحرب العالمية الثانية، وكانت قد هاجرت وقتذاك إلى لندن مع أبيها. وأصدرت أنّا ثلاثة كتب بالاشتراك مع دوروثي، هي: «الأطفال زمن الحرب Children in Wartime » (١٩٤٢)، و«الأطفال بدون عائلات Infants Without Families» (١٩٤٣)، و«الحرب والأطفال War and Children» (١٩٤٣). وكانت قد شاركت في برنامج وعيادة هامبستيد لعلاج الأطفال قبل الحرب، وتوقف ذلك أثناء الحرب، ثم أعادت افتتاح البرنامج والعيادة بعد الحرب سنة ١٩٤٧، وظلت تشرف عليهما حتى وفاتها.

ويؤكد كتابها «الأنا والميكانيزمات الدفاعية» (١٩٣٦) على الاتجاه الجديد في التحليل النفسي، بإعطاء اهتمام أكبر لدور الأنا في الحياة النفسية وفي العلاج النفسي التحليلي، ويعتبر ذلك تطوّراً لمفهوم التحليل النفسي عند أبيها، وصادقت على النقد الذي يقول إن التحليل النفسي لا يمكن أن يصدق عليه إسمه إلا إذا اتجه إلى البحث في الأنا وعدم الاقتصار على الهو. وقالت فيما يتعلّق بتفسير الأحلام إن ترجمة الرموز وتأويلها قد يكشف الكثير من محتويات اللاشعور بدون أن يتحصل الفهم العميق لشخصية الحالم، وتحليل الميكانيزمات اللاشعورية التي يلجأ إليها الأنا هو الذي يمكن أن يطلعنا على التحوّلات التي طرأت على الغرائز عند المريض، وبدون

معرفة ميكانيزمات الأنا اللاشعورية التي يستخدمها المريض فإننا نكون قد عرفنا الكثير عن محتويات الرغبات والخيلات الغريزية المكبوتة، ولكننا لن نعلم إلا القليل، أو ربما لن نعلم شيئاً، عن التغيّرات التي ألمت بهذه الرغبات، والطرق المختلفة التي استطاعت أن تنفذ إلى نسيج الشخصية. ويتلخص دور المحلّل في إزعاج الأنا، باستثارة المكبوت وتدمير ما حاوله الأنا من تكوينات تصالحية، تعتبرمرضية ولكنها تمثل من وجهة نظر الأنا أنساقاً دفاعية يحاول بها أن يسيطر على الحياة الغريزية.

مراجع

- Anna Freud: the Ego and the Mechanisms of Defense. (1936)

: Aggression in Relation to Emotional Development . (1949)

: Indications for child Analysis. (1945)

❖ ❖ ❖

– فرويد والماركسية...

- **Freud and Marxism (E.);...**
- **Freud et Marxisme (F.);...**
- **Freud und Marxismus (D.)...**

ينتقد فرويد التفسير المادي لحركة التاريخ، ويأخذ على الماركسية إسقاطها للعامل النفساني، ويوافقها إلى حد محدود من حيث أن البناء الفوقي الفكري تؤسّس له العلاقات الاقتصادية التحتية، ويخالفها في أن النوع البشري لا يمكن أن تكون حياته كلها هي الحاضر الاقتصادي وحده، ويقول بسيكولوجية للأنا الأعلى قوامها الحاضر والماضي أيضاً، ومن ذلك تقاليد السلف وما استقرّ من قيم ومعايير ومؤسّسات إستمرت مع الإنسان عبر الأجيال، والماضي لا يتداعى للحاضر وتطوّراته إلا في بطء ولا يسلم له نفسه عن طواعية، وما دام الأنا الأعلى هو الذي يصل الإنسان بماضيه فدوره من أهم الأدوار في حياته، بصرف النظر عن ظروف الإنسان الاقتصادية. ولا يجعل

فرويد الاقتصاد أساس الاجتماع الإنساني، وإنما يجعله الأنا الأعلى، وهو قوام الجماعة السيكولوجية، والجماعة لا تستدمج فيها وسائل الإنتاج ولا قوانين التوزيع، ولكنها تستدمج شخصاً بعينه يكون بمثابة الأنا الأعلى لها، ويتقمّص أفرادها بعضهم بعضاً على أساس زعيمهم أو هذا الأنا الأعلى المشترك.

وفرويد لا يرى في التحليل النفسي فلسفة أو أيديولوجية كالماركسية، ولكنه يعتبره من فروع العلم، وهو كعلم يناهض الماركسية لأنها رؤيا يوتوبية مؤسّسة على اعتقادات مستقبلية ليست لها مواضعات من الواقع. وينكر فرويد على الماركسية جدلها الهيجلي ويتهمه بالغموض، وينكر عليها قولها بصراع الطبقات، ويؤكد أن عوامل النصر في حركة التاريخ كانت دائماً عوامل نفسية، كمبلغ العدوان المجبول في النفس، ودرجة التماسك الاجتماعي، وعوامل مادية كامتلاك الأسلحة الأمضى والأفتك، وتحكّم الإنسان في قوى الطبيعة، فذلك ما يؤثر حتماً في النظم الاجتماعية وفي حركة التاريخ، وليست الدوافع الاقتصادية هي الوحيدة التي تتحكّم في سلوك الناس في المجتمع. ولا شك أن الشعوب والسلالات يختلف سلوكها وإن تساوت في ظروفها الاقتصادية. وتسهم العوامل النفسية في التأسيس للظروف الاقتصادية، وفي توجيهها، وتحدّد أفعال الناس، ويعمل الإنسان في أية ظروف إقتصادية متمثلاً نزعاته الغريزية كغريزة المحافظة على النفس، وغريزة حب العدوان وغريزة الحاجة إلى الحب وداوفعه لالتماس اللذة واجتناب الألم. ثم إن جمهرة الإنسانية، وهي خاضعة للضرورات الاقتصادية، تتعاورها عمليات تطور ثقافي وحضاري تتأثر بكل ما سبق وهي مستقلّة في نشأتها عن الظروف الاقتصادية.

مراجع

- Freud: New Introductory Lectures on Psychoanalysis. (1932)

❖ ❖ ❖

– الفصام...

- Schizophrenia (E.);...
- Schizophrénie (F.);...
- Schizophrenie (D.)...

إستقدم بلويلر مصطلح الفُصام سنة ١٩١١ ليحلّ محل مصطلح العته الباكر الذي قال به كريبلين، وكانت لفرويد وجهة نظر دينامية بخصوص هذا المصطلح حيث اعتبر الحالات التي تندرج تحته، والتي يمكن أن تشمل حالات البارانويا، من متلازمة واحدة أطلق عليها إسم البارافرينيا Paraphrenia، ونبّه إلى أن للغة الفصامى وأعراضه وأفعاله معنى ودلالة يمكن فهمها في إطار عمليات التفكير الأولية، وتتصل عملياً بخبراته الحياتية. وفي بحوثه ومقالاته في الباثولوجيا النفسية (١٩١٤) حاول أن يرد الظواهر العصابية والذهانية إلى التغييرات غير السوية التي تطرأ على الليبيدو، واعتبر الذهان دفاعاً ضد الخبرات الصادمة التي تدفع بالمريض إلى الانسحاب من الواقع غير المحتمل.

وحتى في ما نشر من مقالات باكرة (١٨٩٤) أشار إلى ميكانيزم الإسقاط باعتباره الميكانيز الأساسي في الهذاءات شبه البارنية. وفي دراسته لحالة شريبر (١٩١١) قدم فرضيته الأساسية للبارافرينيا، وركز على عملية الانسحاب من الواقع والأعراض الصارخة التالية للفصام، وأولى الخطوات نحو ذلك هي سحب اللبيدو عن موضوعات العالم الخارجي وارتداده للأنا مما يسبّب ظهور السمات العُظامية. وترتبط أغلب الأعراض الصارخة بالخطوة الثانية، وهي التي تكون فيها محاولة استعادة التواصل مع الواقع وإعادة الجسور المقطوعة به، إلا أن ذلك يتم من خلال الهذاءات والهلوسات. وقد يزداد الأمر تعقيداً أن لا يكون انسحاب اللبيدو كاملاً وما يزال جزء من الأنا لم يلحقه الأذى. وعندما تبدأ عملية رأب الصدع بالعالم الخارجي لا يعود اللبيدو إلى شحن موضوعات حقيقية من العالم الخارجي وإنما يشحن الصور اللفظية في منظومة ما قبل الشعور دون الأشياء نفسها. وعندما أعاد فرويد صياغة

نظريته في الليبيدو والجهاز النفسي (١٩٢٠) تأثر بها فهمه للفصام، وحاول أن يمايز بين العصاب والذهان في ضوء المفاهيم الجديدة، باعتبار الأنا هو المسؤول عن السيطرة على المطالب الغريزية من الهو، وعلى متطلبات العالم الخارجي، وأي قصور في عمل الأنا قد يتسبّب في استحداث أعراض الفُصام.

مراجع

- Freud: the Neuro - psychoses of Defense. (1894)

: The Case of Schreber.(1911)

❖ ❖ ❖

– الفعل أو العمل أو التصرف أو النشاط...

- Action (E; F.)...

-Aktion (D.)...

هو منصرف للطاقة، ويتحكم فيه الأنا الشعوري واللاشعوري، ويذهب فينيخل (١٩٤٥) إلى أن أي فعل يتطلّب من الفاعل أن يكون متحكماً لما في جهازه الحركي، وأن تكون وظيفة الحكم عنده على قدر من التطوّر، بمعنى أنه يستطيع أن يتنبّأ بالمستقبل، وأن يختبر تصوّراته عنه قياساً إلى الواقع، بأن ينشّط باستمرار ويجرّب أن يأتي أولاً الأفعال البسيطة ويتطوّر منه إلى الأفعال الأكبر، وتلك وظيفة الأنا.

يقول فرويد إن نمط أية فاعلية نفسية هو نمط الفعل المنعكس Reflex act، فكل العمليات النفسية ليست في البداية إلا تنبيهات داخلية خارجية تنتهي بإثارات عصبية، وينتهي الجهاز النفسي نهاية حسيّة.

ويقال للفعل إنه عرضي أو غير قصدي Symptomatic or unintentional عندما يكون وقتياً ويُفهم على أنه قد وقع مصادفة، ومن ذلك زلاّت اللسان أو القلم أو الذاكرة، وأخطاء الكتابة، إلخ. والفعل الذي يتكرر مع الطفل ينطبع بطابع العادة act-habit، فطريقة تربية الطفل وتنشئته على أفعال معيّنة بتأثير الأم أو بحكم

العادات في البيئة تتكوّن بها سمات عميقة الجذور في الشخصية.

ويقول فرويد بما يسمى إخراج الفعل Acting out، وهو أن يسلك الشخص إجتماعياً بحيث ينفّس في الفعل عن رغبة مكبوتة، وإنما يأتي تعبيره لا بحسب الرغبة، وإنما كبديل عنه يصرف فيه طاقته المحبوسة. فالشُرطي الذي ينفعل بتوبيخ رئيسه قد يخرج إلى الشارع فيصرخ في المارة ويسيء معاملتهم، وقد يعبر المريض في جلسة التحليل داخل الجلسة وليس في الخارج بعيداً عن رقابة المحلل، كأن ينهض مثلاً ويخطو خطوات، أو يمسك بكتاب يعبث به وينحيّه عنه واللوازم العصبية من نوع الإخراج ولكنه إخراج عصبي Neurotic-acting- out.

والفعل المرجأ Deferred action قال به فرويد، فالتجارب الصادمة التي تحدث للأطفال تترك انطباعات معيّنة لا تكون لها نتائج ملية إلا من بعد، ويضرب فرويد المثل بحالة ما يسميه الرجل الذئب Wolf man، ويذكر هذا الرجل أنه وكان عمره نحو السنتين شاهد أباه يضاجع أمه، ولم يفهم ما يفعلان، وحدثت له من بعد خبرات أحيت ذكرى هذا المشهد وأعطته معانٍ لم تكن له تأثر بها سلوكه كراشد، ويقول فرويد إن تهديدات الأب بإيذاء إبنه الطفل (إخصائه) لها آثارها السلبية عليه، والأفعال التي تترتب عليه مرجأة، أي تأتي من بعد.

والفعل الرمزي Symbolic action من الأفعال اللاشعورية والتي تتم أوتوماتيكياً، وهو فعل عارض أي يجري بالصدفة، كأن يلهو البعض بشاربه أو يخش بنقوده المعدنية في جيبه، أو يسوّي ملابسه، وكلها أفعال لها معانيها الخبيئة، ومع ذلك إذا سئل فاعلوها عن ذلك أجابوا إنها مجرد عبث ولهو. ويُروي في ذلك أن أحدهم زار صديقاً وكان معه معطف يحمله على ذراعه، ولما خرج نسي المعطف، فناداه فعاد وظلا يتحدثان، ثم خرج ونسي المعطف فناداه فعاد، وقال إنه تذكر أن يسأله عن شيء، ثم خرج ثالثة ونسي المعطف فناداه فعاد ضاحكاً وقال إنه معطف صهره عليه أن يحمله إليه، وكان واضحاً أنه متضايق من ذلك، ولعله لهذا السبب نسيه ثلاث مرات (Brill A.: Basic Principles of Pscyhoanalysis.).

والفعل الآلي Automatic action يأتيه المرء بلا وعي منه، والأعراض الكتاتونية يمكن أن نقول إنها أفعال آلية. وإذا كانت الأفعال الآلية تؤدّي بغير وعي ودون أن يتذكر الفاعل أنه أدّاها فإنها تكون حينئذ أفـعـال دون شـعـوريـة Subconscious actions. والفعل الآلي لأن لآلية صفته لا يمكن أن يأتي على صورة كاملة لتكون له واقعة سيكولوجية، ولذلك فقد يُسمَّى مثل هذا الفعل بأنه «شبه فعل quasi action» ويُطلق عليه أيضاً فعل لعبي Ludic action أو نشاط لعبي Ludic activity، لأنه فعل ناقص، والنشاط الذي بذل فيه لم يكن كافياً.

مراجع

- Fenichel, O.: The Psychoanalytic theory of Neurosis. (1945)

-Freud: New Introductory lectures on Psychoanalysis (1933)

❖ ❖ ❖

- فليس، وليام...

- Fliess, Wilhelm...

(١٨٥٨ - ١٩٢٨) صديق فرويد مدة إثنتي عشرة سنة، ويُشير المؤرّخون إلى هذه الفترة باسم فترة فليس The Fliess period، وكانت من الفترات الحافلة بالأحداث، ولها كبير الأثر في حياة فرويد، وتكشف عن كثير من الأسرار التي تهم الباحث العلمي، والمتتبع لسيرة فرويد، والدارس لنواحي شخصيته، ويصفها المحلّلون بأن فرويد كان فيها تحت تأثير فليس مع أن فليس كان يصغر فرويد بسنتين، حيث أن فرويد من مواليد ١٨٥٦، ومع ذلك كان فليس الأقوى شخصية، وكان فرويد يلجأ إليه في الملمات، وكان يراسله كما لو كان فليس والداً بديلاً، وكان فرويد منبهراً به بشدة ومأخوذاً بعلمه الواسع وثقافته الإنسانية الجمَّة. ولما انتهت علاقتهما قيل إن فرويد أحرق خطابات فليس إليه، إلا أن فليس بعد وفاته لجأت زوجته إلى بيع خطابات فرويد إليه، وعرضتها على ناشر ألماني،

وباعها بدوره بمبلغ مائة جنيه سترليني إلى ماري بونابرت، وحافظت عليها مدام بونابرت ثم أسلمتها إلى أنّا فرويد وإرنست كريس، وهذان اصطفيا منها ما يهم تاريخ حركة التحليل النفسي وقاما بنشرها. والخطابات فيها توصيف دقيق لمرض فرويد بالعصاب الذي أطلق عليه إسم عصاب الهيستيريا الحصرية، وكانت تنتابه حالات من الاكتئاب، ثم حالات من الانفراج النفسي، وحفلت هذه الفترة من حياة فرويد بالاكتشافات العلمية والكتابات الكبيرة الشأن، وقيل كانت الفترة من ١٨٩٧ حتى ١٩٠٠ أزهى فترة في حياة فرويد. ويصف النقّاد صداقة فرويد بفليس بأنها صداقة عصابية فقد كان الإثنان في حاجة إلى أن يسمع كلاهما لصاحبه، وأن يبدي إعجابه به، وأن يبادله الآخر التأثر. وفي هذه الفترة بدأ فرويد يحلّل نفسه ويحلّل أحلامه، وذكر عن مرضه النفسي أنه الخوف من الموت أو حصر الموت Todesangst، فقد تواكبت عليه الشكاوى البدنية من كل نوع، وتوفي الكثيرون من أقربائه وأصدقائه، وكان يتوقع الموت في كل لحظة ويؤرقه أن يموت في عمر صغير، كما كان به ما أطلق عليه إسم حصر السفر بالسكة الحديد Reisefieber، وقد استبقى منه بعد إبلاله القلق من أن يفوته القطار فكان يدأب على التوجّه إلى محطة سكة الحديد بنحو ساعة قبل وصول القطار.

وكانت هناك مشابهات كثيرة بين فرويد وفليس، فكلاهما من أسرة يهودية بورجوازية، وكلاهما اتجه لدراسة الطب لهذا السبب، وكلاهما تزوج زوجة غنية، وكلاهما ينتمي لمدرسة هيلمهولتس في الفيزياء والفسيولوجيا. وقيل إن فرويد كان يعمل من فترة في معمل إرنست بروك، وكان شديد التأثر به، وكان له بمثابة الأنا الأعلى، فلما ترك المعمل ظل يلتمس شخصية تكون له سنداً مثلما كان بروك، وأنه وجدها في فليس. ويصف إرنست جونز هذه العلاقة بأنها ثمرة المراهقة الفكرية لفرويد، غير أنها مراهقة متأخرة Delayed Adolescence لم تظهر إلا في الثلاثينات واستمرت معه حتى الأربعينات، وكان فيها فرويد في حاجة ماسة لفليس وجدانياً وفكرياً.

والبعض يحلّل هذه العلاقة ويردها إلى لواطة كامنة في فرويد، وكان هو نفسه يصف لقاءاته بفليس بأنها لقاءات جماع علمي Scientific Intercourse، وتنبيء خطابات فرويد لفليس بذلك، وفيها يشكو فرويد لفليس عذابات وجدانية تجاهه كعذابات العاشقين. ويرد البعض هذه العلاقة إلى أن فرويد كان في هذه الفترة «تابعاً»، وأنه كان «يعتمد» علمياً على بروك، فلما انفصمت علاقتهما لم يجد من يحل محله إلا فليس فتمسّك به، وكان فليس بالنسبة له الناصح والمرشد، وكان بتعبير النقّاد بمثابة «الرقيب» على حركاته وسكناته.

وفليس، برغم أن حوارييي فرويد يقلّلون كثيراً من أهميته لفرويد وأصالة أفكاره، إلا أنه كان هو نفسه عالماً كبيراً وله نظرية ومؤلفات، ومن ذلك كتابه «الأساس لعلم أحياء خاص». ولقد أقرّ مؤرّخو فرويد بأن فرويد قد أخذ نظريته في الثنائية الجنسية من فليس، وكانت القطيعة بين فرويد وفليس حول أسبقية فليس في الكشف عن نظرية الثنائية الجنسية، ومديونية فرويد لفليس بشأنها.

كما يقرّ مؤرّخو فرويد بمديونية فرويد لفليس بنظرية الأطوار النفسية الجنسية، والنظرية الجنسية، وفكرة فترة الكمون، وفكرة التسامي. والفرق بين حديث فليس في كل ما سبق وحديث فرويد فيه أن فرويد كان يتناول هذه الأطروحات أو المقولات من وجهة نظر نفسانية خالصة، بينما كان فليس يتناولها من وجهة نظر بيولوجية. وكان فليس عالماً بيولوجياً لا شك في ذلك، وكان يزوّد فرويد بالصيغ العلمية الخالصة أو البناء العلمي للبنية السيكولوجية البعدية التي يقيمها على أسس فليس العلمية، وتعبير فليس في ذلك أن نظريته بمثابة كيمياء جنسية Sexual chemistry، واقترح لذلك فرويد أن يكتبا معاً كتاباً واحداً يضم التناولين الكيميائي والنفسي للنظرية الجنسية، وكان ذلك سنة ١٨٩٤.

ولعلّ أفضل ما كتب فليس هو مؤلفه «إيقاع الحياة Der Ablauf des Lebens» الذي صدر له سنة١٩٠٦، وكان له صدى كبير في الدوائر العلمية في برلين وڤيينا، وكان فيه فليس متأثراً بالفكر اليهودي القبالي بالتفسير العددي فيما يعرف

باسم علم العدّادين numericalism، وكان يقول إن الحيض يأتي النساء في شكل دورات ويُسمّى لذلك الدورة الشهية، وهي شهرية بمعنى أنه يأتيهن كل ٢٨ يوماً، وأن هذا النزف الدموي عندهن يتوافق مع نزف أنفي مخاطي،فهناك علاقة بين التهابات الأنف والتمخّط وبين التهابات الرحم في الدوة الشهرية والتدمم، وأن الأنف يتورّم خلال الدورة والحمل وأثناء التهيّج الجنسي، وتورّمه مؤشر لذلك، وأعلن فليس عن كشفه لمتلازمة جديدة أطلق عليها إسم عصاب الانعكاس الأنفي Nasal reflex neurosis وتشمل أعراضه الصداع، والألم العصبي المنتشر من منطقة القلب إلى المنطقة القطنية، ومن الذراعين إلى المعدة، والاضطرابات الدالية للهضم والدورة الدموية والتنفّس. وقال إن الأعراض إما عضوية الأسباب (عقابيل عدوى) أو نفسية الأسباب (إضطرابات وعائية حركية أصلها جنسي)، وقد وجد فرويد أن هذا العصاب الذي يقول به فليس شديد الشبه بعصاب النهك، وهو من الأعصبة التي أطلق عليها فرويد إسم العصاب الواقعي أو الفعلي Actual neurosis. ويرجع فليس سوء الطمث إلى أسباب أنفية، ويقول إن ظاهرة الطمث نفسها من الظواهر التي تؤكد ما يسميه الدورية Periodicity التي تحكم كل نواحي الحياة الكونية، وذهب إلى ردّ هذه الدورية إلى العددين ٢٨ و٢٣ باعتبار العدد الأول هو رمز للدورة الحيضية، وهي الدورة المتحكمة في عملية الخلق التالية عليها. وقال إن الانسان سواء كان أنثى أو ذكراً، به من الذكورة والأنوثة معاً، وأن العدد ٢٨ يرمز إلى المكوِّن الأنثوي فيه، بينما العدد ٢٣ يرمز للمكون الذكوري. وقال إن الأطوار أو الفترات الجنسية هي ظاهرة حيوية تميّز مراحل تطورنا منذ أن نكون أجنة وقبل ذلك، وإلى أن نولد ونكبر ونراهق ونبلغ الصبا والشباب والكهولة إلى أن نموت، وأن دورات الأم الجنسية هي التي تحدد نوع الجنين وتاريخ ولادته، وأن هذه الدورات تعمل عملها في كل الحيوانات والطيور والحياة العضوية، وليس ذلك فقط بل إن هذه الأعداد نفسها تربط بين الظاهرة البيولوجية والظاهرة الفلكية وحركة

الكواكب كالقمر (علاقة الدورة الشهرية بالدورة القمرية مثلاً).

❖ ❖ ❖

- الفوبيا أو الخواف أو الرهاب...

- **Phobia (E.)...**
- **Phobie (F.; D.)...**

يقسم فرويد القلق العصابي إلى ثلاثة أنواع أو أشكال: أوّلها هو التوجّس العام الهائم الطليق ويسميه قلق أو حَصَر التوقع Expectant dread كالذي يظهر في عصاب القلق، والشكل الثاني هو الخوافات أو الرهابات أو الموجسات كما تترجم أحياناً، وهي مخاوف تتصل بالأخطار الخارجية ويشتط فيها القلق الذي يستشعره المريض، والشكل الثالث هو نوع القلق الذي يتولّد في الهيستيريا.

وأول الأعصبة التي تصيب الأطفال هو من نوع الخوافات، كالخوف من الحيوانات، أو من الأماكن الفسيحة، أو المرتفعة، أو الأماكن المغلقة، أو الماء. ويذكر فرويد أن ستانلي هول - عالم النفس الأمريكي الشهير - قدّم سلسلة بأسرها من هذه الخوافات أو الموجسات تحمل أسماء يونانية أنيقة، شبيهة في جرسها بالأسماء التي تطلق على «نِقَم مصر العشر»، إلا أن عددها يزيد على العشرة بكثير، ومما يمكن الخوف منه الظلام، والهواء الطلق، والقطط، والعناكب، والثعابين، والفئران، والرعد، والأسنان المدببة، والدم، والجماهير، والوحدة، وعبور الجسور، والفر براً أو بحراً، إلى غير ذلك. ومن الثابت أن خوافات معيّنة كخواف الأماكن المفتوحة ، وخواف السفر بالسكة الحديد، لا تكتسب إلا في سن النضج والكِبَر، في حين أن خوافات أخرى كالخوف من الظلام والرعد والحيوانات يبدو أنها تظهر منذ السنوات الأولى من العمر، فأما الأولى فتدلّ على أمراض خطيرة، وأما الثانية فتبدو كخصال وطباع غريبة.

ويميّز فرويد بين فئات ثلاث من الخوافات، الأولى موضوعات لها طابع بشع مستكره حتى بالنسبة للأسوياء، ولا

تبدو لذلك مستغربة وإن كانت تظهر بدرجة مسرفة في الشدة، ومنها الخوف الذي يتسم بالنفور والتقزّز من مثل الثعابين، ويمكن أن يُقال إن خواف الثعابين هو عصاب عام يشمل الجنس البشري كله، وكان داروين يبدي الكثير من هذا الخواف كلما رأى الثعبان يزحف إليه وإن كان بينهما حاجز سميك من الزجاج. والفئة الثانية مواقف بينها وبين الموضوعات الخطرة صلة، كالسفر بالسكة الحديد وما فيه من مخاطر الاصطدام، والسفر بالسفن والخوف من أن تغرق فنموت غرقى. وما يبدو مستغرباً في هذه الخوافات ليس موضوعها وإنما هو شدتها. والفئة الثالثة يبدو الخوف فيها مستغرباً، فقد يبدو من غير المعقول أن يخاف الرجل الطويل العريض من الفأر مثلاً، أو من الصرصار، وأمثال هذه الموضوعات لا يمكن القول إن الناس يشتركون جميعاً في الخوف منها.

ويدرج فرويد الخوافات في نطاق الهيستيريا الحصرية، ويعتبرها وثيقة الصلة باضطراب الهيستيريا التحوّلية، وأتاحت له الحالة المعروفة باسم حالة هانز الصغير أن يميّز الخوف المرضي كحالة مرضية مستقلة يخصّها باسم العصاب الخوافي ويؤكد تشابهها البنيوي مع الهيستيريا التحوّلية، وكان هانز يشكو أنه يخاف أن تعضه الخيل، وقد ثبت أن الحصان كان عنده بديلاً عن الأب، وهو تعبير عن الصراع الناشىء عن التناقض الوجداني عند الطفل إزاء الأب، وتحوّل به الصراع عن الأب إلى البديل عنه. وفي حالة رجل الذئاب كان هذا الشاب الروسي يخاف الذئاب، وكان الذئب أيضاً بديلاً عن الأب، والخوف من نزو الذئاب كان نكوصاً إلى مرحلة الطفولة حيث فكرة أكل الأب للطفل هي تعبير عن دوافع حب سلبي ويرتبط بالخوف من الخصاء. وليس عض الحصان في حالة هانز، وافتراس الذئب في حالة رجل الذئاب إلا تحريفاً أو بديلاً للتصوّرات الطفلية بأن الأب يمكن أن يقوم بإخصاء الإبن.

مراجع

- Freud: Analysis of a Phobia in a Five - year -Old Boy. (1909)

❖ ❖ ❖

– الفيتيشية...

- Fetishism (E.);...
- Fétichisme (F.);...
- Fetischismus (D.)...

يصف فرويد الفيتيشية بأنها حالات «عجيبة جداً» من الانحرافات الجنسية، يُستبدل الموضوع الجنسي فيها بموضوع آخر يرتبط به بعض الارتباط ولكنه لا يصلح بتاتاً ليكون الهدف الجنسي الطبيعي. والذي يُستبدل بالموضوع الجنسي هو جزء ما من البدن، مثل القدم أو الشعر، يكون على وجه عام غير مناسب للأغراض الجنسية، أو يُستبدل بشيء جماد يرتبط بالشخص الذي يحلّ محله ارتباطاً واضحاً، وبناحيته الجنسية على وجه الخصوص، كأن يكون قطع ثياب أو قطعة من الملابس الداخلية. ومثل هذه الأشياء البديلة تشبه الفيتيشات التي يعتقد الهمج أن آلهتهم تتجسّم فيها. والانتقال إلى هذه الحالات الفيتيشية التي يتم فيها التخلّي التام عن الهدف الجنسي، سواء كان سوياً أو منحرفاً، إنما يحدث في حالات أخرى يكون المطلوب من الموضوع الجنسي فيها أن يستوفي أحد الشروط الفيتيشية، كأن يكون لوناً خاصاً للشعر، أو بعض الملابس الخاصة، أو بعض العيوب البدنية أيضاً، حتى يمكن تحقيق لهدف الجنسي. ولا توجد حالة أخرى كهذه الحالات الفيتيشية تتغير فيها الغريزة الجنسية تغيراً يقرب من الحالات المرضية. ويبدو أن سببها هو ضعف الدافع نحو الهدف الجنسي السوي، أو الضعف في الأداء الجنسي. ويبين وجه الشبه بين الحالات الفيتيشية والحالات السوية في التغالي السيكولوجي أساساً في تقدير الموضوع الجنسي حتى أنه ليمتد إلى كل شيء يرتبط به، وعلى ذلك فهناك درجة من الفيتيشية في الحب السوي، وعلى الأخص في مراحله التي يبدو فيها أن الهدف الجنسي لا يمكن بلوغه، أو أنه أعيق تحقيقه. ويستشهد فرويد ببيتين من الشعر لفاوست عن جوته: «جئني بمنديل من صدرها، أو بربطة الساق التي تضغط على ركبتها...». وتصبح الحالة مرضية إذا تجاوز الاشتياق للفيتيش مجرد أنه

مرتبط بموضوع الحب، ويحلّ فعلاً محله، وكذلك عندما ينفصل الفيتيش عن موضوعه ويصبح هو الموضوع الجنسي الوحيد.

وكان بينيه في كتابه «دراسات في علم النفس التجريبي: الفيتيشية في الحب» (١٨٨٨) أول من نبّه إلى أن عملية اختيار الفيتيش تبدأ مبكرة مع الطفولة، ويشبّه فرويد ذلك بالمأثورة التي تقول إن الناس يعودون دائماً إلى حبهم الأول. وتظهر هذه العلاقة بوضوح في الحالات التي يرتبط فيها الحب بموضوع فيتيشي. ويؤيد فرويد رأي بينيه أن بداية التعلّق الفيتيشي تظهر قبل السن الخامسة وليس بعد ذلك كما يقول نقّاد بينيه، ويقول إن الفيتيش بالنسبة لمرحلة الطفولة الباكرة كالذاكرة الحاجبة، أي أن أثرها يبقى وإن تنوسيت أسبابها، ويرى أن اختيار الفيتيش ذاته أمر يتعلّق بالتكوين النفسي للشخص. ومن رأي فرويد أن الفيتيش في بعض الحالات يكون ارتباطه بالموضوع إرتباطاً فكرياً رمزياً غير مشعور به، وأنه من الصعب لذلك تحديد طبيعة إرتباط الفيتيش بالموضوع في كل مرة، فالقدم مثلاً رمز جنسي قديم وموجود في الأساطير ولا يعرف سبب اختياره كفيتيش، ولكن الفرو مثلاً يعرف سبب اختياره لأنه يرتبط بجزء جنسي من الجسم وهو شعر العانة. وأمثال هذه الرمزيات ليست لها أصول من الخبرة الجنسية في الطفولة.

وينسب فرويد الفيتيشية كذلك إلى عدم إدراك المريض لحقيقة أن النساء ليس لديهن قضيب، فهذه الحقيقة غير مقبولة عنده بتاتاً لما تتضمنه من احتمال أن يكون هو نفسه مخصياً، وهو لذلك يرفض الاقتناع بصحة إدراك حواسه التي تبين له عدم وجود القضيب في أعضاء النساء التناسلية، ويتمسّك بالرأي المضاد، وذلك من باب انفصال الأنا عنده عن الواقع، ومع ذلك فهو على غير درجة من الشجاعة تجعله يجزم يقيناً أن المرأة تخلو من القضيب، وبدلاً من أن يتمسك بأن لها قضيباً يستبدله بشيء آخر كجزء من بدنها أو متعلقاته، وينسب إليه دور القضيب الذي يهواه فيها. ويحدث أن يكون تعلّقه بهذا الشيء نتيجة خبرة سابقة رأى فيه عضو المرأة التناسلي

مرتبطاً ظهوره بظهور شيء مادي يصبح عنده رمزاً للقضيب عند المرأة. ويعتبر فرويد هذه العملية المصاحبة لتكوين الفيتيش كأنها انقسام في الأنا. أو بالأحرى هي توفيق يُستحدث بالإبدال كما في الأحلام. وربما يكون الاعتقاد في الفيتيش أصلاً كمحاولة لإبعاد أي احتمال لحدوث الخصاء عند المرأة، وبذلك يمكن التخلّص من فكرة الخصاء عموماً، وذلك لأن الفيتيشي يخاف من الخصاء ويستجيب له بالطريقة نفسها التي يستجيب بها غير الفيتيشي، ولذلك يمكن تفسير سلك الفيتيشي بفرضين متناقضين، فمن جهة ينكر أنه مدرك لعدم وجود القضيب في أعضاء المرأة التناسلية، ومن جهة يدرك أنه ليس للنساء قضيب، ويستمرّ الفرضان معه طوال حياته دون أن يؤثر أحدهما على الآخر، ولهذا يطلق فرويد على ذلك انقساماً في الأنا عند الفيتيشي، ويفسّر به أن الفيتيشية تظهر عند الفيتيشي جزئياً ولا تتحكم في اختيار الموضوع الجنسي بطريقة مطلقة، ولكنها تترك مجالاً للسلوك الجنسي العادي بشكل أو بآخر، وقد يكون تأثيرها متوسطاً، وقد تضيق دائرتها فتظهر كمجرد تلميح، لأن الفيتشي لا ينجح تماماً في أن ينفصل الأنا عنده عن الواقع الخارجي.

مراجع

- Binet, A.: Études de Psychologie Expérimentale. Le Fétichisme dans l'Amour. (1888)
- Freud: Three Essays on the Theory of Sexuality. (1915)
: An Outline of Psychoanalysis. (1938)

❖ ❖ ❖

– فيرينزي، ساندور...

- Ferenczi, Sandor...

(١٨٧٣ – ١٩٣٣) كان كما وصفه فرويد أذكى جماعة التحليل النفسي وأكثرهم ثقافة، وكان قد قرأ لفرويد كتاب تفسير الأحلام فراسله، ودعاه

فرويد لزيارته، وكانت أول زيارة لبيت فرويد سنة ١٩٠٨، ومنذ ذلك الحين صارت صداقتهما مضرب الأمثال، وظلا يتراسلان حتى سنة ١٩٣٣، حتى قيل إن رسائلهما بلغت ألف رسالة، وما زالت جميعها موجودة، وكلها تناقش مسائل علمية وتنظيمية لحركة التحليل النفسي، واختصه فرويد بحبه حتى كان يناديه إبني فيرينزي.

وفيرينزي يهودي مجري، دراسته طبية، وكان يمارس العلاج النفسي بالإيحاء من خلال التنويم، ودرّبه فرويد على التحليل النفسي، وأخضعه للتحليل، ولعب دوراً كبيراً في حركة التحليل النفسي حتى كاد يخلف آيتنجون على دولية التحليل النفسي، لولا انشقاقه عن فرويد وقوله بطريقة جديدة في العلاج بالتحليل النفسي، إعتبر نفسه بها خارجاً على دائرة الآراء المعترف بها، ومن ثم لم يجد أنه يحق له أن يرشح نفسه لرئاسة الدولية. وكان فيرينزي مع فرويد في رحلته إلى أميركا، واقترح عليه تشكيل لجنة من صفوة خلصاء فرويد لتناقش وتدعو وتواصل عمل فرويد، كما اقترح أن لا تُلقَى بحوث في المؤتمرات الدولية لجماعة التحليل النفسي إلا إذا قرأها رئيس الدولية وأقرها.

وأطلق فيرينزي على طريقته التي خالف بها فرويد إسم العلاج الفعّال Active therapy، وكان في أول الأمر شديد التعصّب لطريقة فرويد ويحظّر على المريض أي نشاط جنسي من أي نوع خلال العلاج، إلا أنه لم يجد جدوى لهذا التشدّد، فذهب إلى النقيض، وأباح للمريض كل شيء، ونصح بأن يكون المعالج للمريض كالأم. وكان فيرينزي يبالغ في المودة للمريضات حتى أنه ليسمح لهنّ بتقبيله، ويسمح لنفسه بتقبيلهن، ولكنه لم يكن يعلن عن هذا الجانب الشهوي من العلاج، ويخفف أمره عن أقرانه، وقد أرسل له فرويد خطاباً شديد اللهجة يعاتبه فيه على هذه الإباحية، ويتهمه صراحة أن المعالج الذي يسمح لنفسه بتقبيل المريضات قد يتمادى أكثر ويسمح لنفسه بأكثر من ذلك، وتساءل فرويد ولِمَ لا؟ ألم تستبح التقبيل فلماذا لا تتقدم خطوة أكثر، وهكذا؟ وكان هذا الخطاب هو الفيصل في العلاقة بينهما،

وانتهت به صداقة دامت نحو العشرين سنة، بدأت تتهافت منذ سنة ١٩٢٧ وانتهت تماماً سنة ١٩٣٣، وكان فيرينزي قد ظهرت عليه بوادر التداعي بالمرض العقلي البارانويا، وكان كثير الاتهام لمن حوله ويهددهم بالقتل، وتوفي فجأة. ويبدو أن اهتماماته الجنسية كانت منذ ممارسته للطب بعد تخرجه مباشرة، فاشتغل بالكشف على المومسات، وكتب كثيراً في اللواط عند الإناث والذكور، وفي الجنس عند المرأة، ومؤلفه الرئيسي هو مقاله المعنون «ثالاسا أو النظرية التناسلية Thalassda: A Theory of Genitality». و«ثالاسا» كلمة يونانية تعني البحر، والمقال يقدم به لنظرية متكاملة يطلق عليها إسم التحليل الحيوي Bioanalysis يجمع فيها بين المنهجين النفسي والحيوي، ويرد بها الظواهر النفسية إلى التأثيرات الحيوية والتغيّرات البيولوجية.

ويُعتبر فيرينزي كما سبق أن قلنا، المؤسّس الحقيقي للطريقة التفاعلية في العلاج، بتأكيده على العلاقة الخاصة بين المعالج والمريض، وكان أيضاً المؤسّس الحقيقي للعلاج بالتمثيل - أي تمثيل الأحداث التي وقعت للمريض، وكان يجاري المريض في تمثيلياته، فإذا سلك المريض كأنه طفل سايره في ذلك وعامله كطفل، ودلّله وجاراه في ألعابه بالدمى أو غيرها، إعتقاداً منه أن التنفيس هو الذي يستحدث العلاج ويحققه. وهذا التورّط في علاقات خاصة بين المعالج والمريض هو الذي لم يعجب فرويد، وأخذه عليه الفرويدون، ومع ذلك فقد طوّره تلاميذه والمتابعون لطريقته بعد وفاته، مؤكدين على أثر إظهار المعالج للمحبة للمريض، أو إظهار الاهتمام به وبأموره. وقيل عن طريقة فيرينزي إن لها سلبيات وإيجابيات، ولقد حقّقت فعلاً نتائج باهرة، إلا أننا لا ينبغي أن نفهم أن ما استحدثه فيرينزي كان خروجاً على نظرية فرويد، فالواقع أنه ظل طوال حياته ملتزماً النظرية، وانحصرت مستحدثاته في طريقة العلاج فقط، رغبة منه في اختصار الوقت وتقليل النفقة على المريض، والقضاء على مقاومة المريض للعلاج، أو مقاومته لتذكر خبراته المؤلمة الصادمة.

مراجع

- Ferencszi: The Analytic Interpretation and Treatment of Psychosexual Impotence. (1916)

: Introjection and Transference. (1916)

: On Obscene Words. (1916)

: On the Part Played by Homosexuality in the Pathogenesis of Paranoia. (1916)

:Transitory Symptom - Constructions during the Analysis. (1916)

:Stages in the Development of the Sense of Reality.(1916)

: Sunday Neuroses. (1919)

- Ferenczi & Rank: the Development of Psychoanalysis. (1925)

- Ferenczi: Psychoanalysis of Sexual Habits. (1925)

: Contributions to the Theory and Technique of Psychoanalysis (1925)

: The Principles of Relaxation and Neocatharsis. (1930)

: Further Contributions to the Theory and Technique of Psychoanalysis. (1950)

❖ ❖ ❖

- ق -

حرف القاف

– القابلية للتصوير...

- Representability (E.);...
- Figurabilité (F.);...
- Darstellbarkeit (D.)...

يطرح فرويد في كتابه «تأويل الأحلام» (١٩٠٠) الوسائل التي يتم بها تحويل الأفكار في الحلم إلى صور حلمية، ومن ذلك التكثيف، والنقل، والقابلية للتصوير ثم الصياغة الثانوية، ويقصد بالقبلية للتصوير أن تكون الفكرة المراد التعبير عنها في الحلم مما يمكن تشكيلها عيانياً في صور، وتظل فكرة الحلم غير قابلة للاستخدام ما بقيت في عبارة مجرّدة، ولكنه ما أن تصاغ في لغة تصويرية حتى يتيسر أن تظهر في مادة الحلم كما يقتضيها إخراجه. ولكننا لا ينبغي أن ننسى أن التصوير على أي الأحوال لا يقصد منه أن يكون مفهوماً، وإنما كل المقصود أن المادة الحلمية ينبغي أن تكون قابلة للتصوير، وما يطرأ عليها من تحريف إنما يطرأ بسبب إخضاعها للقابلية للتصوير، ولذلك فإنه في عملية إخراج الحلم يكون انتقاء الأفكار القابلة للتصوير المرئي. ويروي فرويد مثلاً لذلك من حلم له، فقد كان عليه أن يراجع فقرة ناشئة في مقالة، فرأى نفسه في الحلم يشذّب قطعة خشب.

ومن القابلية للتصوير أن تتأتى الصور الحلمية للأفكار المنوعة بحيث تقبلها الرقابة على الأحلام وتجيزها، ويقتضي ذلك بالطبع إجراء تحويرات في المادة المكبوتة تمهيداً لظهورها في الشعور، وييسر ذلك العرف الجاري الذي هو مخزن الأخيلة الاستعارية منذ أقدم العصور، ومن ذلك تسهيل التعبير عن أقبح تفاصيل الحياة الجنسية وأبطنها عن طريق صور مألوفة، وتجد الرمزية الجنسية أفضل الصور لها في المألوف الذي لا يستلفت الأعين. ويستخدم الحلم الرموز الموجودة من قبل التفكير اللاشعوري، لأنها أكثر اتفاقاً ومقتضيات تكوين الحلم من حيث قابليتها للتصوير، ولأنها بذلك تفلت من الرقابة. ويغلب أن يستعين إخراج الحلم بمشاهد من الطفولة لها الطابع البصري التصويري، ربما نتيجة ممارسة الذاكرة البصرية

التي قد تجد ما ينشطها في الأفكار التي تجهد في التعبير عن نفسها فترتبط بها هذه المشاهد من خلال الانتقال من الماضي إلى الحاضر، وبهذه الطريقة وحدها تحقق هذه المشاهد الذكروية البعث لنفسها في شكل الصور الحلمية.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1900)

❖ ❖ ❖

- قانون الثبات...

- Law of Constancy(E.);...
- Loi de la Constance (F.);...
- Konstanzgesetz (D.)...

إستعاره فرويد عن فخنر (١٩٢٠)، وبمقتضاه فإن الأحوال النفسية عند آحاد الناس تميل، باستمرار إلى أن تتوازن وتستقر، فكلما كانت هناك استثارة نفسية ترتب عليها توتر، فإن هذا التوتر يميل إلى أن ينخفض إنْ لم يكن يتلاشى. وكان فرويد قد نبّه إلى أن التوتر يستحدث الألم، بينما خفض التوتر يستحدث اللذة، ثم رأى أن يجمع بين اللذة والألم، في وجودهما معاً يكون التوازن النفسي والاستقرار الانفعالي (١٩٢٤)، ويستتبع ذلك توازن غريزتي الإيروس أو الحب والثاناتوس أو الموت أو التدمير، والاثنتان معاً يصنعان مبدأ اللذة الألم، أو مبدأ النيرفانا أي الثبات والاستقرار والتوازن.

وهذا المبدأ يشبه مفهوم كانون الفسيولوجي الاتزاني Homeostasis (١٩٣٢)، الذي يقول بأن الكائن الحي لديه النزعة إلى التوازن والاستقرار الداخلي، باعتبار أن هذا التوازن مطلوب في الكائن الحي على المستوى الفسيولوجي والعصبي والنفسي، وفي البيئة الخارجية التي يمكن أن تؤثر على حالة التوازن في الجسم أو التوازن النفسي بشكل عام.

(أنظر أيضاً مبدأ النيرفانا Nirvana principle، ومبدأ اللذة Pleasure principle، ومبدأ الألم Unpleasure

principle، والإيـــروس Eros، والثاناتوس Thanatos).

مراجع

- فرويد: ما فوق مبدأ اللذة. (ترجمة الدكتور عبد المنعم الحفني)

- Freud: Beyond the Pleasure Principle. (1920)

: Instincts and their vicissitudes. (1914)

❖ ❖ ❖

– القدرة المطلقة للأفكار...

- Omnipotence of Thoughts(E.);...

- Omnipotence de Pensées (F.);...

- Gedankenallmacht (D.)...

يقول فرويد في كتابه «الطوطم والمحرّم» (١٩١٣) إن اصطلاح القدرة المطلقة للأفكار يعود الفضل فيه لأحد مرضاه، وكان على قدر من الثقافة والذكاء فلما شفي من تصوّراته الوسواسية وأراد أن يصوغ صياغة علمية ما كان يشكو منه، وما رأى أن غيره في مثل حالته يشكو منه، لم يجد سوى هذا التعبير ليصف به داءه. وكان في مرضه يعتقد بأنه كلما فكر في شخص ما كان على يقين أنه سيلتقي به حتماً، كما لو كان ذلك سيتم بقوة خارقة، وكان إذا جاءه نعي شخص قال إنه سمع بذلك منه شخصياً، وأنه خاطره بما سيحدث له، وإذا غضب من أحد يؤكد أنه سيموت حتماً لأنه يريد له ذلك. وأكثر ما تتبدى القدرة المطلقة للأفكار عند البدائيين والأطفال والمرضى بالعصاب الوسواسي. والطفل يعتقد أن مجرّد أن يرغب في شيء ويفكر فيه – مجرد ذلك يحقق وجود هذا الشيء. وللعصابيين عالمهم الخاص واعتقادهم أن التفكير في الشيء هو إيجاد له، وأن العالم المحيط بهم وفق إرادتهم. غير أن الطفل يتعلم خلال نموّه أن مجرد تمني الشيء لا يعني أنه أصبح له، وأن الجوع لا يتوقف إحساسه به لمجرد أنه يرغب في الطعام، وأنه لا بدّ أن يرضع من أمه أو يتناول الطعام حقيقة ليشبع،

ومن ذلك يبدأ إدراكه للواقع الخارجي. ويرى فرويد أن توهّم مطلق القدرة للأفكار نوع من التثبت على المرحلة النرجسية، أو نكوص إلى هذه المرحلة، وأن العصابي والبدائي صنوان في عدم التمييز بين التفكير والفعل، والاختلاف بين العصابي والبدائي أن الأول تفكيره تطيّري، غير أن الكارثة التي يعتقد أنها ستحدث لا يتوقعها لنفسه وإنما لغيره، فإذا سمع مثلاً بأن مكروهاً وقع لشخص ما ذهب إلى تفسير ذلك بأن هذا ما توقعه له لأنه لم يكن راضياً عنه، أو لأنه أغضبه، أو لم يطاوعه على شيء، واعتبر نفسه مسؤولاً عما وقع له. وتفكير العصابي والبدائي نوع من السحر، أو له هذه الطبيعة، وحتى الصيغ الدفاعية للعصاب وخاصة العصاب الوسواسي لها نظير في صيغ السحر.

ويقول فرويد إن التاريخ السيكولوجي للبشرية مرّ بمراحل ثلاث، الأولى سيطر فيها الاعتقاد في مطلق القدرة للأفكار، والثانية كان الاعتقاد فيها أن الآلهة وحدها له مطلق هذه القدرة وإن كان الإنسان بوسعه التأثير على الآلهة فيحملها على التصرف وفقاً لرغباته، والثالثة وهي المرحلة الحالية الاعتقاد فيها بمطلق قدرة العقل البشري.

مراجع

- Freud: Notes Upon a Case of Obsessional Neuroses. (1909)
- Bruch, H. : Parent Education or the Illusion of Omnipotence. (1924)

❖ ❖ ❖

– القضيب...

- Phallus (E.; F.; D.)...

(أنظر المرحلة القضيبية، والمرأة القضيبية).

❖ ❖ ❖

– القلق...

- Anxiety (E.)...
- Angoisse (F.);...
- Angst (D.)...

القلق وهو الحَصَر أيضاً، المقصود به الحالة الوجدانية التي يستشعرها الأنا إزاء الأخطار، ولها مظاهرها الفسيولوجية مثل ضيق التنفّس، وزيادة ضربات القلق وصُفرة الوجه، والصداع، والدوار،.، والقيء، والإسهال، إلخ. والقلق منه القلق الموضوعي، أي الذي له موضوع وسبب، ويستشعره الأسوياء كقلق عادي، وإذا لم يكن له موضوع فهو قلق هائم يتعلّق بأي شيء، ويحتاج أن يكشف المحلل عن أسبابه الحقيقية، فهو القلق العصابي .Neurotic a الذي نميّزه في العربية بإفراد اسم الحصر له، وينتج عن استشعار الأخطار الغريزية للدوافع والرغبات التي تواجه بالكبت فيتم تفريغ شحناتها في استجابة القلق، وهذا رأي قد استخلصه فرويد في نظريته القديمة هو الليبيدو، وقد أطلق إسم قلق الهو Idanxiety على نوع القلق الذي أساسه الكبت. وفي النظرية الجديدة ذهب إلى أن القلق هو استجابة يأتيها الأنا، لأن جهاز الأنا هو الجهاز الوحيد المؤهل لاستشعار الخطر ومواجهته والردّ عليه والتحكم في القلق، وليست للهو هذه الوظائف وتلك القدرات، ويطلق فرويد لذلك إسم قلق الأنا Ego-anxiety على استجابة القلق، على عكس ما كان قد ذكره سابقاً من أن القلق غريزي، ومع ذلك فإنه قد ظلّ يؤكد أن بعض القلق أسبابه غريزية، فعندما يكون هناك تنبيه شديد داخلي فإن القلق يتحصل فوراً، ويضرب المثل لذلك بتجربة الميلاد، فإن أنا الطفل لا يكون قد تشكل بعد، وليس هناك من تفسير لحالة القلق الشديد المتمثلة فيما يأتيه الطفل من بكاء وحركات عند الولادة إلا أنه يعاني من حالة كحالات الخطر التي نستشعر لها القلق. وحالة الخطر التي يستشعرها الطفل ربما تكون الخوف من الموت، وربما لها فائدة بيولوجية بهدف تنشيط الطفل داخلياً، بتنشيط الرئتين والدورة الدموية، وينطبع الطفل بهذه الاستجابة وتكون بمثابة استجابة نمطية لحالات القلق

التالية فتأتي على منوالها، وهذا ما يقصد إليه فرويد من أن بعض الاستجابات بالقلق ربما تكون نتيجة عمليات تحدث في الهو مباشرة من نوع تجربة الميلاد الخطيرة، ولا دخل للأنا فيها، وأما غير ذلك من إستجابات القلق فهي التي يأتيها الأنا وإن كانت عملياتها متحصلة بالهو أيضاً. والاضطرابات التي تنشأ نتيجة مخاطر مناطها الهو، هي من نوع الاضطرابات العصابية الموضوعية، بينما الاضطرابات التي تنشأ نتيجة مخاطر يتعرّض لها الأنا، هي من نوع الاضطرابات العصابية النفسية.

ويفسّر فرويد تجربة الخطر الأولى - تجربة الميلاد - بأنها تجربة مكدرة، وهي أول تجربة يخبرها الفرد وبها تبدأ حياته، وليس إطلاق إسم Angustia اللاتيني عليها بمعنى الضيق إلا لأن مضمون هذه التجربة هو حالة الحَصَر بما فيها من عُسّر شديد ومعاناة باهظة وتكدرات مصاحبة. ويذهب فرويد إلى أن تكرار هذه الحالة الأولى للحصر قد غرس هذه الخبرة غرساً عميقاً خلال أحقاب طويلة لا عداد لها، فلا يفلت أي فرد من هذه المعاناة حتى وإن كان مكدوف الخراي في نفسه في الأسطورة، والذي يُروَى أنه انتزع من أحشاء أمه انتزاعاً ولم يخبر عملية الولادة.

ويروي فرويد أن فكرة حصر الولادة جاءته من الفطنة الساذجة لسواد الناس، وأنه قد استمع يوماً لقصة امتحان جرى لقابلة فسألوها عما يدلّ عليه غائط الجنين في مياه الولادة، فأجابت بعفوية أن ذلك من فرط خوف الطفل. ويقول فرويد ربما كان القلق كخبرة وجدانية مكدرة مرجعه خبرات أولية أوغل تاريخاً وتتجاوز الفرد إلى النوع الإنساني، ومن ذلك تجربة الميلاد. وليس القلق المصاحب للميلاد قلقاً حقيقياً ولكنه صورة للقلق، ويهيىء للشكل الذي يأتي عليه القلق من بعد، ويكون بمثابة الاستعداد بالطفل للقلق، ويزيد استشعاره للقلق كلما نضج، ويستشعره في ثلاث حالات: إذا تُرِك وحيداً، وإذا تُرك في الظلام، وإذا غلبته حاجاته الغريزية وافتقد من يشبعها أو يرعاه إزاءها، وهذه الحالات الثلاث تجتمع في حالة واحدة هي غياب الأم وانفصاله عنها.

والقلق في مرحلة الرضاعة وسيلة تنبيه مناسبة للجهاز العضلي التنفسي والصوتي للطفل يخدم غرض النداء على الأم، وعندما يكون هناك تهديد بغياب الأم في مرحلة الرضاعة فإن الطفل في الحال يعلن إشارة الخطر بالعويل والصراخ، وهي وسيلته للتعبير عن عجزه البيولوجي. وربما كان التفسير السيكولوجي لحال القلق عند الرضيع أن الأم كانت تشبع حاجات الجنين عن طريق جسمها، وبعد الولادة صارت تشبع الطفل بطرق مختلفة، فكان الاتصال مستمر بين الحياة داخل الرحم والحياة خارج الرحم، وكانت الصلات بين الأم والطفل في الحياة الأولى بيولوجية، وصارت في الحياة الثانية بيولوجية وسيكولوجية معاً. وفي الحياة الأولى لم تكن الأم موضوعاً للطفل، لأنه كجنين ليست له وضوعات إطلاقاً، ولكنها في الحياة الثانية صارت موضوعاً له، وربما كانت الموضوع الوحيد، ولذلك يشكّل افتقادها سبباً كافياً لحالة القلق.

وتختلف صورة القلق بالطفل مع مراحل نموه وإن لم يختلف القلق فيهما في جوهره، وهو في المرحلة القضيبية يكون قلق خصاء Castration anxiety، ويتعلّق بالعامل نفسه المسبّب للقلق وهو عامل الغياب أو الانفصال، أي غياب الأعضاء التناسلية للطفل وانفصاله عنها، بتهديده المستمر بالإخصاء من قِبَل الوالدين.

ويذهب رانك إلى ما أسماه صدمة الميلاد Birth Trauma، ويقول إن للقضيب قيمة نرجسية لأنه العضو الذي يضمن تواصل العلاقة بالأم عن طريق بديلتها – الزوجة، فكأن التهديد بإخصاء القضيب يعني تجربة أخرى للانفصال عن الأم، ومن ثم معاناة القلق، أو يعني معاودة لخبرة العجز أمام حالة الكدر التي تسببها الحاجات الغريزية والتي استشعرها الطفل لأول مرة في تجربة الميلاد، إلا أن الحاجة الغريزية في تجربة الميلاد لم تكن محدّدة بشيء معيّن، وهي الآن محدّدة بالليبيدو التناسلي.

ومن رأي فيرينزي أن البديل لعملية الجماع عند العاجز الذي يكفّ القلق المترتّب على تهديده بالخصاء قدرته الجنسية، هو أن يتخيّل الرجوع إلى رحم أمه، وعند فرويد فإن الجماع باعتباره

وسيلة للرجوع إلى رحم الأم باستخدام القضيب قد يكون عند المرضى بالقلق العصابي رغبة في النكوص إلى الحالة المبكرة الأولى - الحالة الجنينية - مع استبدال الجسم كله مكان القضيب.

ومع مراحل العمر التالية يزيد اختلاف صورة القلق بظهور حاجات جديدة، وزوال سلطة الوالدين، وزوال خطر الخصاء، ويقع الفرد تحت تأثير الأنا، ويتحوّل القلق إلى قلق أخلاقي Moral anxiety أو قلق إجتماعي Social anxiety، ويكون الخوف هذ المرة من استغضاب الأنا الأعلى واستعداء سلطة المجتمع. وفي المرحلة الأخيرة قد يصبح الخوف هو خوف من القَدَر، ومن عقابه، في شكل قلق إزاء الموت والكوارث والمصائب، والخوف الذي يبتعثه أيضاً هو خوف أو قلق من الأنا الأعلى قد أسقط على القدر.

ويميّز فرويد بين القلق كحالة وجدانية والقلق كعمل وقائي، وقد يتعاون الإثنان فيكون أحدهما إشارة إنطلاق للثاني، وقد لا يتعاونان كأن يتسبّب القلق الوجداني في حالة شلل تستحيل معه الحركة المحاذرة.

وينبّه فرويد إلى أنه في حالة استشعار الخطر فإن الخطر الخارجي لا بدّ أن يُدرك كخطر داخلي لكي يصبح مهماً للأنا، وفي حالة الصدمة تلتقي الأخطار الخارجية الموضوعية والأخطار الداخلية الغريزية ويظهر عجز الأنا من الناحية الحركية في صورة عجز نفسي.

ويصنّف فرويد القلق العصابي إلى ثلاثة أنواع، الأول وهو قلق التوقع كالذي يكون عصاب الحَصَر، والثاني قلق الخوافات أو الفوبيا المرتبط بأفكار الخوف من موضوعات معيّنة خارجية، والثالث هو القلق المتولد في الهيستيريا، ويصاحب الأعراض أو يستقل عنها، وليست له أسباب من مخاطر خارجية تبرّر ظهوره. (أنظر الهيستيريا الحصرية والعصاب الخوافي وعصاب القلق).ويميّز فرويد بين حالة القلق وحالة الحزن وحالة الألم، ويحدث الحزن تحت تأثير اختبار الواقع، بأن يفصل المحزون نفسه عن الموضوع المسبب لحزنه لأنه لم يعد موجوداً، ويتولى الحزن مهمة تسهيل انسحابه من الموضوع، بسحب الشحنة النفسية التي كانت متوجهة نحوه، ويسبب هذا الانفصال ألماً، والألم هو رد فعل حقيقي

لفقدان الموضوع، بينما القلق هو رد فعل للخطر الذي يؤدي إليه هذا الفقدان.

مراجع

- Freud: Inhibition, Symptom and Anxiety.(1926)

❖ ❖ ❖

– القمع...

- Suppression (E.; F.)...
- Unterdrückung (D.)...

يشير فرويد في كتابه «تأويل الأحلام» (١٩٠٠) إلى ما يمكن أن يلتبس على القارىء من مفهوم القمع حيث قد بدأ استخدامه لهذا المفهوم في غير تمييز عن مفهوم الكبت، وينبّه إلى أن الكبت عملية نفسية تتم لاشعورياً، وتدفع بالمكبوت إلى اللاشعور، وأما القمع فهو عملية شعورية وتتم إرادياً، لأن ما يتم قمعه هو الانفعالات، والانفعال لا يكبت، ولا يمكن أن توجد إنفعالات مكبوتة، والتخلّص من الانفعال يكون إما بتصريفه وإما بقمعه. والقمع بالألمانية يفيد الدفع إلى أسفل، ولذلك فقد يلتبس بالكبت، إلا أنه في القمع فإن المقموع لا يذهب إلى اللاشعور وإنما يُستبعد إلى ما قبل الشعور ويظل من السهل استدعاؤه. ثم إن الكبت يمارسه الأنا، في حين أن القمع يمارسه الرقيب وهو القوة النفسية التي يضعها فرويد بين الشعور وبين ما قبل الشعور. وتتمثّل عملية القمع في استبعاد الموضوع خارج مجال الشعور وإنما داخل النظام نفسه، «نظام الشعور – ما قبل الشعور» في حين أن عملية الكبت تتم بالانتقال من «نظام الشعور – ما قبل الشعور» إلى نظام آخر مختلف تماماً هو «نظام اللاشعور». والكبت غالباً يتم في الطفولة فيما عدا بعض الحالات التي تحدث للكبار نتيجة صدمات يتولد عنها عصاب الصدمة، والقمع غالباً يكون مع الكبار، والكبت يكون للرغبات وللدوافع الغريزية غير المرغوبة أو المحرّمة، وأما القمع فكما ذكرنا يكون للانفعالات والعواطف.

مراجع

- Freud: The Interpretation of Dreams. (1900)

❖ ❖ ❖